العدد الثامن
السنة الخامسة – 2023م



علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

عدد مجاني
غير مخصص للبيع

تجد في هذا العدد





www.arabhistorypublishing.com



العدد الثامن

السنة الخامسة – 2023

المجلة العربية للدراسات التاريخية

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

شروط وأحكام النشر

1. تنشر المجلة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجدية. في التاريخ، وكافة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ذات الصلة بالتاريخ.
2. كل بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.
3. تخضع كل الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.
4. للمجلة كل الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.
5. لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.
6. يتعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من مدير المجلة.
7. لا تتجاوز صفحات البحث المقدم ٢٥ صفحة.
8. على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:





- تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية والجامعة التي ينتمي اليها باللغة العربية واللغة الانجليزية، البريد الالكتروني للباحث. ملخص للدراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبية (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- تقدم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسية والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيما متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبدا في العناوين، أما إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعي والآخر رئيسي فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتجاه النصّ بالعربية من اليمين الى اليسار والنص بالأجنبية من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النصوص إذا كانت باللغة العربية او بالأجنبية.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نص سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9. الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.
10. يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
11. ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

c.a.h.p.e.j@gmail.com

تكريم مستحق من المجلة العربية للدراسات التاريخية



الدكتور
صبري العدل



الدكتورة
نفين مصطفي سعد



الدكتور
أبو وردة السعدني

الدكتور
جمال كمال





الأستاذ الدكتور
حسن نور





الموضوعات



احترام التاريخ... بين الانتقائية والانتقامية

علاء عبد الحميد علي الباتع

تُعتبر الحقيقة التاريخية وما يرتبط بها من أحداث ووقائع التاريخ على مر العصور أمر يسعى إليه الإنسان لمعرفة ميراثه وتاريخه الذي يعيش عليه الآن، لا خلاف أن اليوم هو ابن الأمس وغدًا هو ابن اليوم، ذلك لأن التاريخ عبارة عن حلقات مترابطة لا يمكن تفسير أحدها إلا بمعرفة جذورها والتي تمتد لحلقة أخرى مرتبطة بها، ولهذا فالحقيقة التاريخية ليست مطلقة وإنما هى مرتبطة ببعض العوامل التي قد تؤثر في صحتها أو تجعلها راجحة إلى حد ما الأمر الذي يأتي بالبحث والدراسة، ولهذا يجب التعامل مع أحداث التاريخ بموضوعية ومنهجية علمية محددة الخطوات، رغم ذلك فلا يمكن أن يدعي أحد أنه يملك الحقيقة التاريخية وأحداثها لأنه مهما وصل الإنسان إلى أدوات العلم لا يستطيع أن يعرف كل ما يرتبط بأحداث ووقائع التاريخ.

مهما يكن فهو- أي الإنسان- مقيد بما كتب عن هذا الحدث من كتابات أو أي شيء يساعد على فهم التاريخ فيما يعرف بالعلوم المساعدة في منهج البحث التاريخي والتي تطورت بتطور المناهج العلمية والمدارس التاريخية، ورغم كل هذا التطور في دراسة التاريخ يظل الحدث التاريخي بكافة وقائعه شيء فريد من نوعه، وكل حدث له واقع مرتبط به من سلوك الإنسان وسلوك من قام به وشارك فيه، كما أن اختلاف الفكر والواقع الاجتماعي والاقتصادي والمذهبي والسياسي.... وغيره ممن يجعل الحدث التاريخي الذي وقع هو شيء اجتمع عليه البعض واختلف عليه البعض الآخر، نظرًا لاختلاف التيارات الاجتماعية والفكرية في المجتمع.

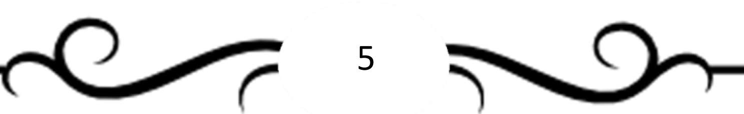
هذا بالنسبة لأحداث ووقائع تاريخية أصبحت في ذمة الماضي والتاريخ، ولكن استدعاء الأحداث وارتباط الإنسان بتاريخه يعيدها إلى الأذهان في محاولة لربطها بالواقع والحاضر الذي نعيشه اليوم أو محاولة إيجاد الحاضر في الماضي، لفهم جذور بعض القضايا التاريخية وما يرتبط بها من أحداث يتشارك فيه أبناء الوطن الواحد أو شعوب أوطان مختلفة، لكن استدعاء هذه الحوادث من أجل فهم مقدماتها وأسبابها قياسًا بالحاضر، يخلق جو من النقاش والجدل والتأييد والمعارضة، فهذا ينتقي من الأحداث ما يؤيد وجهة نظره دون فهم الأسباب والمقدمات والنتائج ويترك ما سواها من أحداث تاريخية، وهذا ينتقم من الأحداث لا لشيء إلا لأنه يختلف مع الماضي مخالفًا بذلك واحدًا من أهم قوانين التاريخ وهو الصيرورة والحتمية التاريخية والتي ترتبط بكل أحداث التاريخ.

وبين الانتقاء والانتقام.. تضيع الكثير من الحقائق التاريخية بسبب الجهل بمفهوم التاريخ الواسع، وبالتالي يأتي التاريخ عبارة عن ميراث ممسوخ وممزوج بالصراع لأن كلا من الفريقين الانتقاء والانتقام، يرى أنه الأحق من غيره بشأن التاريخ من حيث الاستدعاء لبعضه والاستبعاد والتهميش للبعض الآخر، كلاهما مذنب في حق التاريخ، لأنه رغم كل هذا التطور الفكري والعلمي في مناهج البحث العلمي، لا يعرفون أن الاختلاف قانون علمي ثابت، وأن أحداث التاريخ إنما هى جاءت بسبب الكثير من العوامل وقت حدوثها، ومع ذلك يختار منهم ما يتوافق مع ما يعتنقه من فكر ويترك الآخر، ثم يأتي آخر وينصب محكمة للانتقام من أحداث التاريخ لأنه لا يجد معها ما يدعم فكره أو هو لثأر سياسي.

ودراسة الحدث التاريخي تحتاج إلى نظرة شمولية لكافة جوانبه حتى تأتي النتيجة مقبولة إلى حد كبير وليس نظرة ضيقة تضيع معها معالم الأحداث التاريخية، ويكون مصير من صنع تلك الأحداث إما التمجيد رغم أنه لا يستحق، ولكن يتم عمل حولة هالة من التقديس ويأخذ مساحات كبيرة في صفحات التاريخ، وإما التهميش رغم أنه يستحق مكانة أكبر من ذلك، وهو تحجيم دوره التاريخي لأجل أغراض عديدة.

هكذا يخرج التاريخ لنا في كتب تعج بالصراع والانتقام، وكتب أخرى تعج بالانتقاء والاستبعاد بعد إغفال كل أحداث الانكسار والسلبيات وكأن العبرة والدروس تكون من لحظات الانتصار والايجابيات فقط، وهذا شيء مخالف لقوانين فلسفة التاريخ، وبالطبع هذا بعيدًا عن الدراسات العلمية والأكاديمية التي تطبق المنهج التاريخي وتخرج بنتائج حقيقية تعيد لنا ترتيب الحوادث التاريخية.

ولأن الأحداث قد تكون خارجة عن ظروف البشر رغم توافر الإمكانيات البشرية، فهناك عوامل طبيعية شكلت تاريخ مناطق



كثيرة في أرجاء العالم، وهى الجغرافية الطبيعية وما يرتبط بها من عوامل قد تكون عامل محفز وقد تكون عامل هدم وسبب انهيار وإضمحلال، وهذا يجعلنا نعيد النظر في الأحداث وتطورها عبر التاريخ فالتكنولوجيا الحديثة مكنت البشر من التغلب على تلك العوائق الطبيعية وهو ما لم يتوفر للإنسان في الماضي، وبالتالي لا يجعلنا نلقي باللوم عليه وننتقم منه بتهميش دوره.

ويتميز التاريخ وأحداثه بالحركة والديناميكية، كما أن الشخصيات التاريخية التي صنعت أحداث تاريخية أو ساهمت بشكل أو بأخر في صناعتها، كان لها وجوه عديدة بين الخير والشر والأخلاق والضمير، وكل ذلك تبعًا للسلوك الإنساني، فهناك العديد من الشخصيات التاريخية التي حير سلوكها علماء التاريخ نظرًا للكثير من المؤثرات التي كونت تلك الشخصيات مثل الإمبراطور الروماني كاليجولا (12-41م)، والإمبراطور نيرون(37-68م)، والقائد الجرماني أتيلا الهوني(395-453م)، وجنكيز خان عاش خلال أعوام (1162-1227م)، والحاكم بأمر الله الفاطمي(985-1021م) وغيرهم الكثير من الحكام عبر التاريخ.

كما لا يجب إغفال دور الدين في حركة التاريخ، فهناك أحداث تاريخية كان للدين دور حاسم في صناعتها، وأيضًا كان له موقف من عدم المشاركة في الكثير من أحداث، فالأمر هنا يتعلق ببعض القيم الدينية والضمير والأخلاق والشرائع السماوية، فما هو مقبول في دين، يكون مرفوض في دين آخر، كما أن السياسة كثيرًا ما فرضت نفسها على الدين لأخذ الشرعية في تنفيذ الكثير من مشروعاتها عبر التاريخ الإنساني، وكثيرًا ما تم اتخاذ الدين قناع لتحقيق الأغراض السياسية والاقتصادية، مثل الحروب الصليبية(1095-1291م) التي وجهها الغرب نحو العالم الإسلامي.

لعل اختلاف المدارس التاريخية شرقًا وغربًا، رغم أنه أفاد مجال الدراسات التاريخ ومناهجه إلا أنه قد أضر به لسوء الاستخدام لهذه المناهج التي تساعد على فهم التاريخ، وبالتالي تأتي نتائج لا تحترم التاريخ وفلسفة البحث فيه، فما ينطبق على التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى، لا ينطبق بالطبع على التاريخ الإسلامي، كما أن التاريخ بمفهومه الواسع ينقسم إلى فروع وتخصصات مختلفة وهى محاولة لتبسيط حقل الدراسات التاريخية والاستفادة بقدر الإمكان من العلوم المساعدة لدراسة التاريخ.

وبحسب بعض المؤرخين والمفكرين ومن خلال دراساتهم للتاريخ وفلسفته فإن التاريخ لديهم هو عبارة عن صراع بمعنى أن الصراع والصدام على مدار التاريخ الإنساني هو السبب الرئيسي في قيام وصعود واضمحلال وسقوط الدول والإمبراطوريات، سواء كان هذا الصراع أسبابه الدين أو الاقتصاد أو السياسة أو أيًا كان سببه، فهو في الآخر صراع أدي إلى تغيير في فترة زمنية أصبح لها ملامح تميزها عن تلك التي سبقتها أو تلك التي تأتي بعدها.

وفي المجمل فإن لكل فترة تاريخية خطوط توضح معالمها مع اختلاف أشكال الحكم في كل مجتمع، فالنظام الملكي له ملامح، ويختلف عن النظام الجمهوري، وكذلك يختلف هذا بدوره عن النظام الأميري، والسلطاني، على حسب ما اقتضته مصلحة الشعب من نظام حكم يتوافق مع المجتمع بكل اختلافاته.

واحترام التاريخ لا يعني التوقف عن نقده ودراسة فلسفته، وإنما هو عدم التعرض لأحداث التاريخ بما يحمله من أحداث وشخصيات بنظرة غير منهجية وموضوعية ومهنية، لأن الغرض من دراسة التاريخ هو فهم الماضي بما يفيد الحاضر ويرسم خطوط المستقبل، ولعل التاريخ بمختلف فروعه وما طرأ عليه من تطور في مناهجه أصبح يتعامل مع دراسة كل ظواهر المجتمع بمختلف أنواعها بل ويدرس كل شيء حولنا نظرًا لما أصبح عليه من ارتباط بكثير من العلوم وبالتالي فالتاريخ ليس سرد لأحداث الماضي، وإنما هو دراسة ونقد وفحص والخروج بقوانين تجعلنا نتدارك الأخطاء في المستقبل، كما تعرفنا أكثر بحضارات من سبقونا في مختلف أرجاء العالم.

والسؤال الآن ما الذي يحدد ويحكم عملية احترام التاريخ ؟

الإنسان بطبيعة الحال عدو ما يجهل، ويختلف مع ما لا يتفق معه، ولكن هل الاختلاف يجعلنا نحترم أحداث تاريخية ونقلل من الاحترام أمام أحداث أخرى، ما الدوافع التي تجعل الناس تحترم التاريخ ربما هى تلك الأحداث التي احتفظت بها الذاكرة عبر العصور وبما أنجزه الإنسان في تلك الفترة التاريخية ما الذي يجعل سيرة صلاح الدين الأيوبي(1137-1193م) تعيش إلى اليوم ويشهد له الغرب بالفروسية العربية، كما أن أثر ذلك الأحداث يمتد أثره إلى عصور طويلة، والعكس أن الذاكرة نفسها تحتفظ بأحداث كان لها الأثر السيء في نفوس الناس جعلتهم لا يحترمون تاريخهم الماضي، ومثالنا هنا هو حرب فلسطين1948 والهزيمة التي حلت بالجيوش العربية.





أيضًا لعل من الأشياء التي تحدد احترام التاريخ هو نظرة الشعب للحاكم أو الحكام والعادات والتقاليد والأعراف التي تحدد تلك النظرة، فالحكام الأجانب لبعض البلاد والدول لم يحترموا من شعوب البلاد التي حكموها، سواء كان الحكم جاء عن طريق الاستعمار أو الاحتلال أو غير ذلك، فالنظرة تختلف للحكم هنا، رغم أن هناك من ارتبطوا بهذا الحكم. ماهى النظرة للاحتلال البريطاني لمصر، أو الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو الاحتلال الإيطالي لليبيا، وغير ذلك.

فالعلاقة بين الوطن والمحتل، هي علاقة وجود، وبالتالي من أين يأتي احترام أحداث التاريخ لتلك الفترة التي استغل فيها المحتل مقدرات وثروات وشعوب غيره من البلاد، حتى لو دافع المحتل عن مصالح البلد التي احتلها واستعمرها فهذا ليس هذا إلا دفاعًا عن مصالحه هو أمام دول استعمارية أخرى وليس لأجل تلك الدول التي احتلها واستباح خيراتها وشعوبها.

هناك أيضًا بعض الأحداث التاريخية التي تتوزع فيها السلطات بمعنى أن يكون هناك سلطان ويلي السلطان والي أو حاكم ثم يأتي بعد الحاكم النظار أو الوزراء، وبالتالي فالمسئولية هنا ليست مباشرة، وهو ما يجعلنا ندقق النظر حين الحكم على الشخصيات التي كانت في الحدث هل كانت تنفذ صلاحيات الحاكم أم السلطان أم جاء ذلك باعتباره نوع من أنواع القهر السياسي الذي لا مفر منه بفعل القوى الخارجية أو التي بيدها السلطة الفعلية وليست مجرد سلطة أسمية.

وللتأكيد إن احترام التاريخ هنا لا يعني عدم البحث والنقد وإلا ما معنى دراسة التاريخ والهدف منه، كما أن التاريخ متشعب ويدرس كل نواحي حياة الإنسان فلا يمكن أن تكون الصورة كلها واضحة أو بدون قصور، وإلا فما قيمة البحث والدراسة، لأن كل مجتمع يخضع لتأثيرات وظروف تفرضها عليه الطبيعة أحيانًا والسياسة أحيانًا بمعناها الواسع والشامل بدءًا من الدائرة المحلية ثم الدائرة الإقليمية وبعدها الدائرة العالمية.

ولأن احترام التاريخ يدور حول كيف نفهم الماضي وما يرتبط به، فيجب المصالحة مع التاريخ، كما يخضع احترام التاريخ إلى مؤثرات عديدة ترتبط بالمجتمع والأفراد وعبر الأجيال، إلا أنه بالرغم من ذلك عانى التاريخ وأحداثه من التطاول دون وعي بالتاريخ، وهناك نماذج حية على عدم احترام التاريخ والافتراء بالأكاذيب ظهر منها الكثير بدافع سياسي وآخر بدافع ديني واقتصادي وهكذا...إلخ.

احترام التاريخ بكل ما فيه هو واجب لأن ما أصبح في الماضي ليس ملكية خاصة لفرد أو جماعة أو فئة وإنما هو تراث إنساني، ارتبط بالوطن.

وبالطبع قد يحترم المجتمع تاريخه وميراثه وغيره من المجتمعات لا تحترمه، والعكس أيضًا، بحيث قد يحترم العالم تراث وتاريخ وحضارة شعب من الشعوب، أو الحضارات وهذا الشعب لا يحترم تاريخه وتراثه ويتعامل معه بمنتهى الجهل والخلل الفكري، حيث يدمر تراث وآثار الأقدمين دون وعي بأحداث التاريخ، وهو بالتالي يحدث قطيعة بين الحاضر والماضي، ويدمر حقب تاريخية كاملة.

وتشويه صور الحكام السابقين دون تطبيق قاعدة "له ما له وعليه ما عليه"، واعطاء كل الحق للحاليين في كل خطأ وكل حدث ، أو تبرير أحداث مضت دون بحث هو نوع من عدم احترام التاريخ، من المسئول عن تشويه صور شخصيات مثل محمد علي باشا(1769-1849م)، ومن جاء بعده من حكام الأسرة العلوية، من وراء تشويه صور زعماء الحركة الوطنية مثل أحمد باشا عرابي(1841-1911م) الذي حارب ودافع عن الوطن وذاق في سبيله الويلات من السجن والنفي، وأيضًا سيرة سعد باشا زغلول(1859-1927م) وما لحقها من تشويه.

إن القراءة الواعية للتاريخ والتراث هى سر العافية الفكرية كما يسميها البعض، حيث تختفى الذاكرة الانتقائية التي تعتمد على تسييس التاريخ، وهى قراءة موضوعية تحترم التاريخ ليست انتقامية ولا انتقائية منحازة، كما أن مركزية القراءة للأحداث التاريخية تتلاشى، بحيث تكون المنهجية والموضوعية هى القاعدة الأساسية في قراءة التاريخ، وتكون قراءة الماضي كذلك بعيدًا عن الانتقائية في أساليب السرد والطرح التاريخي، وهو ما يجعل الصورة المثالية تختفي والتي تظهر بعد حذف السلبيات من التاريخ وأحداثه، والتي تُعد جهل بالتاريخ.

لكن هناك قراءات كثيرة للتاريخ كلها في مجملها لا تحترم التاريخ وأحداثه، هناك القراءة الانتقائية، والانتقامية، هناك القراءة الدونية، والقراءة السلطوية، وهناك قراءة تسييس التاريخ، لهذا نجد سؤالًا ما هى حدود المعرفة التاريخية؟ والجدول التالي يستعرض بعض حدود المعرفة التاريخية:-

الإثنية العرقية	حدود المعرفة التاريخية	القانونية
السياسية		المنهجية
الوظيفية		الفلسفية
الدينية		الاجتماعية
المذهبية		القومية
الاقتصادية		الموضوعية
الذاتية		الإنسانية
العلمية		الفكرية

ورغم توافر المنهجية إلا أنه بين التاريخ المكتوب، الذي تم تسجيله، والتاريخ المقروء والذي يعرفه الناس بالفعل، تفقد الأحداث الكثير من تفاصيلها بسبب السرد والكتابة والقراءة المركزية، كثيرًا ما يتم استدعاء الماضي للانتقام من الحاضر، والعكس، دون قراءة الحوادث في إطارها التاريخي الصحيح!!

وسنستعرض معًا آراء بعض ما قام بنشره عدد المفكرين والمؤرخين والأدباء في كتب ومقالات تدور حول قراءة التاريخ ودراسته واحترامه وأهميته في حياة الأمم، والأخطاء التي يجب تصحيحها والمنهجية التي يجب الاعتماد عليها في عرض التاريخ في ظل التطور المنهجي والتقني والتكنولوجي لعلم التاريخ.

المفكر إبراهيم بيومي مدكور(1902-1996)

يرى "أن التاريخ المعاصر في أي مجتمع وفي أي بلد عُرضة دائمًا للاضطراب، ذلك لأن كُتابه ومسجليه كثيرًا ما يخضعون لظروف خاصة وعلاقات معينة، فيرى كل منهم الصورة على النحو الذي يبدو له... كما يؤكد أنه لا ينبغي أن يُفرض التاريخ على الناس فرضًا، ويتساءل هل يكون التاريخ رصد وسرد ثم تفصيل وتحليل التاريخ في دائرة إقليمية لا تجاوز مصر، أم الدائرة العربية أم هي دائرة أكبر وهي الدائرة العالمية... ويرى أن كتابة التاريخ المصري لابد وأن يكون في الدائرة العالمية، إذ لا توجد ظاهرة إقليمية واحدة تتفاعل في معزل عن الظواهر الأخرى في العالم"

الأديب نجيب محفوظ(1911-2006)

يرى " أن كثير من الحقائق ضاعت في تاريخ مصر، كما يرى أن تاريخ مصر الحديث والمعاصر به كثير من الأشواك والحساسيات.. واحتراما للحقيقة يجب أن يؤجل إعادة الكتابة وحتى تتهيأ الفرصة بعيدًا عن الأهواء، ويؤكد أنه إذا كنا لا نستطيع وقف نشاط المفكرين والكتاب ممن يكتبون الأدب التاريخي، فلا بأس من أن يُكتب على اختلاف الأيدولوجيات شريطة أن يُعدو ذلك ادبًا تاريخيًا لا علمًا تاريخيًا ذات أصول وطرائق وأن يدخل منه إلى المدارس ما يناسب التربية الوطنية وإن كان من المحزن حقًا أن نفتقد البعد العلمي في رصد البعد التاريخي... ويقول يمكننا أن نرى بقليل من أدوات المقارنة أن التاريخ المصري الذي كُتب في العصر الملكي في إطار عصره، لم يتعداه، كما أن التاريخ الذي كُتب في عصر الثورة تم بطريقة متناقضة أيضًا، وضاعت الحقيقة بين العصرين.. وباختصار يرى نجيب محفوظ أن التاريخ المصري الحديث والمعاصر لم يكتب كتابة علمية أبدًا، ولا شك أن هذا يعود إلى جانب كبير منه إلى تعذر تطبيق المنهج العلمي لاعتبارات سياسية ودينية وغير هذا أو ذاك كثير، الأمر الذي يدعونا إلى توجيه الدعوة إلى المعنيين بالتاريخ المصري كي يعيدوا كتابة التاريخ العصري بالمنهج العلمي بما يوفره من موضوعية وحيدة نحن أحوج إليهما الآن أكثر من أي وقت مضى."

الأديب والمفكر أنور الجندي (1917-2002)

يرى "أن من ضمن أخطاء كتابة التاريخ الحديث ظهور دعاوي باطلة تحاول أن تصور العالم الإسلامي وكأنه قبل الاحتلال كان في سبات عميق وأنه تجمد في القرون الوسطى وأنه لم ينهض إلا حين ينهض به النفوذ الأجنبي وأن الحملة الفرنسية على مصر هي بداية اليقظة وأن الإرساليات الأجنبية هي التي حققت له الصحوة، كذلك شوه الاستعمار حركات اليقظة التي قامت قبل قدومه وادعى أنها لم تحقق شيئًا بينما كانت البلاد العربية والإسلامية قبل الاحتلال على درجة عالية من الوعي السياسي والاجتماعي وكانت بها نظم سياسية جيدة، وكانت الحياة الحضارية والثقافية في أوج التقدم في مختلف مناطق أفريقية التي احتلها الاستعمار البريطاني والفرنسي. وحاول تشويه ثقافتها وحضارتها وأطبق عليها بنفوذه وثقافته ليزيل الوجود الإسلامي والعربي" ويؤكد الجندي على أن التفسير المادي للتاريخ الإسلامي به عدم احترام للتاريخ كما أن به أخطاء ويقول هنا " حيث حاول كُتاب الغرب تفسير التاريخ الإسلامي تفسيرًا ماديًا اقتصاديًا وغفلوا عن جانب المعنويات والقوة الروحية والإيمان الذي كان عاملًا أساسيًا في النصر والذي حققه المسلمون بالأعداد القليلة على القوى الكبيرة وباندفاع هذه القوى التي لم تكن تملك من التكتيك العسكري أو العددي، ما يوازي عشر معشار ما





يملكه عدوهم، ثم انتصارهم عليها، وإذا نظرنا نظرة عامة قلنا أن عدد المسلمين في المعارك الإسلامية لا يزيد على مائة ألف مقاتل فتحوا في ثمانين عامًا ثلاثة أرباع المعمورة وقتها، وهذا هو الحد الذي لم يشهد له التاريخ مثيلًا من قبل وهذه الظاهرة هي التي أزعجت أصحاب مقاييس التفسير الغربي للتاريخ عن معرفة السر في هذه المعجزة ، ولقد جاءت محاولات تفسير هذه الظاهرة تحمل طابع الجهل بالجوانب الروحية والمعنوية وأثرها البعيد في التعبير أو طابع الحقد الدفين على هذا النفوذ الإسلامي في مواجهة الأرض التي كانت خاضعة للرومان أو الإمبراطورية البيزنطية."

كما يضيف قائلًا" أن التاريخ الحديث للعالم الإسلامي تعرض لموجات من التحليل والتفسير اختلفت باختلاف المدارس التاريخية الغربية التي حاولت أن تصدر أحكامًا من وجهة نظرها أولًا كغرب، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الإسلام وعلاقات المسلمين بالغرب، صدرت هذه الأحكام تحت تأثير طابع الاستعلاء الغربي في النظر إلى الأشياء وتفسيرها... وتعرض العالم الإسلامي للاستعمار الغربي، وهي بداية مرحلة يمكن أن يطلق عليها جولة الاستعمار الغربي الحديث التي وصفها الغرب بأنها متممة للحروب الصليبية التي سبقتها بأكثر من ثمانمائة عام ولقد كان من شأن هذا الصراع بين عالم الغرب وعالم الإسلام أن شكل من خلال حركة الاستشراق مفهومًا خاطئًا وتفسيرات متعصبة لحركات الإسلام الحديث ومراحل تاريخه فقد صدرت هذه المفاهيم وهذه التفسيرات من وجهة نظر الغرب القائمة على التعصب والخلاف والخصومة فهي ليست خالصة لوجه الحق وإنما يغلب عليها الهوى والحقد... هذا فضلًا على أن مقاييس التفسير التاريخي الغربي هي مقاييس مستمدة من التاريخ الغربي نفسه وكذلك فهي ليست صالحة لتفسير التاريخ الإسلامي الذي يستمد قوانين تفسيره من أصوله ومقوماته... والاستشراق يقوم بتطبيق مقاييس غريبة مختلفة كل الاختلاف عن مفاهيم وقيم الإسلام التي تشكلت من خلال مفهوم جامع بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة بينما تقوم مفاهيم الغرب على التفسيرات المادية الخالصة التي لا تستطيع أن تستوعب التوحيد والوحي والنبوة وآثار الجوانب الروحية والمعنوية في قيام الدول في آماد قصيرة وانتصار الجيوش بالعدد الأقل، وانتشار الإسلام ذاتيًا كل هذا يستدعي من الباحثين إعادة النظر في هذه التفسيرات"

ويورد الجندي عدة مفاهيم تحتاج إلى إعادة النظر:-

1. لتكون الحقيقة أكثر جلاءً ووضوحًا يجب التفرقة بين حكم العثمانيين وبين حكم الاتحاديين والتفرقة بين حكم المماليك في مراحله الأولى وبينه في مراحله الأخيرة.
2. القول بأن الأتراك سبب تأخر العرب قول مردود، لقد كان الحكم العثماني في البلاد العربية مختلف عن الحكم الاستعماري وأن الترك وحكمهم ليس سبب تأخر العرب وعدم نهوضهم ذلك لأن الترك أنفسهم كانوا متأخرين في العلوم والفنون.
3. خطأ القول بأن الأتراك هم الذين سيطروا على البلاد العربية واحتلوها، حيث كان دخول العرب في الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن الـ 16 م التقاء الجزء بالكل والتئام الأجزاء الضعيفة مع الجزء الأقوى لصد خط الإفناء الصليبي الذي صاحب مطالع عصر الاستعمار واكتشاف رأس الرجاء الصالح.
4. ولا ريب أن ارتباط العرب بالترك كان عاملًا هامًا في تأخير سقوط البلاد العربية في قبضة الاستعمار الغربي أربعة قرون وكان مصدر صمود الجبهة في مواجهات ضربات أوروبا.
5. فساد مفاهيم الإصلاح المنقولة من إصلاح المسيحية باعتبارها قامت على تفسيرات بشرية جعلتها غير قادرة على مواجهة تغيرات الأزمنة، أما الإسلام فإنه لا يقر الإصلاح بمفهوم تعديل مقررات الشريعة الإسلامية التابعة وكلمة التجديد أقرب إلى مفهوم الإصلاح، والتجديد هنا هو العودة إلى المنابع كذلك لا ينطبق على الإسلام مفهوم التطور، لأن التطور مرتبط بالمناهج البشرية القاصرة التي سرعان ما يجاوزها الزمن وتحاول اصلاح نفسها بالتطور أما المنهج الإسلامي الرباني، فإنه قادر على العطاء والاستجابة مع تغيير الأوضاع.
6. فساد محاولة القضاء على فريضة الجهاد على النحو الذي تقدمه القاديانية والبهائية بهدف إيقاف الكفاح ضد المستعمر والغاصب وهي محاولة لتغريب الإسلام وتمسيحه واعطائه طابع الغاندية والتولستوية التي لا تمثل مفهوم الإسلام وتعد محاولة علي عبد الرازق، والقادياني، وأحمد خان والبهاء محاولات باطلة تستهدف مفهوم الإسلام الأصيل.



ويرى الجندي أنه جرت محاولة تمزيق وحدة العالم الإسلامي إلى قوميات وإقليميات، حيث بدأت هذه المحاولة قبل إلغاء الدولة العثمانية فانقسم المسلمون إلى نحو سبعين جنسية وفرقة كل منها معزولة عن الأخرى وصاروا وراء فواصل مادية وأدبية لا حصر لها".

وزير الحربية الأسبق أمين هويدي (1921-2009)

تحت عنوان " إسرائيل وكتابة التاريخ المصري" يتعجب هويدي ويقول " أصبحت إسرائيل في الأيام الأخيرة مصدرًا رئيسيًا ومعتمدًا لكتابة تاريخ حروبنا معها، كما أصبحت – في رأي بعض علماء الآثار المصريين – أهم مرجع عالمي للآثار المصرية في سيناء وإذا كان الأمر الأخير مصيبة، فأن الأمر الأول مصيبة أعظم الأمر الذي يحتاج إلى وقفة جادة"

المفكر والفيلسوف حسن حنفي (1935-2021)

يتساءل المفكر الراحل عن تاريخ مصر.. وهل نعيد كتابته؟ وتزييف التاريخ مسئولية من؟

ويرى "أن ظاهرة (التزييف) في كتابة التاريخ القومي ليست وليدة لسوء النية أو للقوى الخارجية كما نتهم كثيرًا ونلقي المسئولية على الغير بل هى نتيجة عدم وعي كاف بالمرحلة التي يمر بها جيلنا.. وهذا الوعي ضروري حتى نعرف ماذا نبحث طبقًا لاحتياجاتنا المرحلية.. فعلى سبيل المثال لو كنا في حاجة إلى تأكيد الحرية والديمقراطية فإن هذه الرؤية للحاضر لابد أن نسقطها على الماضى فنبحث عن بدايات الحرية في تاريخنا الحديث وعن صراعنا من أجل تكوين المجالس النيابية، وإذا كنا في حاجة إلى مزيد من العقلانية فإننا نكتب تاريخنا للفكر الفلسفي لتبين بدايات العقل ونضالنا من أجل ذلك... كما يرى أن المنهج المطلوب للبحث التاريخي هو المنهج الح الذي يبدأ من حصر احتياجات العصر ومطالبه ثم يسقطها على الماضي لتأصيلها والبحث عن جذورها فالبحث عن الجذور هو ميزانية حل الأزمة... وإذا تجاوزنا المنهج سنجد أنفسنا نتساءل من الذى يكتب التاريخ؟

ويرى حنفي أن الحكومة ليست مؤرخًا، ولكنها ترعى الباحثين، فلو كانت الحكومة تريد أن تفرض مذهبًا أو رأيًا وتحاول تدعيمه تاريخيًا بفضل مؤرخي الحكومة فذلك ليس بحثًا بل ديماجوجية سياسية عبرت ليست في التاريخ فقط بل في الدين والسياسة والاجتماع والقانون ولكن إذا كان للحكومة مشروع قومي يعبر عن أهداف الأمة ومصالح الناس، هنا يكون اشتراك الباحثين في تجديد الجذور التاريخية لأهداف الأمة واجب وطني بصرف النظر عن توجيهات الحكومة... ولا يمكن أن يكون المؤرخون في جانب والأمة في جانب فالمؤرخون هم الذين يحددون للأمة طريقها ويحافظون على حقوقها في التاريخ، فالمؤرخ الوطني لا يحتاج إلى توجيه الحكومة والحكومة الوطنية لا تحتاج إلى توجيه المؤرخين... ويكمل قائلًا.. وإذا شئنا بعد ذلك أن نحدد جانب البحث التاريخي أهو الجانب السياسي أم الجانب الحضاري من فكري وسياسي واجتماعي...إلخ.

فالحقيقة أنه لا يمكن الفصل بين السياسي والفكري فالتاريخ سياسي وفكري واجتماعي وبيني في آن واحد لأن الظاهرة الإنسانية ظاهرة متكاملة لا يمكن فصل عناصرها... ولكن الذي يحدد مستوى التحليل والرؤية هى المصلحة القومية التي هى العناصر الثابتة في الامة ولا تتغير بتغير الحكومات والنظم، وأنه يستحيل تحليل التاريخ دون رؤية بل إن كثيرًا من المؤرخين كانوا مفتاح رؤية للماضي والمستقبل كما هو الحال مع المؤرخين الألمان، وليس التاريخ هو تتابع الماضي في الحاضر بل هو رؤية الحاضر في الماضي وبالتالي إعادة بناء المواقف والاستفادة من التراكم التاريخي الذي يصب في النهاية في وعي الأمة".

الأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار (1936-2006)

يرى "أن كتابة التاريخ تخضع للمؤثرات السياسية ولكن لا داعي للخوف أو الحساسية لأن الحقيقة هى التي تبقى"

كما يؤكد على "أن كتابة تاريخ مصر الحديث بطريقة موضوعية ما زالت حلمًا يراود أساتذة التاريخ والقراء، وما زالت مصر في أشد الحاجة إلى موسوعة تاريخية ودائرة معارف تكون بمثابة سفير لمصر في دول العالم..." ويقول نوار لقد هُضم تاريخ مصر وأغْفلت مكانتها في الكتابات العربية، وعندما كتب المصريون تاريخ العرب أعطوا للعرب مكانتهم وتجاهلوا مكانة مصر فضاع حقها... وينتقل في الحديث عن ظاهرة الشعور والولاء الوطني ويرى أنها تحولت، والظاهرة السائدة الآن هي الاستهلاكية لأن الصراع في هذا العصر هو صراع الشعوب المنتجة ونحن لسنا طرفًا في الصراع بقدر ما نحن هدفًا له، كما يؤكد على أن عبد الرحمن الرافعي كتب التاريخ من منظور الحزب الوطني ولكنه لم يتخل عن الموضوعية"

الأستاذ الدكتور جمال بدوي(1934-2007)

يرى " أن التاريخ مصدرًا للإزعاج، ذلك لأن قراءة التاريخ بقدر ما فيها من متعة روحية ولذة عقلية، بقدر ما تسببه للقارئ من إزعاج عندما تنكشف له أمور كانت خافية عنه، ويزداد الأمر تعقيدًا إذا جاء الجديد ليمس مسلمات مستكنة في وجدان القارئ وكان من خلالها يبني نظرته إلى الحوادث والأشخاص، وفجأة يجد نفسه ملزمًا بإعادة النظر في مخزونه التاريخي

وأن التاريخ ليس أحكامًا نهائية غير قابلة للنقض، وسيظل كتاب التاريخ مفتوحًا طالما ظهر باحثون ينقبون في الملفات، ويعيدون تقويم الحوادث والأشخاص على ضوء المعلومات الجديدة التي تتوافر لهم، وعالم التاريخ في ذلك يشبه عالم الآثار الذي لا يكف عن الحفر في باطن الأرض عساه يعثر على شقفة فخار، او قطعة عملة أو صفحة بردي فتضيف إلى رصيد التاريخ علمًا جديدًا وتمحو جهلًا قديمًا

ومصدر الإزعاج في هذه العملية التنويرية: أن القارئ الذي تربى على احترام الشخصيات التاريخية، يشعر بمرارة إذا ظهرت له عيوب في أبطال محببين إليه، وتزداد المرارة عند الذين خضعوا لتربية شرقية تحيط الزعماء والأبطال بهالات من التقديس، على خلاف ما نراه عند الغربيين الذين أسقطوا عبادة الأشخاص من خلال الثورات السياسية، والحركات الفكرية والعقلية، ونظروا إلى كل هؤلاء على أنهم بشر يخضعون للحساب والمساءلة وليسوا ملائكة منزهين عن الخطأ

ولأن كتاب التاريخ عندنا كانوا جزءًا من البلاط الحاكم، فقد عمدوا إلى تبجيل الأبطال، والامتناع عن ذكر المساوئ والأخطاء، فإذا اقتضت المصلحة هدم الخصم بالغوا في تجريحه، وورثنا من تلك العهود عادة المبالغة في المدح، والمبالغة في القدح – على حد سواء- وقد ظل الزعيم أحمد باشا عرابي مدانًا ومتهمًا في وطنيته منذ هزيمته في عام 1882 وحتى الثلث الأول من القرن العشرين، عندما صدر أول كتاب يعيد إليه الاعتبار فانقلب الميزان، وافتقدنا الحكم الموضوعي، ونشأت الأجيال الجديدة على المنهج الأحادي إما البياض.. وإما السواد.. ولا مكان للمنطقة الرمادية !!"

وهنا يدعو الدكتور جمال بدوي إلى البحث والتقصي وهضم التاريخ بكل حسناته وسوءاته

الأستاذ الدكتور عبد الخالق لاشين (1938- 2018)

يرى أن "هناك مأساة في كتابة تاريخ مصر خاصة وهى أننا نتفاجأ كل يوم بوجود كتب كثيرة يزعم مؤلفوها أنهم قد اكتشفوا كنزًا ثمينًا من مصادر التاريخ المصري... ويقول أن الأمم لا تكون أحوج إلى الاهتمام بتاريخها والكشف عنه بمثل ما تكونه في أوقات الشدة والتعرض للأخطار الخارجية والداخلية وأن اهتمامنا بتراثنا التاريخي ومصادره – على تنوعه ووفرته – قد لا يقل أهمية بحال من الأحوال عن قضية إعادة بناء مصر"

الأستاذ الدكتور عبد المنعم إبراهيم الجميعي

يبدأ حديثه بـ " نعم هناك أخطاء في كتب التاريخ"

حيث أثبت في كتابه " الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين 1948"، أنه لم تكن هناك أسلحة فاسدة استخدمت في الحرب ويقول " إن ما أثير في هذه القضية كان لتبرير هزيمة 1948 خاصة وأن مسرح العمليات لم يتأثر بمثل هذه الأسلحة التي لم يكن لها أي دخل في هزيمة الجيش المصري، وأن كل الصفقات التي تناولتها هذه القضية على أن بها أسلحة فاسدة لم تستعمل في القتال بل ظلت في صناديقها وقد أكد ذلك القضاء بعد أن برأ المتهمين في القضية، وإلى جانب ذلك فإن رجالات ثورة 1952 الذين تولوا شئون البلاد بعد إنهاء الحكم الملكي والمفترض أنهم تاثروا بما حدث أعادوا النظر في القضية ولم يستطيعوا إثبات مثل هذه التهمة على أحد"

الأستاذ الدكتور خالد عزب

في كتابه بعنوان "مستقبل التاريخ" قدم برنامجًا متكاملًا يخص مستقبل علم التاريخ في ظل التطور الرقمي والتقني، معتمدًا على نموذج "ذاكرة مصر المعاصرة " وهو مشروع رقمي يغطي تاريخ مصر منذ عام 1805 وحتى عام 1981، ويتساءل في عرضه للموضوع عن مستقبل علم التاريخ ؟ وما هو دور المؤرخ في المستقبل؟

والسؤال الأساسي الذي يطرحه هو : هل للتاريخ مستقبل في العالم الرقمي؟

ويقول "أن الماضي يثير تساؤلات عديدة، وللماضي علم يدرسه هو التاريخ، الذي أصبح هو ذاته محل تساؤلات مثيرة، فإلى اليوم يُقدم التاريخ من خلال كتابات المؤرخين سواء في الكتب أو المجلات العلمية أو الثقافية أو الصحف، لكن مع تقدم وسائل

التكنولوجيا باتت الأفلام الوثائقية مادة خصبة تجذب الكثيرين للتاريخ... وأن كتب التاريخ تُعد كنوزًا دفينة، فهى عمل مفصل قام بسرده المؤرخون، ودائمًا ما تغمرنا هذه الكتب بالسعادة حيث الحنين إلى الماضي، ولكن ليس هذا كل شيء بالنسبة إلى المؤرخين المعاصرين، لأننا لسنا فقط في حاجة إلى تقديم الماضي، بل أيضًا لشرحه وتفسيره، فالوصول إلى سياق أوسع للقصة يكون غير مقصور فقط على أحداثها المتتالية وإنما أيضًا للمغزى من وراء هذه الأحداث، خاصة أن أهداف علم التاريخ الآن أصبحت أوسع نطاقًا وأكثر تنوعًا

ويتساءل عزب لماذا نهتم بالتاريخ؟

حيث يرى أن هناك إجابات عديدة عن السؤال، بعضها مفرط في إجاباته، على نحو أن الاهتمام يكون بهدف الوصول إلى الحقيقة المجردة، لكن هذه الإجابة تكون كاملة لو كان الهدف علميًا بحتًا، أو للتعرف على الماضي وما به من مآثر، أو لدراسة السلبيات والإيجابيات في تاريخ البشرية، أو لأنه مكون أساسي من المكونات الثقافية لأي شعب، وحقيقة الأمر أن كل ما سبق يعد إجابة مبدئية حول السؤال المطروح، لأن الإجابة الواقعية هى أن كل ما سبق ليس سوى نتيجة لاهتمامنا بالتاريخ، فالتاريخ أساس لتثقيف المجتمع وإرشاده لقواعد السلم والحرب وإدارة شئون الدولة والتخطيط لمستقبلها، من هنا يتحول مفهوم التاريخ من نطاق العلوم النظرية إلى العلوم العملية، لأنه يرتبط بوجود الدولة وعناصرها المتمثلة في الأرض والشعب والسلطة السياسية ويعبر عنهم جميعًا بأنهم الوطن ووجوده.

لذا عندما يعود الحاضر إلى الماضي، يكون الماضي مركزًا قويًا، وغالبًا ما يكون التفكير في التاريخ في شكل سؤال يتأرجح ما بين ما التاريخ ؟ ولمن يكون؟

مثل هذه الأسئلة ضرورية لوجود التاريخ، فإذا كان الماضي دون فجوات أو مشكلات لما اكتملت مهمة المؤرخ، حيث أن التاريخ يعد نوعًا من أنواع الجدل، فهو جدل بين الحاضر والماضي، وجدل بين ما حدث بالفعل وما سيحدث مستقبلًا

ويضيف، أن التاريخ قد تغير مفهومه ومضمونه من عصر هيرودوت إلى الآن، لكن التغير الحقيقي كان في فترة الانتقال إلى عصر الثورة الصناعية والدولة المعاصرة أو الدولة القومية، باعتباره جزءًا مما سُمي بالعلوم الإنسانية بشكلها الحديث كآلية من آلية السلطة التي تعمل على السيطرة على المجتمع من خلال التعليم والانضباط وإعادة ترتيب مدركات وذاكرة المجتمع.

كما يطرح سؤال إذا كان التاريخ قد تغير عبر العصور فلماذا يتغير الآن مرة أخرى؟

ويرى في حقيقة الأمر أن الماضي يتم استرجاعه في الحاضر، حيث يتم إعادة إنشاء الصلة بينهما، خاصة وأن عملية كتابة التاريخ مليئة بالأسئلة وهناك ما يجذبنا نحو الماضي ويحثنا على دراسة التاريخ حيث لم يكن الناس يعيشون كما نعيش الآن... وأن التاريخ الحقيقي هو الذي يوضح لنا أمورًا مختلفة لشعوب مختلفة، وتطور مهارة الإنسان في التأريخ للماضي هى المحرك لرغبة هذا الإنسان في الاستفادة من المخزون المتراكم للمعرفة والخبرة الإنسانية فالتاريخ إذن بالنسبة للمجتمع بمثابة الذاكرة، ومن هنا فإن مستقبل التاريخ لن يكون في كتب تعتمد على النصوص فقط، بل سيعتمد على نوع جديد من الكتب التاريخية تقوم بالأساس على الصورة والرسومات (الجرافيك) الشيقة، هذا النوع يعرف بكتب القهوة (Books Coffee) لأن الفرد يتصفحها للتسلية والمعرفة في أوقات الفراغ ولأنها ستكون منافسًا حقيقيًا لشاشات التلفاز والإنترنت في جذب عين القارئ لمشاهدتها وقراءتها وقد يلحق بهذا النوع من الكتب (CD) أو (DVD) عليه فيلم أو لقاء أو تسجيل لحدث مرتبط بموضوع الكتاب، أما الكتب التاريخية المحققة كالمخطوطات فسيكون موضعها المكتبات الرقمية على شبكة الإنترنت.

ولهذا سينحصر دور المؤرخ مستقبلًا في الدراسات الأكاديمية أو المجلات المتخصصة أو في المساعدة لتقديم المادة التاريخية على شبكة الإنترنت، بالإضافة دور المؤرخ في تفسير التاريخ والبحث في ثغراته، فلن تكون هناك أُمة ليس لديها موقع تاريخي شامل على شبكة الإنترنت، من هنا جاء اهتمام مكتبة الكونجرس بهذا الموضوع، والذي لم يقتصر على مجرد ذلك فحسب، بل سعت إلى إقامة مكتبة تراثية عالمية بالاشتراك مع اليونسكو تضم نوادر التراث العالمي لكل أمة على شبكة الإنترنت تشارك فيها دول العالم بتقديم أفضل ما لديها من مواد تاريخية وأرشيفية ووثائقية".

ويعتبر مشروع ذاكرة مصر المعاصرة النموذج الذي قدمه الدكتور خالد عزب، وعاء رقمي فريد ومتكامل العناصر، بما يقدمه من مواد تاريخية، تغطي جوانب تاريخية كثيرة من تاريخ مصر خلال قرنين من الزمان، يُراعى فيها كل ما طرأ على التطور التقني في

مجال الدراسات التاريخية والعالم الرقمي، كما أنه يعبر عن الهوية الرقمية لمصر في عالم الإنترنت.

هذه وجهات نظر بعض المفكرين والأساتذة والأدباء فيما يجب تناوله أثناء قراءة التاريخ، وكل الآراء، على اختلافها تهتم باحترام التاريخ سواء في القراءة أو البحث والتحليل والرصد والكتابة، وكذلك تصحيح المفاهيم الخاطئة والأحداث التاريخية التي ترسخت في الأذهان في محاولة لاحترام أحداث التاريخ وعدم الحكم بالانتقائية أو الانتقامية، بل بالمنهجية والموضوعية العلمية، كما أنها تطرح مستقبل التاريخ في العالم الرقمي والتقني، وكل هذا يهدف إلى الوصول للحقيقة التاريخية المجردة.

<u>وختـــامًا</u>: يمكن القول أن احترام التاريخ أو إعادة الاحترام له يأتي بالدراسة والبحث وتقصي الحقائق، وليس كتابة التاريخ بالمقص، وتفصيل الأحداث على هوى الكتاب أو من هم وراءهم لأغراض شخصية أو فكرية أو سياسية أو غير ذلك... إلخ ، كما يأتي الاحترام للتاريخ باستغلال التراث المعماري وإعادة تأهيل الأماكن الأثرية، وكذا الحفاظ على الوثائق التاريخية المتخصصة لكل عصر من عصور مصر التاريخية، باعتبارها أهم مصادر كتابة التاريخ وأحداثه، والتوسع في العالم الرقمي، بحيث يوجد أرشيف رقمي يوازي الأرشيف الورقي مثل باقي أرشيفات العالم، وحفاظًا على الذاكرة الوطنية.





أدلاء رسول الله ﷺ في الغزوات والسرايا والبعوث

الدكتور/ عبدالله بن سكات الرشيدي

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. تعد معرفة الطرق وأسرار الديار من المواهب التي تعطي لصاحبها مكانة وفائدة، إذ أن من يتميز بمعرفة الدروب وأماكن الدخول والخروج إلى المدن وما شابهها يجد له مكانة كبيرة في نفوس الناس، لأنهم يحتاجون إليه في سيرهم فهو مصدر أمان واطمئنان لهم بعد مشيئة الله، وقد شد انتباهي خلال قراءتي واطلاعي للكثير من مصادر السيرة النبوية أمر غاية في الأهمية، وهو استعانة رسول الله ﷺ بالأدلاء في طرقه ودروبه التي يسلكها في هجرته وهو أوضح مثال، وفي غزواته وسراياه فيما بعد، فقد كان هذا الأمر محل اهتمامي وتركيزي، كيف وهو الصادق المصدوق ومستجاب الدعوة والذي يوحى إليه من علّام الغيوب يرسم لنا طريقا نتخذه نهجا في حياتنا وسلوكنا العابر في هذه الحياة الدنيا، لنتأمل أمرين: الأول: حينما أراد اللهُ لنبيه ﷺ أن يجوب الأرض ويصعد إلى السموات في حادثة الإسراء والمعراج أرسل إليه جبريل عليه السلام وهيأ له البُراق وقضى المهمة في جزء من الليل، وورد عند ابن هشام أنه قال: (أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مِنْ إيلِيَاءَ وَقَدْ فَشَا الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ فِي قُرَيْشٍ، وَفِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، ففِي مَسْرَاهُ وَمَا ذُكِرَ عَنْهُ بَلَاءٌ وَتَمْحِيصٌ، وأمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فِيهِ عِبرة لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ وَثَبَاتٌ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى يَقِينٍ، فَأَسْرَى بِهِ كَيْفَ شَاءَ، لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ، حَتَّى عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ وقدرته الَّتِي يَصنعُ بِهَا ما يريد؛ وفي رواية ابن مسعود عن الإسراء: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ يَقُولُ: (أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبُرَاقِ وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي كَانَتْ تُحمل عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ قبلَه، تَضَعُ حافرَها فِي مُنْتَهَى طرفِها فحُمل عَلَيْهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صاحبُه، يَرَى الآياتِ فِيمَا بَيْنَ السماءِ وَالْأَرْضِ)[1]، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء : ١]. والثاني: حينما أراد رسول الله ﷺ الهجرة إلى المدينة رغم الأخطار المحدقة والظروف التي فرضتها قريش للنيل من نبي الهدى إلا أنه اتخذ الأسباب التي يتخذها البشر في سفرهم المحفوف بالمخاطر، فقد توجه إلى جنوب مكة ليجعل قريش لا تعلم وجهته وليشتت أنظار الأعداء، ثم ركب على راحلة واتخذ دليلا مشركا يدله على أقصر الطرق وأسرعها للوصل إلى المدينة، وهذا فيه مشروعية اتخاذ الأدلاَّء من غير المسلمين وإغرائهم بالمال لمساعدة المسلمين، وفي قصة الهجرة وغيرها سيتضح هذا النبوي حرصا على أرواح الجند وحفاظا على سرية التحركات؛ وقد عزمت بعد التوكل على الله على البحث في هذا الموضوع، بإيراد بعضا ممن استعان بهم رسول الله ﷺ في مهماته وغزواته وسراياه، وسأنتهج في هذا البحث منهج جمع الروايات من مختلف المصادر التي ييسرها لي رب العالمين، ثم أورد ترجمة كل دليل، وكذلك سيرته ومهامه الأخرى إن وجدت، وسأجعل هذا البحث عبارة عن فصلين: الفصل الأول تمهيد وتعريف بالدروب والأدلاء ومهامهم، والفصل الثاني بعض الأدلاء الذين استعان بهم رسول الله ﷺ، سائلا الله ﷻ التوفيق والعون والمثوبة.

الفصل الأول: الدروب والأدلاء حرفة أم موهبة؟

للطرق أسرارها وأوديتها وجبالها ومفازاتها وسهلها ووعرها، وبما أن شبه الجزيرة العربية كانت مكانا ومعبرا لقوافل التجارة والهجرات فإن طرقها قد نالت اهتماما خاصا من التجار وأصحاب قوافل النقل، لذا نشأت المدن والقرى على هذه الطرق، والتي غالبا تنشأ حول موارد المياه لتكون مجتمعا سكانيا غالبا يكون توجهه واحدا واهتمامه واحدا، وقبل أن نبدأ في موضوع البحث حري بنا أن نتعرف على مدلول ومعنى الدليل أو الأدلاء، وفي معنى ذلك نجد أن (دلَلْته على الشَّيْء أدلّه - سدّدته إِلَيْهِ والدّليل - الَّذِي يدلّك وَالْجمع أدلّة وأدِلاّء، وهِيَ الدّلَالَة والدّلالة؛ أما الدِلِّيلي فَإِنَّمَا يُرِيد علمه بِالدّلَالَةِ ورُسوخه فِيهَا، والدُلالة مَا جعلْتَه للدّليل، والرجل الدّليل وَجمعه أبرات، وهُوَ البِرت والبُرْتُ، والْهَادِي الدَّلِيل لِأَنَّهُ يقْدُمُ القومَ وَقد يكون من أنه يَهديهم، وَدَلِيل نجْد ماهر هادٍ، ودَلِيل خُتَع وَهُوَ

---

(1) سيرة ابن هشام: 32/2.



الماهر بالدّلالة المُسْكَر، ودَلِيل خوْتَع كَذَلِك وختَع بهم يختَع ختْعاً وخُتوعاً سَار بهم تَحت الظُّلمة على القصْد وختَع على الْقَوْم هجم مِنْهُ وانختع فِي الأَرْض أبعد، والكُتَع: الدَّلِيل والكُتَع المشمّر فِي أمره وَقد كتَع وكتِع كتَعاً وَقيل كتَع تقبّض وانضمّ ككنَع فَكَأَنَّهُ ضدّ، أما الخِرِّيتُ فهو الدَّلِيل الحاذق كَأَنَّهُ ينظر فِي خُرْتِ الإبرة من دِقّة نظره ويُجمع خَرارِت[2]، أما عند ابن منظور فجاء: (الخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ الَّذِي يَهْتَدي لأَخْراتِ المَفاوِز، وَهِيَ طُرُقُها الْخَفِيَّةُ ومَضايقُها؛ وَقِيلَ: أَراد أَنه يَهْتَدي فِي مِثْلِ ثَقْبِ الإبرة مِنَ الطَّرِيقِ، وخِرِّيتٌ بِرِّيتٌ إذا كَانَ مَاهِرًا بِالدِّلَالَةِ، مأْخوذ مِنَ الخُرْتِ، وإنما سُمِّيَ خِرِّيتاً، لشَقِّه المَفازَة، وَيُقَالُ: طَرِيقٌ مَخْرَت ومَثْقَبٌ إذا كَانَ مُسْتَقِيمًا بَيِّناً، وطُرُقٌ مَخارِتُ؛ وَسُمِّيَ الدَّلِيلُ خِرِّيتاً، لأَنه يَدُلُّ عَلَى المَخْرَتِ؛ وَسُمِّيَ مَخْرَتاً، لأَن لَهُ مَنْفَذاً لَا يَنْسَدُّ عَلَى مَنْ سَلَكه، يقال: خَرَتْنا الأَرضَ إذا عَرَفْناها، وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا طُرقُها؛ وَيُقَالُ: هَذِهِ الطَّرِيقُ تَخْرُتُ بِكَ إِلى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا أَي تَقْصِدُ بِكَ، وذِئبٌ خُرْتٌ: سَرِيعٌ، وَكَذَلِكَ الْكَلْبُ أَيضاً، وخَرْتةُ: فَرسُ الهُمام)[3]، ومن هذه التعريفات يتضح أهمية الدليل في الطريق، خاصة للجيوش والسرايا التي تحتاج في سيرها للاختفاء عن الأنظار لتفاجئ العدو في حين غرته.

ومن هنا نجد أن الدليل هدفه في أغلب الأحيان الكسب المادي، وقد استعان النبي ﷺ ببعض الأدلاء من غير المسلمين كما سنوضحه لاحقا، فقد استعان ﷺ في هجرته بدليل كافر وهو عبدالله بن أريقط[4]، كما استعان بحسيّل بن نويره الأشجعي دليلا في سرية إلى غطفان في الجناب[5] بعد أن أخبره بجمع غطفان لغزو المدينة، واختلف فيه هل كان مسلما ام أنه لم يسلم إلا يوم خيبر، كما أن المسلمين يستعينون (بغير المسلمين في القتال، وإنما كانت معاونة يليان وتعاونه للمسلمين في إبداء الرأي والمشورة، وتقديم الأدلاّء، وتأمين العيون لنقل الأخبار من القوط إلى المسلمين، والمعاونة في القضايا الإدارية كتقديم السفن للعبور، أما مباشرة القتال في ساحة القتال، فقد اقتصر على المسلمين حسب - وما يقال عن يليان ورجاله، يقال عن أعداء لذريق من القوط النصارى الذين التحقوا بالمسلمين قبل بدأ القتال في المعركة الحاسمة، فلم يباشروا القتال مع المسلمين في)[6] الأندلس أيا منهم، ومن هذا الأمر يتضح دور الدليل وأهميته إذ أن الأدلاء الذين كانوا في الغالب من سكان المناطق الحدودية ذوي الخبرة بمسالك البلاد يلتحقون بالجيش[7] ولهم مكانتهم الخاصة، وقد تميزت القبائل العربية بكثرة الأدلاء ومن بينهم على سبيل المثال قبيلة الهبَّانية: التي تعد أشهر قبائل العرب في بادية كردوفان بالسودان بين الحوازمة والجمع، وأهم مراكزهم: شركيلة، ومنهم الأدلاء لجبال النوبة، لأنهم اعرف العرب بطرق تلك الجبال[8]، وقديما (تخصص قوم وتفرسوا بمعرفة مواطن المياه واستنباطها وساعدوا في حفر الآبار وفي حفر القني وإنشائه، وفي كتب اللغة ألفاظ أطلقت على الأدلاء الخبراء أصحاب العلم بمواضع وجود الماء في باطن الأرض، مثل جوّاب الفلاة، وذلك لأنه كان لا يحفر صخرة إلا أماهها، والقناقن، هو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الأرض في حفر القني، والعيّاف وهو الدليل الذي يعرف موضع الماء من الأرض)[9]، ويختار الأدلاء من القبائل التي تمر القافلة في أراضيها؛ لأنهم أعلم بطرقها من غيرهم، وأكثر خبرة بمواطن الماء والكلأ، وأكثر علما بمكامن الخطر الذي قد تتعرض له القافلة، كوجود عوارض طبيعية، يمكن أن يتخذها اللصوص وقطاع الطرق كمائن للإغارة عليها[10]، وتعتمد القوافل على الأدلاء الخبراء بطرق البوادي لإيصالها إلى أهدافها بأمن وسلام وبأقصر الطرق، ولتجنيبها أخطار الأعداء وشر قطاع الطرق، عند شعورها بوجود خطر عليها إذا ما سلكت الطريق العام، أو طريقها الذي قررت السير به نحو المكان الذي تريده[11]، وحينما ضاقت قريش ذرعا من المسلمين واعتراضهم لقوافلها على الطريق الشامي قرروا تغيير المسار وسلكوا الطريق العراقي فتجهزت (عير قريش وفيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبدالعزى وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير نقر وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم، وكان دليلهم فرات بْن حيان العجلي. فخرج بهم على ذات عرق طريق العراق؛ فبلغ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُمْ فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها؛ فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم؛ وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ فخمسها فبلغ الخمس فِيهِ عشرين ألف درهم،

(2) ابن سيدة: **المخصص**، 302/3. إبراهيم مصطفى وآخرين: **المعجم الوسيط**، 224/1.
(3) **لسان العرب**: 30/2.
(4) ابن هشام: **السيرة**، 488/1. ابن حبان: **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، 129/1.
(5) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، 211/4.
(6) محمود شيت خطاب: **قادة الأندلس**، 285/1.
(7) خليل السامرائي وآخرين: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص405.
(8) نعوم شقير: **تاريخ السودان**، 61/1-62.
(9) جواد علي: **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، 54/16.
(10) توفيق برو: **تاريخ العرب القديم**، ص240.
(11) جواد علي: السابق، 11/14.



وقسم ما بقي على أهل السرية، وأسر فرات)[12]، يقول ول ديورانت: (ونرى في كل مكان الأدلاء العرب على استعداد لمعونة القادمين وتأدية ما يلزمهم من خدمات[13]، وفي موقف آخر نجد دور الأدلاء العرب يثمر في دحر العدوان إذ أنه بسبب سيطرة بلاد العرب على التجارة المتبادلة بين مصر والهند قاد جالوس Aelius Gallus جيشاً للاستيلاء على مأرب؛ وأضل الأدلاء العرب الفيالق الرومانية، وأهلكهم الحر والمرض، وعجزت الحملة عن تحقيق غرضها[14]؛ وللأدلاء دور أحيانا في تظليل من يستدل بهم خاصة إذا كانوا على غير وفاق معه، فقد ذكر المؤرخون قصة شمر يرعش[15] مع ملك الصين حينما رأى ملك الصين خطره قال: (قد اقبل هذا العربي لا طاقة لنا به فماذا ترون فأتى كل واحد منهم برأي وبقي منهم واحد لم يتكلم! فقال له: ما تقول؟ فقال: أرى أن تظهر الغضب علي وتجدع أنفي وتأخذ دوري وضياعي وأموالي ودوابي وعبيدي حتى يعلم الناس بذلك، فكره ذلك ملك الصين لعظم ذلك الوزير عنده، فلم يعذره ذلك الوزير حتى ساعده وفعل به ما أشار عليه به؛ فخرج ذلك الوزير من الصين حتى انتهى إلى شمر فأراه جدع أنفه وشكا عليه ما فعل به ملك الصين وأظهر لشمر يرعش النصيحة فجعله شمر يرعش من خاصته، ثم احتاج شمر إلى دليل يدله على الطريق إلى الصين في المفازة العظيمة التي دونه؛ فقال وزير ملك الصين لشمر: أنا الدليل ولا تجد أيها الملك من يعرف هذه المفازة ويعرف الطريق فيها مثلي؛ فنهض شمر يرعش بجنوده وقيل إنه ترك الثقل الذي له ولجنوده في سمرقند وسلك خلف الوزير، فسار بهم على غير طريق حتى بعدوا بعداً عظيماً وأشرفوا على الهلاك وأيقنوا به ونفذ ما معهم من الماء، فقال شمر: أين الماء؟ فقال: لا ماء ها هنا إلا الموت، أردت أن أهلكه وأهل بلاده؛ فأمر به شمر فضربت عنقه، وأيقن شمر بالهلاك وقال لجنده: توجهوا أينما أحببتم، وفرش له درع من حديد فظلل عليه بدرقة من حديد فذكر عند ذلك قول قوم من المنجمين حكموا في ميلاده إنه يموت في بيت شقفه من حديد وفراشه من حديد. وذهب جنده كل منهم لوجهه فهلك أكثرهم في تلك المفازة، وتناشر من جنده ثلاثين ألفاً فوقعوا في أرض فيها الشجر والماء والنخيل وهي بلاد التبت فملكوها وتوطنوها، وبعدت عنهم أرض اليمن فسكنوا بها إلى اليوم، فزيهم زي العرب وأخلاقهم أخلاق العرب، ولهم ملك منهم قائم بنفسه، وهم معترفون بأنهم من عرب اليمن، وهم يحبون العرب حباً شديداً - وسمعت يا معاوية في رواية أخرى أن شمر قفل إلى اليمن غانماً سالماً حتى دخل اليمن وقرب من رثام، ثم هلك بينما الحديد من فوقه الحديد ومن تحته الحديد من حر النهار على ما ذكروا لما أصابه من المرض ثم هلك)[16]، وهنا تتضح خطورة دور الدليل خاصة إذا لم يكن محل ثقة، فقد يؤدي بحياة الجيش لأنه الأعرف في موارد المياه والمفازات والأخطار والكمائن.

والمتتبع لهذه المهنة التي انتشرت في عصر صدر الإسلام يجدها غاية في الأهمية لأن مهمة الدليل اختيار الطريق المناسب لسير القوافل أو الجيوش، واحتفار الآبار ليستقي منها العابرون خاصة إذا كان الطريق جديد أو غير مطروق، كما أن الدليل يرشدهم إلى اختيار مكان النزول عند الارتحال، مما يجعل الميدان والساحة من اختصاصه، كما أن الأدلاء يشاركون طلائع الجيش في مهامهم إذ يشكلون مع الطلائع القوة الحقيقية في المعركة، ويسهمون معهم في إصلاح الطرق، وقطع الأشجار، وإقامة الجسور على الأنهار والمجاري المائية، والسيطرة على موارد المياه قبل العدو[17]، وهذا يعطي صورة جلية لأهمية الأدلاء ودورهم في حفظ الأسرار، واختيار الطرق الأمنة لسير القوافل، وهي ممن يحفظ للجيوش خاصة أسرارهم ويخفي عورات جيشه عن عدوه، لأن الدليل غالبا يختار الطريق المناسب لسرعة وصول الجيش إلى غايته دون أن يتكبد الكثير من المشاق والعناء، ومن فوائد الأدلاء أنهم يختارون مكان نزول الجيش الذي يتوفر به الماء والحطب والكلأ، كما أنهم يختارون المكان القريب من الجبال أو الأنهار لتكون في إسناد ظهر الجيش، أي بمعنى آخر حصنا طبيعيا لحماية الجيش، ومواضع يأمن الجيش فيها الكمين[18]، وبما أن من مهام القائد معرفة تضاريس الطرق وساحة المعركة، لأنه سيتخذ القرار في سلوك الطرق،

---

(12) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، 27/2.

(13) **قصة الحضارة**: 51/2.

(14) السابق: 9/13.

(15) شمر بن إفريقيش بن أبرهة بن الرائش؛ وهو الّذي يدعى: «شمر يرعش»، وذلك لارتعاش كان به؛ وخرج في جيش عظيم حتى دخل أرض «العراق»، ثم توجه يريد «الصين»، فأخذ على طريق «فارس»، و «سجستان»، و «خراسان»، فافتتح «المدائن»؛ والقلاع، وقتل وسبى، ودخل مدينة «الصغد»، فهدمها- فسميت «شمركند» - أي: شمر أخربها، وأعربها الناس، فقالوا: سمرقند-، ثم عاد، وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة. (ابن قتيبة الدينوري: **المعارف**، ص629).

(16) عبدالملك المعافري: **اليجان في ملوك حمير**، ص445-446.

(17) الهرثمي: **مختصر سياسة الحرب**، ص29.

(18) الهرثمي: **مختصر سياسة الحرب**، ص31.

والسيطرة على المضائق وموارد المياه، وينزل في مكان يمكنه من تلقي الإمدادات بشكل سهل ميسر، فلا يمكن للقائد أن يقوم بتلك المهام دون الاستعانة بالأدلاء الخبراء، لأنهم أعرف من في الجيش بتلك الأمور[19].

وقد كانت قريش تستعين بالأدلاء لإرشادهم الطرق، ولا سيما في أيام الخطر؛ وأيام جزيرة العرب كلها خطر دائم بالنسبة للتجار، لما كانوا يحملونه معهم من أموال، تسيل لعاب الطامعين في المال، وتنسيهم كل عهد وموثق، لذلك كانوا يتحسسون جهدهم الطرق، ولا يسيرون إلا في الطرق الآمنة التي يوثق من ذمم أصحابها ومن قدرة سادتها على ضبطها وعلى إنزال أقصى العقوبة بالخلعاء وبالخارجين على الطاعة والعرف، ويستأجرون الأدلاء أصحاب العلم والدراية العملية بالطرق وبمخارجها وبكيفية الخروج من مآزقها ومهالكها وأخطارها، ينفقون معهم على إرشادهم، على أن يكون لهم أجر حسن إن نجت القافلة من الخطر ووصلت سالمة إلى مكانها المقصود[20] ؛ ومما يؤسف له كثيرًا أن الموارد الإسلامية التي تحدثت عن غزوات الرسول ﷺ وسراياه وعن الوفود التي قصدته من مختلف أنحاء جزيرة العرب، والعمال والرسل الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى سادات القبائل أو لجمع الصدقات، ثم عن حروب الردة وعن عمال الخلفاء على أقاليم جزيرة العرب سكتت عن ذكر الطرق التي سلكت والمنازل التي نزلت، ولم تفصل في ذكر المنازل والمراحل؛ فأضاعت علينا بذلك معرفة الطرق الجاهلية التي كان يسلكها الجاهليون في تجاراتهم وفي أسفارهم؛ ثم إن الذين بحثوا في الإسلام عن المسالك والطرق وذكروا المنازل مع أبعادها بالأميال أو بالفراسخ أو بالمراحل لم يهتموا بالإشارة إلى ذكر تواريخ هذه الطرق أو المنازل وإلى أصلها؛ هل هي جاهلية، أم هي إسلامية، أم معدلة، ولمثل هذه الملاحظات التي أهملوها أهمية كبيرة[21]، وهي طرق طبيعية كانت مسلوكة لوجود الماء فيها في مواضع متقاربة، وقد أُقيمت عندها مستوطنات، وبقيت على حالها لم تذهب فائدتها، ولم تتغير مواضع الاستيطان فيها؛ لذلك صارت السبل التي تسلك بين أجزاء جزيرة العرب إلى هذا اليوم، وقد تخصص قوم وتفرسوا بمعرفة مواطن المياه واستنباطها وساعدوا في حفر الآبار وفي حفر القني وإنشائها؛ وفي كتب اللغة ألفاظ

(19) سون أترو: **فن الحرب**، ص133-135.

(20) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 125/7.

(21) السابق: 20/14.

أطلقت على الأدلاء الخبراء أصحاب العلم بمواضع وجود الماء في باطن الأرض، مثل جوّاب الفلاة، وذلك لأنه كان لا يحفر صخرة إلا أماهها، والقناقن، وهو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الأرض في حفر القني، والعيّاف، وتطلق أيضًا على الدليل الذي يعرف موضع الماء من الأرض؛ والماء في الأرضين الجافة القاحلة، نعمة كبرى وحياة لأهلها[22]، ومن الروايات التي تبيّن أهمية دور الأدلاء ما روي عن ملك العجم حينما هاجمت القبائل الترك البدو مملكته ونهبت وقتلت فأقسم ليبدينهم ثم نادي احضروا الأدلاء لهداية الجيوش اللجبة في مسالك الصحراء، فشخص رجل بحضرة الملك وقال له: إني دليلكم إلى مضارب القوم، لأنني منهم؛ فوعده الملك بجزيل العطاء إن هو دلهم على السبل المؤدية إلى تلك الجبال السحيقة؛ فلما سأله عن مقدار المؤونة التي يحتاجها الجند في مسيرته قال: تزودوا بما يكفيكم خمسة عشر يوما من الزاد والماء، ثم أضاع هذا الدليل الجيش برمته وقتله الملك نتيجة لتقصيره[23]، يقول أحد القادة أنه صحبه خمسة من الأدلّاء فسرنا ستّة وعشرين يوما فوصلنا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنّا قد حملنا معنا خلّا لنشمّه من رائحتها بإشارة الأدلّاء، وهذا يبين أهمية اهتمام الأدلاء في أدق التفاصيل[24].

وكان لاهتمام العرب بمعرفة الدروب والمسالك التي تمر بها قوافل التجارة والحجاج والعمار يد السبق في تأصيل علم الجغرافيا الطبيعية ووضع لبناته الأولى عند العرب، وكانت الجيوش في جزيرة العرب تستدل بأدلاء عرب لأنهم هم الأعرف والأمهر فحينما أراد أبرهة الأشرم غزو مكة المكرمة لهدم الكعبة وتأديب العرب كما يظن (كتب إلى النجاشي يستمده بالفيل وجيش الحبشة ليغزو قريشا ويهدم الكعبة فسار بهم وأخذ أبا رغال[25] من الطائف دليلا إلى مكة حتى أنزله بالمغمس ومات أبو رغال بالمغمس فدفن فيه فرجمت العرب قبره، فهو القبر المرجوم بالمغمس)[26]، والملاحظ أن الدويلات التي أقامها الفرس والبيزنطيون على أطراف الجزيرة أو في داخلها قد ضعفت أو سقطت، وكانت اليمن قد فقدت حكومتها المركزية القوية ثم سقطت في قبضة الأحباش ثم الفرس؛ فرافق

(22) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 54/16.

(23) عبدالرحمن الشيخ: **رحلة بنيامين التطيلي**، ص355-356.

(24) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 199/3.

(25) أبو رغال سمي باسم الجد الأعلى لثقيف. (الصالحي: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، 1/ 224).

(26) الماوردي: **أعلام النبوة**، ص: 205.

ذلك صعود شمال الجزيرة بزعامة مكة التي تحولت إلى ما يشبه جمهورية ارستقراطية سيطرت على طرق التجارة وأسواقها في الجزيرة، وأقامت نظام «الإيلاف» الذي نظّم العلاقات بين الحضر والبدو في الداخل من جهة ومع الدول المجاورة من جهة أخرى، وطبيعيّ أن تتعرض مكة ويتعرض محيطها وقد أصبحت مركزا تجاريا رئيسيا إلى جانب مكانتها الدينية عند العرب منذ القديم؛ طبيعي أن تتعرض لتأثيرات خارجية دينية وثقافية وسياسية[27]، وأن يحاربها خصومها من الأحباش كما فعل أبرهة أو غيرهم، وقد شهد القرن السادس الميلادي ذروة الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية ومن لف في فلكها كدولة الأحباش؛ وبين الإمبراطورية الفارسية، وكان ميدان هذا الصراع بلاد الشرق الأوسط، وهدفه بسط نفوذ الدولتين على ربوع هذا الشرق؛ بغية السيطرة على طرق التجارة العالمية التي تمر ببلاد هذا الشرق، وقد وصل هذا الصراع إلى ذروته العظمى في نهاية هذا القرن، وبلغ غايته بانتهاء الربع الأول من القرن السابع، حيث انتهى نهاية أبدية؛ وذلك لأن دولة جديدة فتية قامت في جزيرة العرب، وهي منطقة لم تشهد قيام دولة موحدة من قبل، ولم يخطر ببال أحد أن تقوم بها مثل هذه الدولة، فوضعت حدًّا أبديًّا لهذا النزاع[28]؛ ولم يكن في فتح داخل شبه الجزيرة الصحراوي مطمع لفاتح، لقلة خيراتها وصعوبة تسيير الجيوش إليها، كما لم تكن مدن الحجاز لتزيد على كونها محطات تجارية تنزلها القوافل للراحة والتزود؛ ولذلك لم نسمع عن غزو وجه إلى داخلية شبه الجزيرة أو إلى مدنها الواقعة على طرق التجارة بل كان الأمر مهادنة رؤساء القبائل الضاربة على جنبات طرق التجارة، فكان يحمل لهم تجاراتهم دون أجر؛ وبذلك ربط هاشم مصالح القبائل الاقتصادية بمصلحة مكة، وكون بذلك شبكة تجارية تربط مكة بما حولها، وبذلك أخذت قريش تسيطر شيئًا فشيئًا على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب، وعظمت قوافلها حتى لتبلغ القافلة الواحدة خمسمائة وألفي بعير تحمل عروض التجارة المختلفة[29].

ولتأمين المدينة المنورة والدفاع عنها وتأديب الأعراب قام النبي ﷺ بتحجيم دور الأعراب كي لا يكون لهم وجود في طرق التجارة، فقد كان الأعراب يشكلون قوة تهديد للقوافل التجارية، وكان المار في مناطق نفوذهم لا يمر إلا بإتاوة تَدفع إليهم، وحينما قامت الدولة الإسلامية لم يجدوا شيئاً منها فجربوا مهاجمتها وتولى هذا كرز الفهري، ولكنه وجد رسول الله ﷺ يطارده إلى سفوان (بالقرب من بدر، وهي مسافة تبعد عن المدينة حوالي 150 كيلا باتجاه الغرب) وقد سمى أهل السير هذه المطاردة غزوة بدر الصغرى، وتعد هذه الغزوة درساً لكل الأعراب فلم يحصل أن أعرابياً سولت له نفسه مهاجمة المدينة بعد هذه المطاردة، ومن ثم لم تدفع الأمة الإسلامية إتاوات لقطاع الطرق بل أجبرتهم على الانسحاب والدخول في اتفاقات مع المسلمين فأمنوا شرهم[30]، ومن هنا يتضح أن دور الأدلاء قد تطور نتيجة لتطور الطرق التجارية والعسكرية وغيرها.

ومن الأهمية بمكان ذكر بعض طرق التجارة في جزيرة العرب، لأن موقع شبه الجزيرة العربية يجعلها محل اهتمام التجار لأنها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، لذا فمعظم التجّار يستخدمون الطرق التجارية فيها لإيصال البضائع للمستهلكين، ومن هنا يتضح كيف برع العرب في مهنة الأدلاء وتفوقوا على الكثير من الأجناس، وهذه الطرق يمكن اختصار بذكر الطرق المهمة ومنها: **طريق مأرب البتراء**: والذي ينطلق من عدن مرورا بقناء وحضرموت ومأرب ثم صنعاء ثم نجران ثم الطائف ثم مكة المكرمة فيثرب وخيبر والعلاء ومدائن صالح ثم يتفرع إلى فرعين الأول إلى تيماء ثم العراق والثاني إلى البتراء فبلاد الشام ومصر[31]، ومنها: **طريق مأرب جره (جرعا)**: وينطلق من مأرب إلى نجران ويتجاوز رمال الربع الخالي باتجاهه إلى وادي الدواسر فالأفلاج ثم اليمامة ثم الهفوف فالجرعا أو جرها على ساحل الخليج العربي[32]، وهناك: **طريق جرها البتراء**: ينطلق من جرها فالهفوف ثم شمال اليمامة الرياض حاليا فبريدة ثم حائل فتيماء حتى يصل إلى البتراء[33]، أما **الطريق العراقي إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة**: فينطلق من الكوفة فالقادسية فالمغيثة فالقرعاء ثم واقصة ثم العقبة فالرسالة فالشقوق ثم الباطن والخزيمة والأخضر ثم فيد ثم توز فسميراء والحاجر ومعدن والنقرة والعسيلة ثم بطن نخل

---

(27) محمد بن إسحاق : **سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي)**، ص5.

(28) أحمد الشريف: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ**، ص131.

(29) السابق: ص 132- ص 175.

(30) علي محمد الصلابي: **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، ص: 374.

(31) عبدالباسط مصطفى الرفاعي: **طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الأول**، ص398.

(32) السابق: ص398.

(33) السابق: ص399.



فالطرف ثم المدينة المنورة فالسيالة فالردهاء ثم الرويثة والعرج والسقيا والأبواء فالجحفة ثم عسفان مرورا بمر الظهران ووصلا إلى مكة المكرمة[34]، ولا شك بان المتأمل في هذه الدروب والمسالك والطرق المهمة في جزيرة العرب تحتاج إلى خبراء ماهرين في معرفة كل صغيرة وكبيرة عنها وهم الأدلاء الماهرون الذين برعوا في رسم خط سير تلك القوافل، ثم الجيوش الإسلامية الفاتحة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن العجيب أن مهمة الأدلاء استمرت عبر العصور إلى وقتنا الحاضر إذ نجد في التاريخ الحديث أن ابن ماجد قد دل فاسكو دا غاما على اكشاف الطريق الموصل من بحر العرب إلى الهند، وكذلك قدمت عُمان للمكتشفين البريطانيين البيرتون وسبيك المساعدات والأدلاء لاكتشاف مناطق شرق ووسط إفريقيا[35] .

أما النبي ﷺ وتعامله مع أصحابه ﷺ وتعامل أصحابه معه فقد كانت غاية في الدقة والأدب والاحترام، ولا يمكن أن يكون هذا التوافق لإلا بعد محبة واحترام وتقدير وإيمان غلّب حب الرسول ﷺ على حب المال والنفس والذرية، فمحبة النبي ﷺ شرط من شروط الإيمان[36] قال ﷺ: (فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[37].

من خلال ما سبق يتضح أهمية الدليل في إرشاد سالك الطرق البرية التي تحفها المخاطر، ونظرا لأهمية الأدلاء في الطرق خاصة في أثناء رسم السياسة العسكرية للغزوات والسرايا في عصر صدر الإسلام اتخذ النبي ﷺ من الأداء عونا له في الغزوات والسرايا سعيا في تجنب المسلمين للمخاطر، والوصول إلى الهدف بسرعة وسريّة تامة، ومن هذا الباب جاءت هذه الدراسة لتتبع استخدام الأدلاء في البعوث والغزوات والسرايا ثم الفتوح الإسلامية فيما بعد.

(34) عبدالباسط الرفاعي: **طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الأول**، ص399.

(35) رأفت غنيمي الشيخ: **دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، ص64-65.

(36) عبدالسلام آل عيسى: **القيادة العسكرية من خلال سيرة النبي ﷺ**، ص217.

(37) البخاري: **الصحيح**، 14/1.

الفصل الثاني: بعض الأدلاء الذين استعان بهم رسول الله ﷺ:

أولا: الأدلاء الذين استعان بهم رسول الله ﷺ في المغازي والسرايا والبعوث:

بذل النبي ﷺ جهدا عظيما في نشر الدعوة، وقد غزى وأرسل السرايا والبعوث واختلف في عدد الغزوات والسرايا، لكن هذا الأمر لن أطيل فيه كثير بل سأورد الروايات الصحيحة التي وردت في هذا وأولها رواية الإمام البخاري إذ روى (عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ¢: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ، قُلْتُ: " كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ)[38]، أما ابن إسحاق فقال: (وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، مِنْهَا غَزْوَةُ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطَ، مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى، يَطْلُبُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، الَّتِي قَتَلَ اللَّهُ فِيهَا صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ، حَتَّى بَلَغَ الْكُدْرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ، يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرَانَ، مَعْدِنٌ بِالْحِجَازِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْآخِرَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، مِنْ هُذَيْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ لَا يُرِيدُ قِتَالًا فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمَّ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ، ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوكَ؛ قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ، وَالْمُصْطَلِقِ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ)[39]، (وَكَانَتْ بُعُوثُهُ ﷺ وَسَرَايَاهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ، مِنْ بَيْنَ بَعْثٍ وَسَرِيَّةٍ: غَزْوَةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ ذِي الْمَرْوَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْزَةَ ابْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَاحِلَ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْعِيصِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُقَدِّمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ، وَغَزْوَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْخَرَّارَ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْن جَحْشٍ نَخْلَةَ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقَرَدَةَ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ، وَغَزْوَةُ مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الرَّجِيعَ، وَغَزْوَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو بِئْرَ مَعُونَةَ، وَغَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا القصّة، وَغَزْوَةُ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ تُرْبَةَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيٍّ ابْن أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنَ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ

(38) الصحيح: باب كم غزا النبي ﷺ، ص537. ورواه مسلم في **صحيحه**: باب عدد عمر النبي ﷺ، 916/2.

(39) ابن هشام: **السيرة**، 608/2-609.





كَلْبِ لَيْثٍ، الْكَدِيدَ، فَأَصَابَ بَنِي الْمُلَوَّحِ)[40]، وورد عند ابن سعد: (كَانَ عَدَدُ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي غَزَا بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، وَكَانَتْ سَرَايَاهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً)[41]، و(قال السهيلي: وإنما جاء الخلاف لأن غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادي القرى، فجعلهما ابن إسحاق غزوة واحدة، وقيل: خمسا وعشرين، ولعبد الرزاق بسند صحيح عن ابن المسيب: أربعا وعشرين. وعند أبي يعلى بإسناد صحيح عن جابر: أنها إحدى وعشرين غزاة، وروى الشيخان والترمذي عن زيد بن أرقم: أنها تسع عشرة، وفي خلاصة السير للمحب الطبري جملة، المشهور منها: اثنتان وعشرون، ويمكن الجمع على نحو ما قال السهلي بأن من عدها دون سبع وعشرين نظر إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره، فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة، فضم للأبواء بواطا لقربهما جدا؛ إذ الأبواء في صفر، وبواط في ربيع الأول، وضم حمراء الأسد لأحد، لكونها صبيحتها. وقريظة للخندق، لكونها ناشئة عنها وتلتها. ووادي القرى لخيبر، لوقوعها في رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة، والطائف لحنين، لانصرافه منها إليها، فبهذا تصير اثنتين وعشرين، وإلى هذا أشار الحافظ، فقال: بعد نقل كلام السهيلي المار، وقول جابر: إحدى وعشرين، فلعل الستة الزائدة من هذا القبيل)[42]، ويقول محمد سيد طنطاوي: (وقال ابن عبدالبر: كانت بعوثه وسراياه خمسا وثلاثين، ويبدو أن رأي ابن سعد هو الرأي الراجح لأن المحصي بدقة وعناية للسرايا والبعوث التي تمت في العهد النبوي يجدها قريبة مما قال)[43]، والحقيقة أن تلك الغزوات والبعوث والسرايا كان لها تخطيط مسبق وإعداد مهم لتحقيق أعلى درجات السلامة للمجاهدين وتحقيق النصر بإذن الله، إذ كان ﷺ يجهز السرايا والبعوث بالعدد والعدة ويوصيهم ثم يأمرهم بالانطلاق تحفهم رعاية الله وعنايته وتوفيقه، وكانت معظم أوجل تلك الغزوات والسرايا يرشدهم دليل في طريقهم من أهل الخبرة والدراية بالدروب وأسرارها، ومن المؤسف أن المصادر لم تمدنا بالشيء الكثير عن أولئك الأدلاء وهي من الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا المجال، وسأتناول أدلاء غزوات وسرايا وبعوث العهد النبوي بالترتيب قدر المستطاع.

(40) السابق/2/609.
(41) **الطبقات الكبرى**: 2/5.
(42) الزرقاني: **شرح على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، 2/220.
(43) **السرايا الحربية في العهد النبوي**: ص23. بريك أبو مائلة: **غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية.**

الهجرة إلى أرض الحبشة:

أول الأخبار التي تصافحنا حينما نستعرض السيرة النبوية والتي تحتاج إلى دليل في الطريق ومعرفة بأسرار البلاد التي يتجهون إليها هي الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، (قال ابن إسحاق فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية من اللَّه تعالى ثم من عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل اللَّه تعالى لكم فرجا مما أنتم فيه)، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى اللَّه تعالى بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الإسلام)[44]، وقد خرج في هذه الهجرة عدد من وجهاء الصحابة منهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام رضي الله عنه، ومصعب بن عمير رضي الله عنه، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها[45] وغيرهم، لكن الروايات والمصادر التي بين يدي لم تذكر أنهم اتخذوا دليلا، والسبب فيما يظهر أن معظم تجار قريش وعامتهم يعرفون الحبشة وطرقها وأسواقها جيدا وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف من كبار تجار قريش وهذا يوضحه ما ورد عند الواقدي في شأن سرية القردة حينما حولت قريش طريق قافلتها إلى طريق العراق بدلا من الطريق الشامي: و(كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَذِرَتْ طَرِيقَ الشّامِ أَنْ يَسْلُكُوهَا، وَخَافُوا من رسول الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانُوا قَوْمًا تُجّارًا، فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ: إنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ قَدْ عَوّرُوا عَلَيْنَا مَتْجَرَنَا، فَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَصْحَابِهِ، لَا يَبْرَحُونَ السّاحِلَ، وَأَهْلُ السّاحِلِ قَدْ وَادَعَهُمْ وَدَخَلَ عَامّتُهُمْ مَعَهُ، فَمَا نَدْرِي أَيْنَ نَسْلُكُ، وَإِنْ أَقَمْنَا نَأْكُلُ رُءُوسَ أَمْوَالِنَا وَنَحْنُ فِي دَارِنَا هَذِهِ، مَا لَنَا بِهَا نِفَاقٌ، إنّمَا نَزَلْنَاهَا عَلَى التّجَارَةِ، إلَى الشّامِ فِي الصّيْفِ وَفِي الشّتَاءِ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؛ قَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطّلِبِ: فَنَكّبْ عَنَ السّاحِلِ، وَخُذْ طَرِيقَ الْعِرَاقِ)[46]، ففي هذا النص يتضح أن تجارة قريش في فصل الشتاء تكون لأرض الحبشة ومن هنا يتضح درايتهم بالدروب ووسائل المواصلات وكل ما يتعلق بسلامة المهاجرين.

(44) ابن هشام: **السيرة**، 1/300.
(45) السابق: 2/301–308.
(46) **المغازي**: 1/183.





ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف:

نطالع خبر ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف ولم يأخذ ﷺ معه دليلا أو مرشدا له في طريقه، (قال ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ)[47]، وورد عند البخاري (عن أَبِي هُرَيْرَةَ ¢، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ)[48]، ومن هنا يتضح أن (النبي ﷺ عمل أول شبابه وكان يرعى الغنم؛ وكان قد رعاها في بني سعد فيما يروى، وكان يرعاها في مكة على قراريط، وقد عمل بالتجارة في مال خديجة ~، وذلك ما ينبئ به الرسول ﷺ عن نفسه)[49]، وهو ما أكسبه معرفة في الطرق والمسالك التي بين مكة والطائف، وهذا ما يفسر لنا عدم استعانته بدليل عند ذهابه إلى الطائف يستنصر ثقيف

.

الهجرة إلى المدينة ودليلها عبدالله بن أريقط:

حينما أذن الله´ لنبينا وحبيبنا ﷺ بالهجرة إلى المدينة كان من بين ترتيباته لهذا الحدث العظيم استئجار دليلا يدله على الطريق عارفا بأسراره مبعدا عن كشف هذا الحدث الكبير لكفار قريش حتى لا يصيبه ومن معه سوء أو ينالون منه ما يخططون له، فقد ورد في الصحيح عَنْ عائشة ~ قالت: (اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاَثٍ، فَارْتَحَلاَ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ)(50)، وقد فصّل ابن إسحاق في الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في طريق هجرته مع الدليل عبدالله بن أريقط ويقال ابْنُ أرْقَطْ فقال: فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا سَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَجَ، ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا، حَتَّى عَارَضَ بِهِمَا الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيْدًا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ، فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْمَرَّةِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا لِقْفا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَحَاجٍّ- وَيُقَالُ: مِجَاحٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ- ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا مَرْجِحَ مَحَاجٍّ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضْوَيْنِ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعُضْوَيْنِ- ثُمَّ بَطْنَ ذِي كَشْرٍ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمَا عَلَى الْجَدَاجِدِ، ثُمَّ عَلَى الْأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ، مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلَجَةِ تِعْهِنَ؛ ثُمَّ عَلَى الْعَبَابِيدِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْعَبَابِيبُ، وَيُقَالُ: الْعِثْيَانَةَ، يُرِيدُ: الْعَبَابِيبَ؛ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا الْفَاجَّةَ، وَيُقَالُ: الْقَاحَّةُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ؛ قال ابن النجار: (وعن نجيح بن أفلح مولى بني ضمرة قال: سمعت بريدة بن الحصيب[51] يخبر أنه بعث يسارا غلامه مع النبي ﷺ وأبي بكر ¢ من الحروات، قال وهي مضوع أسفل من ثنية هرشى، يدلهما على العابرين ركوبة، قال يسار فخرجت حتى صعدت الثنية فرجزت به قولت:

هذا أبو القاسم فاستقيمي   تعرّضي مدارجا وسومي

تعرّض الجوزاء للنجومي

قال: فلمّا علوا ظهر الظهيرة حضرة الصلاة، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، فقام أبو بكر ¢ عن يمينه، وقمت عن يمين أبي بكر، ودخلني الإسلام، فدفع رسول الله ﷺ صدر أبي بكر ¢ فأخره وأخرني أبو بكر فصففنا، ثم خرجنا حتى قدمنا المدينة بكرة وكان يوم الاثنين)[52]، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِمَا بَعْضُ ظَهْرِهِمْ، فَحَمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهُ:

---

(47) ابن هشام: **السيرة**، 382/1-383.

(48) **الصحيح**: باب رعي الغنم على قراريط، 88/3. الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص441.

(49) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، 10/1.

(50) **الصحيح**: باب استئجار المشركين عند الضرورة، 88/3.

(51) بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عديّ بن سهم بن مازن ابن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي، قال ابن السّكن: أسلم حين مرّ به النبيّ ﷺ مهاجرا بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك. وقيل: أسلم بعد منصرف النبيّ ﷺ من بدر، وسكن البصرة لما فتحت، وفي الصّحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة، وقال أبو عليّ الطّوسيّ أحمد بن عثمان صاحب ابن المبارك: اسم بريدة عامر، وبريدة لقب، وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحوّل إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية، قال ابن سعد: مات سنة ثلاث وستين. (ابن حجر: **الإصابة**، 418/1).

(52) **الدرّة الثمينة في أخبار المدينة**: ص75.

أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ[53]، عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الرِّدَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَعَثَ مَعَهُ غُلَامًا لَهُ، يُقَالُ لَهُ: مَسْعُودُ بْنُ هُنَيْدَةَ[54]، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنْ الْعَرَجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ وَيُقَالُ ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا قُبَاءٍ، عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَكَادَتْ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ[55]، وساق ابن الأثير أن (سعد العرجي دليل النَّبِيّ ﷺ لما هاجر إِلَى المدينة من العرج إليها، روى عنه ابنه عَبْداللَّهِ، أَنَّهُ قال: كنت دليل رَسُول اللَّهِ ﷺ من العرج إِلَى المدينة)[56]، وأيا كان دليل النبي ﷺ في هذه المرحلة فإن ذلك يثبت أنه اتخذ دليلا يوصله إلى غايته ﷺ، وفي هذا التدبير الدقيق والحرص من رسول الله ﷺ يتضح أهمية الدليل في الطريق التي يجهلها الإنسان، فقد وفى ابن أريقط بما عاهد عليه، لكن مهمته لم تنته بعد إذ تولى مهمة جديدة إذ أن أبا بكر رضي الله عنه بعد أن وصل مع النبي ﷺ أرسل عبدالله بن أريقط مع زيد ليأتيه بأهله[57].

عدد من الغزوات والسرايا والبعوث التي لم يذكر اتخاذها لدليل في خط سيرها:

لن أدخل في ذكر الخلافات حول ترتيب الغزوات والسرايا لأنني اعتمد في ترتيبها على ما أورده ابن هشام في السيرة، واستشرف واستعين بالمغازي للواقدي، والملاحظ أن غزوة الأبواء وهي أول غزوة للنبي ﷺ، لم يذكر أنه استعان بدليل للوصول إلى تلك المنطقة، وقد ورد في العديد من المصادر أنه لم يخرج بالأنصار[58] من المدينة إلا في غزوة بدر القتال بل إن السرايا والغزوات قبل بدر خرج المهاجرون فيها دون الأنصار[59]، وهذا الأمر يجعل الباحث يعتقد بأنه لا بد لكل سرية وغزوة من دليل، لأن المنطقة لا يعرف أسرارها إلا أهلها، وفيما يظهر أن غزوة الأبواء قد استعان بأوس الأسلمي أو مسعود بن هنيدة أو سعد العرجي، لأنهم على الطريق ويعرفون أسرار المنطقة جيدا، وكذا فعل النبي ﷺ في السرايا التي وجهها بقيادة عبيدة بن الحارث ¢ إلى ثنية المرة(60) بالقرب الجحفة[61]، وفي سرية حمزة بن عبدالمطلب ¢ إلى سيف البحر[62]، أو ربما استعان بقبيلة جهينة ورجالها ليدلوهم على الطريق، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى التي بلغها النبي ﷺ ورجع إلى المدينة ولم يلق كيدا[63]، و (بُوَاطُ: بُوَاطَانِ، وَادِيَانِ أَحَدُهُمَا يَصُبُّ فِي إِضَمٍ غَرْبَ الْمَدِينَةِ عَلَى قَرَابَةِ (55) كَيْلًا، وَالْآخَرُ يُقَاسِمُهُ الْمَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَيَصُبُّ فِي فَرْعَةٍ يَنْبُعَ غَرْبًا، وَرَأْسَاهُمَا يَنْحَدِرَانِ مِنْ رِيعٍ يُسَمَّى رِيعَ بُوَاطٍ، يَأْخُذُهُ طَرِيقٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَيَنْبُعَ، مُخْتَصَرٌ وَأَقْرَبُ كَثِيرًا مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إلَى يَنْبُعَ مُرُورًا بِوَادِي الصَّفْرَاءِ، وَهُوَ غَيْرُ صَالِحٍ لِسَيْرِ الثِّقَالِ)[64]، والمدقق في الأمر يجد ان الطريق الذي سلكه النبي ﷺ طريق غير مطروق للقوافل لأنه غير صالح لسير الثقال، مما يحتم اتخاذ دليل ماهر وعارف بالطريق إما من قبيلة جهينة أو عذرة، وربما رجال جهينة أعرف بالطريق بشكل أدق لأنها ديارهم وحماهم، والمتأمل في روايات السيرة يجد أن النبي ﷺ لم يسلك ذلك الطريق في غزوة العشيرة رغم أن الهدف قريب من بعضه والطريق الأول أقرب من طريق وادي الصفراء لكنه فضل السير مع وادي الصفر وكان طريقه إلى العشيرة كما روى ابن إسحاق أنه: (سلك عَلَى نَقْب بَنِي دِينَارٍ، ثُمَّ عَلَى فَيْفاء الخَبار فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِبَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ السَّاقِ، فَصَلَّى عِنْدَهَا. فثَمَّ مَسْجِدُهُ ﷺ، وصُنع لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ، وَأَكَلَ الناسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أثافِيِّ البُرْمة مَعْلُومٌ هُنَالِكَ، واستُقِيَ لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ: الْمُشْتَرَب، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَكَ الخلائقَ بِيَسَارٍ وَسَلَكَ شُعبةً يُقَالُ لَهَا: شُعبة عَبْدِاللَّهِ، وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمُ، ثُمَّ صَبَّ لِلْيَسَارِ حَتَّى هَبَطَ يَلْيَل، فَنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعِ الضَّبُوعة، وَاسْتَقَى مِنْ بِئْرٍ بالضَّبوعة، ثُمَّ سَلَكَ الفَرْش: فَرْشَ مَلَلٍ، حَتَّى لَقِيَ الطريقَ بصُحَيْرات الْيَمَامِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقُ، حَتَّى نَزَلَ العُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ؛ فَأَقَامَ بِهَا جمادَى الْأُولَى وَلَيَالِيَ من جمادَى الآخرة، ووادعَ فِيهَا بَنِي مُدلج وحلفاءَهم مِنْ بَنِي

(53) أوس بْن عَبْد اللَّهِ بْن حجر الأسلمي وقيل: أوس بْن حجر الأسلمي، وقيل: أَبُو أوس تميم بْن حجر الأسلمي، قيل: كنيته أَبُو تميم، أسلم بعد قدوم رَسُول اللَّهِ ﷺ المدينة، وكان يسكن العرج. (ابن الأثير: **أسد الغابة**، 324/1). بريك أبو مائلة: **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**.

(54) مسعود بن هنيدة الأسلميّ، أعتقه أبو تميم أوس بن حجر، وكان دليل النبي ﷺ في المريسيع، أسلم قديما حين مرّ بهم في الهجرة. (ابن حجر: السابق، 154/10-155).

(55) ابن هشام: **السيرة**، 44/2.

(56) **أسد الغابة**: 446/2.

(57) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، 276/3.

(58) ذكر الواقدي أن نصف السرايا من الأنصار ونصفها من المهاجرين. (**المغازي**: 20/1).

(59) ابن هشام: السابق، 524/2-528.

(60) ابن هشام: **السيرة**، 524/2.

(61) عاتق البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة**، ص112.

(62) ابن هشام: السابق، 527/2.

(63) السابق: 530/2.

(64) البلادي: السابق، ص50.





ضَمْرة، ثُمَّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يلقَ كَيْدًا)[65]، ولم تذكر الروايات أن النبي ﷺ اتخذ دليلا في هذه الغزوة لكن المتتبع للطريق يجد فيه خبرة الدليل الماهر العارف بكل تفاصيل الأرض والشعاب والجبال وصولا إلى بطن ينبع، وفيما يظهر أن معه دليل ماهر إما من قبيلة جهينة أو أسلم أو غفار، والأقرب أن دليله من قبيلة أسلم، والله تعالى أعلم.

وتتابعت السرايا والغزوات إذ بعث النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص ¢ حتى بلغ الخرار[66] من أرض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيدا[67]، ولم تذكر الروايات أنه اتخذ دليلا في غزوة صفوان وهي غزوة بدر الأولى التي لا حق فيها النبي ﷺ كرز بن جابر الفهري إلى وادي سفوان[68] ولم يلحق به ثم رجع إلى المدينة[69]، ولم تذكر المصادر التي بين يدي دليلا لسرية عبدالله بن جحش ¢ إلى نخلة بين مكة والطائف[70]، ولا شك بأن عبدالله بن جحش وأصحابه الثمانية عشر وكلهم من المهاجرين عارفين بالطريق الذي يوصلهم إلى نخلة، لأن المكان بين مكة والطائف وهي ديار ومرتع المهاجرين ٪ فدليلهم منهم وفيهم.

غزوة بدر الكبرى:

لن أدخل في تفاصيل غزوة بدر الكبرى والذي لم تذكر المصادر أن النبي ﷺ استعان بدليل للوصول إلى هدفه[71]، وفيما يظهر أن النبي ﷺ قد أخذ معه من له دراية في هذا الطريق خاصة أن الأنصار قد شاركوا في هذه الغزوة وهم أهل دراية بالطريق إذ أن بدر فيها سوق يرتاده أهل المدينة في موسمه، كما أن الغزوات والسرايا التي ذهبت مع الطريق ذاته قد زادت المسلمين معرفة في الطريق وأسراره، وإن كنت أرى أن الجيش كان بحاجة ماسة لدليل لأنه لم يحدد وجهته بدقة إذ كان الهدف اعتراض طريق القافلة فأصبح الأمر واقعا في الذهاب إلى بدر للقاء الجيش المشرك، وما دار من حوار بين النبي ﷺ ومن معه في الجيش دليل على وجود عارفين بالديار وخبراء بأسمائها وطريقه الذي اختاره يدل على معرفة بالديار إذ سلك (طَرِيقَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى مَكَّةَ، عَلَى نَقْبِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ عَلَى الْعَقِيقِ، ثُمَّ عَلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ عَلَى أُولَاتِ الْجَيْشِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ذَاتِ الْجَيْشِ، ثُمَّ مَرَّ عَلَى تُرْبَانَ، ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ، ثُمَّ غَمِيسِ الْحَمَامِ مِنْ مَرَيَيْنِ، ثُمَّ عَلَى صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ عَلَى السَّيَّالَةِ، ثُمَّ عَلَى فَجِّ الرَّوْحَاءِ، ثُمَّ عَلَى شَنُوكَةَ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُعْتَدِلَةُ، حَتَّى إذَا كَانَ بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَجْسَجَ، وَهِيَ بِئْرُ الرَّوْحَاءِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا، حَتَّى إذَا كَانَ بِالْمُنْصَرَفِ، تَرَكَ طَرِيقَ مَكَّةَ بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى النَّازِيَةِ، يُرِيدُ بَدْرًا، فَسَلَكَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا، حَتَّى جَزَعَ وَادِيًا، يُقَالُ لَهُ رُحْقَانُ، بَيْنَ النَّازِيَةِ وَبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ، ثُمَّ عَلَى الْمَضِيقِ، ثُمَّ انْصَبَّ مِنْهُ، حَتَّى إذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الصَّفْرَاءِ، بَعَثَ بَسْبَسَ الْجُهَنِيَّ حَلِيفَ بَنِي سَاعِدَةَ، وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الزَّغْبَاءِ الْجُهَنِيَّ حَلِيفَ بَنِي النَّجَّارِ، إلَى بَدْرٍ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ؛ ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَدِمَهَا فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الصّفراء، وَهِي قريبَة بَيْنَ جَبَلَيْنِ، سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا؟ فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا، هَذَا مُسْلِحٌ، وَلِلْآخَرِ: هَذَا مُخْرِئٌ وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا، فَقِيلَ: بَنُو النَّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُرُورَ بَيْنَهُمَا، وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا؛ فَتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالصَّفْرَاءَ بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ: ذَفِرَانَ، فَجَزَعَ فِيهِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَفران، فَسَلَكَ عَلَى ثَنايا، يُقَالُ لَهَا: الْأَصَافِرِ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ: الدَّبَّةُ، وَتَرَكَ الْحَنَّانَ بِيَمِينٍ وَهُوَ كَثِيب عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ)[72]، واختيار الطريق وسؤال النبي ﷺ عن الجبلين ومن يسكنهما يدل على وجود دليل خبير بالديار أهلها ومسالكها وجبالها وأوديتها، واختياره لطريق آخر غير الطريق الذين كانوا معه دليل آخر على ما ذهبت إليه، كما أن تركهما لطريق مكة المكرمة والذهاب مع طريق آخر عند انتصاف الطريق أمر يجعل وجود الدليل ظاهرا، والله تعالى أجل وأعلم.

غزوة الكُدْر – وغزوة السويق:

بعد غزوة بدر بسبع ليال غزا رسول الله ﷺ بنفسه يريد بني سليم وهي غزوة الكُدْرِ[73] ولم تذكر المصادر من هو دليلهم في هذه

---

(65) ابن هشام: **السيرة**، 2/530-531.

(66) الْخَرَّارُ، وَادٍ، هُوَ وَادِي الْجُحْفَةِ وَغَدِيرِ خَمٍّ، يَقَعُ شَرْقَ رَابِغ عَلَى قَرَابَةِ (25) كَيْلًا. عاتق البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة**، ص112

(67) ابن هشام: السابق، 2/532.

(68) سَفْوَانُ: مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ، لَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ مَوْضِعٌ بِاسْمِ سَفْوَانَ، إنَّمَا هُنَاكَ وَادٍ يُسَمَّى «سَفَا» بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَبَدْرٍ فِي مُنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ. (البلادي: السابق، ص158).

(69) ابن هشام: السابق، 2/532.

(70) السابق: 2/533.

(71) السابق: 2/537. البخاري: **الصحيح**، ص476.

(72) ابن هشام: **السيرة**، 3/542-545.

(73) السابق: 3/41.

الغزوة، والكدر: ماء لغطفان يقع شرق المدينة[74] بينها وبينه 70 كيلا تقريبا، ثم يطالعنا ابن هشام بغزوة السويق حين (غَزَا أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ غَزْوَةَ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ رَجَعَ إلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَخرج فِي مِائَتَي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، لِيَبَرَّ يَمِينَهُ، فَسَلَكَ النَّجْدِيَّةَ، حَتَّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاةٍ إلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: ثَيْبٌ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ اللَّيْلِ، حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حُيَيَّ ابْنَ أَخْطَبَ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ إلَى سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَرَّاهُ وَسَقَاهُ، وَبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْا نَاحِيَةً مِنْهَا، يُقَالُ لَهَا: الْعَرِيضُ، فَحَرَقُوا فِي أَصْوَارٍ مِنْ نَخْلٍ بِهَا، وَوَجَدُوا بِهَا رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْثٍ لَهُمَا، فَقَتَلُوهُمَا، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَنَذِرَ بِهِمْ النَّاسُ؛ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِمْ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَوْا أَزْوَادًا مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ قَدْ طَرَحُوهَا فِي الْحَرْثِ يَتَخَفَّفُونَ مِنْهَا لِلنَّجَاءِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ، حَيْنَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَطْمَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً؟ قَالَ: نَعَمْ)[75].

شأن غزوة غطفان بذي أمر ودليل الجيش جبّار بن ثعلبة:

كانت الغزوة في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة إذ خرج النبي ﷺ إلى نجد قاصدا غزو غطفان في ذي أمر، إذ خرج على المنقّى ثم سلك مضيق الخبيت ثم خرج إلى ذي القصة فأصاب رجلا منهم بذي القصة يقال له جبّار بن ثعلبة، وأخبرهم عن وجهته وأن دعثور بن الحارث قد جمع أناسا من قومه عزل، فأدخلوه على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام وأسلم، وقال: يا محمد إنهم لن يلاقوك، إن سمعوا بمسيرك هربوا في رءوس الجبال، وأنا سائر معك أدلك على عوراتهم، فخرج به النبي ﷺ وضمه إلى بلال، فأخذ به طريقا

(74) البكري: **معجم ما استعجم**، 1065/3.

(75) ابن هشام: **السيرة**، 41/3-42.

أهبطه عليهم من كثيب وهربت منه الأعراب فوق الجبال..[76]، من هنا يتضح أن جبّار كان دليلا صادقا وعرافا بالأرض وأسرارها، وكان له الفضل بعد الله في وصول الجيش إلى غايته بسرعة وسرية مما أدى بعد فضل الله إلى انتصار المسلمين في هذه الغزوة.

غزوة بني سليم ببحران بناحية الفرع:

في السنة الثالثة وفي شهر جمادى الأولى بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من بني سليم كثيرا ببحران وهو: (جَبَلٌ يَضْرِبُ إلَى الْخُضْرَةِ وَالسُّمْرَةِ، بَيْنَ وَادِي حَجَرٍ الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِالسَّائِرَةِ، وَمَرٍّ عُنَيْبٍ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِمَرٍّ وَبِوَادِي رَابِغٍ، يَقَعُ بُحْرَانُ عِنْدَ الْتِقَائِهِمَا، يَفْتَرِقَانِ عَنْهُ. شَرْقَ مَدِينَةِ رَابِغٍ عَلَى (90 كَيْلًا)[77]، ثم أغذوا السير حتى إذا كان بينهم وبين بحران ليلة لقي رجلا من بني سليم فاستخبره عن القوم وعن جمعهم، فأخبرهم أنهم قد افترقوا أمس ورجعوا إلى مائهم فأمر النبي ﷺ فحبس مع رجل من القوم ثم سار النبي ﷺ حتى ورد بحران، وأقام به أياما ورجع ولم يلق كيدا، وأرسل رسول الله ﷺ الرجل[78]، وربما استعان الجيش بما عند هذا الرجل من معلومات عن الطريق، ولا أستبعد ان يكون مع الجيش دليلا من المدينة خاصة أن رسول الله ﷺ لم يظهر وجها في هذه الغزوة.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة:

وفي سرية أرسلها رسول الله ﷺ بقيادة زيد بن حارثة ¢ إلى القردة وهي ماء من مياه نجد لاعتراض عير لقريش حينما خططوا لترك الطريق الشامي والتوجه مع طريق العراق وكان دليل قريش فرات بن حيان[79] وقد أصاب زيد العير والمال وأفلت الرجال منه[80]، والملاحظ أن فرات ابن حيان بعد إسلامه سيصبح دليلا للجيش الإسلامي في عدة جبهات.

غزوة أحد ودليل جيشها أَبُو خَيْثَمَةَ ﷺ:

يأتي ذكر غزوة أحد ضمن الغزوات التي استخدم فيها النبي ﷺ الأدلاء على الرغم من أن الغزوة في حدود المدينة وفي جهتها الشمالية إلا أن رسول الله ﷺ اتخذ له أدلاء ليدلوه على الطريق،

(76) الواقدي: **المغازي**، 180/1.

(77) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص40.

(78) الواقدي: **المغازي**، 182/1.

(79) فرات بن حيان: سيأتي الحديث عنه في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى.

(80) السابق: 183/1. ابن هشام: **السيرة**، 46/3.

وهـذا مـا يؤكـد أن غزواتـه وبعوثـه وسراياه لم تخـل مـن الأدلاء، فحينما (صلّى النبي ﷺ الصّبح، قال: «أين الأدلّاء؟ من رجل يخرج بنا من كثب لا يمرّ بنا عليهم؟»، فقام أبو خيثمة الحارثيّ كذا عند ابن إسحاق بخاء معجمة، وعند ابن سعد وغيره: حتمه)[81]، (ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ: أَيْ مِنْ قُرْبٍ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ، فَلَمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: إنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي! وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاَللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ؛ فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقْتُلُوهُ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ، أَعْمَى الْبَصَرِ. وَقَدْ بَدَرَ إلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ، فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ، فَشَجَّهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ الشِّعْبَ مِنْ أُحُدٍ، فِي عُدْوَةِ الْوَادِي إلَى الْجَبَلِ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إلَى أُحُدٍ)[82]، وأبو حثمة هو والد سهل بن أبي حثمة، واسمه: عبدالله، وقيل: عَامِر بن ساعدة بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو بن مالك ابن الأوس الأنصاري الأوسي الحَارِثِيّ، شهد أحدا مع رسول الله ﷺ وَكَانَ دليله إلى أحد، وشهد معه خيبر، وأعطاه بخيبر سهمه وسهم فرسه، وشهد المشاهد بعد خيبر، وَكَانَ: النَّبِيّ ﷺ وَأَبُو بكر، وعمر، وعثمان ٪ يبعثونه خارصا، توفي أول خلافة معاوية ¢[83]، والحقيقة أن هذا الأمر يبين مدى حرص النبي ﷺ على سريّة تحركاته وسلامة جيشه لأن الدليل لا يدع مجالا للاجتهاد، وبذلك يحقق الجيش مباغتة العدو ولا يترك مجالا للاجتهاد الذي ربما يؤثر عل نفسيات الجيش وحالتهم المعنوية.

(81) انظر: البخاري: **الصحيح**، ص487. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 178/4.

(82) ابن هشام: **السيرة**، 58/3. الخزاعي: **تخريج الدلالات السمعية**، ص441 – 442.

(83) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 120/3. وابن حجر: **الإصابة**، 164/3. وأبو نعيم: **معرفة الصحابة**، 2866/5.

يوم الرجيع والأدلاء هم رهط عضل والقارة:

ما يخص يوم الرجيع في سنة ثلاث فالأدلاء لهذا البعث هم رهط عضل والقارة[84] لأنهم هم من طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم من يقرئونهم القرآن ويعلمونهم شرائع الإسلام، و(عَضَلٌ: بَطْنٌ مِنْ بَنِي الْهَوْنِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ يُنْسَبُونَ إلَى عَضَلِ بْنِ الدِّيشِ بْنِ مُحَكِّمٍ، وَأَمَّا الْقَارَةُ: فهم بَطْنٌ مِنَ الْهَوْنِ أَيْضًا يُنْسَبُونَ إلَى الديش، وَقَالَ بن دُرَيْدٍ: الْقَارَةُ أَكَمَةٌ سَوْدَاءُ فِيهَا حِجَارَةٌ كَأَنَّهُمْ نَزَلُوا عِنْدَهَا فَسُمُّوا بِهَا وَيُضْرَبُ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي إِصَابَةِ الرَّمْيِ)[85].

بئر معونة ودليل النفر أبو البراء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة:

أما بعث بئر معونة فكان في صفر في السنة الرابعة من الهجرة، وبئر معونة من أرض بين ديار بني عامر وحرّة سليم، وهي إلى حرة سليم أقرب، وكان دليلهم إلى تلك الديار أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة[86]، لأنه حينما (قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَدَعَاهُ إلَيْهِ، فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَوْ بَعَثْتَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِكَ إلَى أَهْلِ نَجْدٍ، فَدَعَوْهُمْ إلَى أَمْرِكَ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو بَرَاءٍ: أَنَا لَهُمْ جَارٍ، فَابْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إلَى أَمْرِكَ)[87]، وبهذا فهو دليلهم ومجيرهم ونجح في الأولى وفشل في الثانية.

غزوة ذات الرقاع وخبر الأعرابي في سوق النبط:

ومع تسارع الأحداث وتواليها بعد أن نصر اللهُ رسوله ﷺ على بني النضر وأجلاهم في غزوة بني النضير[88]، نجد أن عجلة نشر الإسلام لم تتوقف إذ غزا رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة وسار حَتَّى نَزَلَ نَخْلًا، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

(84) ابن هشام: السابق، 146/3.

(85) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، 379/7.

(86) عامر بْن مالك بْن جَعْفَر بْن كلاب بن ربيعة بْن عامر بْن صعصعة، العامري الكلابي، أَبُو براء وهو ملاعب الأسنة، وهو عم عامر بن الطفيل، أرسل إِلَى النَّبِيّ ﷺ يلتمس منه دواء أو شفاء فبعث إليه بعكة عسل، قلت: الصحيح أن أبا براء لم يسلم، وقال المستغفري: لم يخرجه في الصحابة إلا خليفة بْن خياط. (ابن الأثير: **أسد الغابة**، 138/3).

(87) ابن هشام: **السيرة**، 159/3.

(88) السابق: 164/3.





وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِأَنَّهُمْ رَقَّعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ، وَيُقَالُ: ذَاتُ الرِّقَاعِ: شَجَرَةٌ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ الرِّقَاعِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ غَطَفَانَ، فَتَقَارَبَ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وَقَدْ خَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخَوْفِ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِالنَّاسِ[89]، ولم تذكر المصادر دليل الجيش في هذه الغزوة، وإن كانت هناك إشارة عند الواقدي ربما توضح أن دليل الجيش هو ذاك الأعرابي الذي قدم بجلب له فاشترى من سوق النبط[90] وقالوا: من أين جلبت جلبك؟ قال: جئت من نجد وقد رأيت أنمار وثعلبة قد جمعوا لكم، وأراكم هادين عنهم[91]، فهنا الأعرابي هو من يعرف مكان تجمعهم، وخروج النبي ﷺ بعد ما بلغه قول الأعرابي يوحي باستفادة الجيش من ذلك الأعرابي كدليل، إذ خرج النبي ﷺ وسلك المضيق ثم أفضى إلى وادي الشقرة، ثم سار إلى محال القوم فلم يجدهم!! وهنا فيما يظهر أن سرعة وصوله إلى مكانهم جاء بالاستعانة بذلك الأعرابي كدليل للجيش.

غزوة بدر الآخرة:

ثم خرج النبي ﷺ في شهر شعبان من السنة الرابعة إلى غزوة بدر الآخرة[92] ولم تذكر الروايات من هو دليل الجيش، وإن كان الجيش فيما يظهر وإن احتاج إلى دليل إلا أن المنطقة الواقعة بين بدر وبين المدينة عبرها المسلمون كثيرا، وبدر سوق يأتيها الناس في كل عام، وأهل المدينة لهم تجربتهم التجارية الناجحة، وكذلك موادعتهم للقبائل ومنها قبيلة بني ضمرة وزعيمهم مخشي بن عمرو الذي وادع رسول الله ﷺ في غوته إلى ودان[93]، يقول الواقدي: (وَكَانَ بَدْرٌ الصّفْرَاءُ مَجْمَعًا يَجْتَمِعُ فِيهِ الْعَرَبُ، وَسُوقًا تَقُومُ لِهِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ إلَى ثَمَانِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْهُ، فَإِذَا مَضَتْ ثَمَانِي لَيَالٍ مِنْهُ تَفَرّقَ النّاسُ إلَى بِلَادِهِمْ، ... وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ بِتِجَارَاتٍ لَهُمْ إلَى بَدْرٍ وكان عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ ¢ يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتنَا وَقَدْ قُذِفَ الرّعْبُ فِي قُلُوبِنَا، فَمَا أَرَى أَحَدًا لَهُ نِيّةٌ فِي الْخُرُوجِ، حَتّى أَنْهَجَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ بَصَائِرَهُمْ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ تَخْوِيفَ الشّيْطَانِ، فَخَرَجُوا فَلَقَدْ خَرَجْت بِبِضَاعَةٍ إلَى مَوْسِمِ بَدْرٍ، فَرَبِحْت لِلدّينَارِ دِينَارًا، فَرَجَعْنَا بِخَيْرٍ وَفَضْلٍ مِنْ رَبّنَا، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجُوا بِبَضَائِعَ لَهُمْ وَنَفَقَاتٍ، فَانْتَهَوْا إلَى بَدْرٍ لَيْلَةَ هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَقَامَ السّوقُ صَبِيحَةَ الْهِلَالِ، فَأَقَامُوا ثَمَانِيَةَ أَيّامٍ وَالسّوقُ قَائِمَةٌ)[94]، وإن كنت أرى أن الجيش كان بحاجة لدليل في كل تحركاته فربما وجد الدليل لكن المصادر أغفلت ذكره، خاصة أن المسلمين خرجوا بتجاراتهم والتجار أخبر الناس بالمسالك والطرق، فمن الممكن ان يكون من بينهم دليل للجيش، كما أن القبائل التي يمر بها الجيش إما مسلمة أو موادعة مثل غفار وأسلم وضمرة ومن الممكن الاستفادة منهم في تقديم الخدمات للجيش ومنها أن يكون منهم دليلا أو أكثر.

غزوة دومة الجندل ودليل الجيش مذكور العذري:

وفي شهر ربيع الأول من سنة خمس غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل[95]، وفي هذه الغزوة أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أدنى الشام فإن ذلك يفزع قيصر الروم، وقد ذكر له جمعا كبيرا هناك، وبها سوق عظيم وضوى إليهم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فندب إليهم رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين وقيل: الفين[96]، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له: مذكور هاد خريت، فخرج رسول الله ﷺ مغذا للسير ونكب عن طريقهم، ولما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل وكان بينه وبينها يوم أو ليلة سير الراكب المعتق قال له الدليل: يا رسول الله إن سوائمهم ترعى فأقم لي حتى أطّلع لك، قال رسول الله ﷺ: (نعم)، فخرج العذري طليعة حتى وجد آثار النعم والشاء وهم مغرّبون، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره وقد عرف مواضيعهم، فسار النبي ﷺ حتى هجم على ماشيتهم فأصاب منها من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وأقام النبي ﷺ وبث السرايا وهرب الناس وعاد إلى المدينة[97]، قال ياقوت الحموي: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب

---

(89) ابن هشام: **السيرة**، 176/3.

(90) سوق النبط: هو أحد أسواق المدينة المنورة قديما ويقال له: النبيط. (تنيضب الفايدي: سوق المناخة أسسه رسول الله ﷺ، صحيفة المدينة، 2013/12/27م).

(91) الواقدي: **المغازي**، 333/1. البخاري: **الصحيح**، ص497. مسلم: **الصحيح**، ص520.

(92) ابن هشام: السابق، 180/3.

(93) الواقدي: السابق، 327/1.

(94) الواقدي: **المغازي**، 325/1-26.

(95) ابن هشام: **السابق**، 184/3.

(96) ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 52/6.

(97) الواقدي: **المغازي**، 339/1.

جبلي طيّ كانت به بنو كنانة من كلب، ودومة من القريات من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال، والقريات: دومة وسكاكة وذو القارة، فأما دومة فعليها سور يتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد[98] ، ودَوْمَةُ الْجَنْدَلِ: وهِيَ قَرْيَةٌ فِي الْجَوْفِ، يُشْرِفُ عَلَيْهَا حِصْنٌ مَارِدٌ، حِصْنُ أُكَيْدِرِ الْكِنْدِيُّ[99]، في شمال المملكة العربية السعودية الآن، وقد كان دليل النبي ﷺ في هذه الغزوة مذكور العذري الذي كان نعم الدليل، اختار طريقا وصولوا به في وقت وجيز، ثم استطلع الأمر بنفسه ليخبر النبي ﷺ عن أنعام القوم ليأخذها وينزل اللهُ الرعب في قلوب الأعداء، ولم أجد معلومات كثيرة عن مذكور العذري ¢، لكن الثابت أنه دليل الجيش في غزوة دومة الجندل مع رسول الله ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة، يقول ابن الأثير: (مذكور العذري لَهُ صحبة شهد مع النَّبِيّ ﷺ غزوة دومة الجندل وَكَانَ دليله إليها؛ والنبي ﷺ لَمْ يسر إِلَى دومة الجندل، إنما أرسل إليها جيشا مع خَالِد بْن الْوَلِيد ¢، فربما كَانَ دليل ذَلِكَ الجيش)[100]، والحقيقة أنه كان دليل رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل في غزوة مستقلة في السنة الخامسة من الهجرة النبوية، أما خالد ابن الوليد ¢ فقد أرسله النبي ﷺ إلى دومة الجندل في غزوة تبوك في رجب سنة تسع وهي آخر غزواته ﷺ.

غزوة المريسيع (بنو المصطلق) ودليله مسعود بن هنيدة ﷺ:

في الثاني من شعبان سنة خمس خرج النبي ﷺ لبني المطلق وهم من خزاعة ينزلون ناحية الفرع وهم حلفاء بني مدلج، وكان وقد تمكن من معرفة أحوالهم بعد أن بعث إليهم بريدة بن الحصيب الأسلمي ¢ الذي ربما نعده من أدلاء هذه الغزوة لمعرفته بالطريق، وأصابوا عينا للمشركين بقبعاء لكنه لم يفصح عن مهمته فقتلوه، وكان دليل رسول الله ﷺ إليهم كما ذكرت بعض المصادر مسعودي بن هنيدة ¢، وهو: مسعود غلام فروة الأسلمي، وقيل: مسعود بْن هنيدة، شهد المريسيع مع النَّبِيّ ﷺ هُوَ جد بريدة بْن سفيان بْن فروة؛ ويقال: مسعود هَذَا مولى أَبِي تميم بْن حجر الأسلمي، وذكره مُحَمَّد بْن سعد، فقال: مسعود مولى تميم بْن حجر أَبِي أوس الأسلمي، وهو كَانَ دليل النَّبِيّ ﷺ وقد حفظ عن النَّبِيّ ﷺ فِي المريسيع[101]، وقد حقق الله النصر لرسوله ﷺ، وفي هذه الغزوة حصلت حادثة الإفك[102].

سرية عبدالله بن عتيك ﷺ إلى أبي رافع:

من السرايا التي خلّص الله بها المسلمين من أعدائهم المتربصين بالدين سرية عبدالله بن عتيك ﷺ[103] للتخلص من عدو الله اليهودي سلاّم بن أبي الحقيق أبي رافع في خيبر وهو فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ[104]، وكان تاريخ هذه السرية كما ذكر الواقدي في منتصف السنة الخامسة من الهجرة[105]، وكان دليل هذه السرية فيما يظهر من سياق الرواية هو الصحابي عبدالله بن عتيك ¢ وكانت أمه التي أرضعته يهودية في خيبر، وكان له سابق وصل لها لذا لم تستغرب وجوده في خيبر وحذرته من خصمه حينما اخبرها بمهمته، وبعث معه النبي ﷺ عبدالله ابن أنيس[106] ، وأبي قتادة الحارث بن ربعي[107] ، والأسود ابن خزاعي[108] ، ومسعود بن سنان[109] ﷺ أجمعين؛ وهي من المهام الصعبة والخطيرة التي لا تسند إلا لرجال لهم باع طويل في العمل الاستخباراتي للقضاء على

(98) **معجم البلدان**: 487/2.
(99) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص127.
(100) **أسد الغابة**: 128/5. وانظر: ابن حجر: **الإصابة**، 52/6.

(101) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 159/5.
(102) انظر: إبراهيم قريبي: **مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع**.
(103) عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مريّ بن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج الأنصاري، كذا نسبه ابن الكلبيّ، وخليفة، وابن حبيب، وهو أخو جبر بن عتيك؛ وأما ابن إسحاق فقال: هو أخو جابر ابن عتيك، وتبعه أبو نعيم. (ابن حجر: **الإصابة**، 143/4). (ابن الأثير: **أسد الغابة**، 307/3).
(104) ابن هشام: **السيرة**، 234/3. البخاري: **الصحيح**، ص486.
(105) **المغازي**: 330/1.
(106)عبدالله بن أنيس بن أسعد الجهني القضاعي الأنصاري السلمي، حليف بني سلمة. من الأنصار. (الصالحي: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، 36/6).
(107) أبو قتادة: هو الحارث بْن ربعي بْن بلدمة بْن خناس بْن سنان بْن عبيد بْن عدي بْن غنم ابْن كعب بْن سلمة بْن سعد بْن عَلِيّ بْنِ راشد بْن ساردة بْن تزيد بْن جشم بْن الخزرج، أَبُو قتادة الأنصاري الخزرجي ثم من بني سلمة، فارس رَسُول اللَّهِ ﷺ وقيل: اسمه النعمان. (ابن الأثير: السابق، 606/1). (ابن حجر: السابق، 272/7).
(108) الأسود بن خزاعيّ الأسلمي حليف بني سلمة من الأنصار. ذكره موسى بن عقبة، عن ابن شهاب في قتلة ابن أبي الحقيق. (ابن حجر: السابق، 223/1).
(109) مسعود بْن سنان الأسلمي، استأذن رَسُول اللَّهِ ﷺ في الخروج فِي قتل أَبِي رافع فأذن له فِي قتله، شهد أحدا، واستشهد يَوْم اليمامة. (ابن الأثير: السابق 157/5). (وابن حجر: السابق، 79/6).

مـن يخططـون للفتـك بالمسـلمين[110] وقـد نجحـت المهمـة بامتيـاز والحمد لله أولا وأخيرا.

غَزْوَةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ لِقَتْلِ خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيِّ:

وفي هذه السرية كلّف النبي ﷺ عبدالله بن أنيس ﷺ لقتل سفيان بن نبيح الهذلي الذي كان نازلا في عُرنة وما حولها ويجمع الجموع لغزو المدينة[111]، وتكليف عبدالله بن أنيس بهذه السرية بمفرده دليلا على معرفته للطريق بشكل دقيق، فلم يكلف رسول الله ﷺ معه أحد، فوصل في الوقت المحدد وقضى ما كلّف به وهو قتل سفيان وعاد إلى المدينة مكللا بالنصر والفوز.

سرية محمد بن مسلمة ﷺ إلى القرطاء:

كانت في أواخر السنة الخامسة من الهجرة، حينما (بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ¢ في ثلاثين رجلا ركبانا، فيهم عباد بن بشر، وسلمة بن سلامة بن وقش، والحارث بن خزيمة إلى بني بكر بن كلاب، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار، وأن يشنّ الغارة عليهم)[112]، والقرطاء: من بطون بكر من قيس عيلان، كانوا ينزلون البكران بناحية ضرية[113]، (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْقُرَطَاءُ: قَبِيلَةٌ مِنْ هَوَازِنَ، وَيُرْوَى «مِنْ نُفَيْلٍ» مَكَانَ «مِنْ عُقَيْلٍ»، وَهُوَ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ الْقُرَطَاءَ مِنْ نُفَيْلٍ قَرِيبٌ)[114]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية، وسيأتي ذكر لسرية أخرى للقرطاء سنة تسع للهجرة بقيادة الضحاك بن سفيان الكلابي ﷺ.

سرية الضحاك سفيان الكلابي ﷺ إلى القرطاء:

في سنة تسع كما قال محمد بن عمر، وابن سعد، وقال: الحاكم في آخر سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى القرطاء عليهم الضحّاك بن سفيان الكلابي ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط، فلقوهم بالزّج زج لاوة بنجد فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم، ففي هذه السرية ذُكر أن معهم الأصيد بن سلمة بن قرط، وذكرت المصادر ترجمة له مقتضبة فهو: أصيد بن سلمة ان قريط بن عبيد بن أبي بكر بن عبد اللَّه بن كلاب الكلابي؛ قال الواقديّ، والطّبريّ: أسلم وبعثه النبيّ ﷺ في جيش مع الضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه، وقائد السرية كلابي والديار لهما، وورد في ترجمته: أنه الضحاك بْن سفيان بْن عوف بن كعب بْن أَبِي بكر بْن كلاب بْن ربيعة بْن عامر بْن صعصعة العامري الكلابي يكنى أبا سَعِيد، أسلم وصحب النَّبِيّ ﷺ وكان ينزل في بادية المدينة، ولاه رَسُول اللَّهِ ﷺ عَلَى من أسلم من قومه، كان يقوم عَلَى رأس رَسُول اللَّهِ ﷺ متوشحا بسيفه، وكان من الشجعان الأبطال، يعد وحده بمائة فارس، ولما سار رَسُول اللَّهِ ﷺ إِلَى فتح مكة أمره عَلَى بني سليم، لأنهم كانوا تسعمائة، فقال لهم رَسُول اللَّهِ ﷺ (هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفًا؟)، فوفاهم بالضحاك وكان رئيسهم، وإنما جعله عليهم لأنهم جميعهم من قيس عيلان[115]، ومن هنا يمكن القول بأن الضحاك وأصيد ƒ شاركا في وصول السرية لغايتها، وإن كنت أرى أن القيادة للضحاك والدليل هو أصيد وربما تعاونا في ذلك للوصول إلى الغاية الأسمى وهي نشر الإسلام، وقد ورد عند ابن حجر في ترجمته لأصيد قوله: أسلم وبعثه النبي ﷺ مع الضحاك بن سفيان إلى قومه، وقابل أباه ندعاه للإسلام فأبى[116]، وهذا لا مجال فيه للشك أن الدليل هو أصيد ¢، فحمل عليه الأصيد فعرقب فرسه فسقط سلمة وتوكأ على رمحه، وأمسك أصيد عنه تأدبا، فلحقه المسلمون فقتلوه، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع[117].

غزوة الغابة – ذي قرد – دليل الجيش سلمة بن الأكوع ﷺ:

حينما أغار عيينة بن حصن على لقاح النبي ﷺ في الغابة، وكانت في ربيع الآخر سنة ست للهجرة[118]، واختلف في تاريخها[119]، وننذر بالقول الصحابي سلمة بن الأكوع ¢ ولحق بالغزاة وشاغلهم

---

(110) عبدالسلام آل عيسى: **العمليات الاستخباراتية في سيرة النبي ﷺ**، ص110. وانظر: عبدالله سكات الرشيدي: **خير من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص223.

(111) الواقدي: **المغازي**، 31/2.

(112) السابق: 34/2.

(113) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 112/6.

(114) السيرة: 189/2.

(115) ابن حجر: **الإصابة**، 333/5 -334.

(116) السابق: 188/1-189. وانظر: ابن الأثير: **أسد الغابة**، 253/1.

(117) السابق:188/1.

(118) الواقدي: **المغازي**، 38/2. البخاري: **الصحيح**، ص506. مسلم: **الصحيح**، 515.

(119) عبدالله سكات الرشيدي: **غزوة ذي قرد دراسة تاريخية ميدانية**، ص15-17.

حتى لحق المدد من الفرسان، ثم لحق بهم رسول الله ﷺ قرب صلاة المغرب في ذي قرد شرق المدينة النبوية[120]، فهو دليلهم إلى الغزاة والمكان ¢.

سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم:

في شهر ربيع الآخر سنة ست بعث رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم في سرية حتى ورد الجموم فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها **حليمة**، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم فأصابوا في تلك المحلّة نعما وشاء وأسرى، فكان فيه زوج حليمة المزنية؛ فأقبل زيد بن حارثة بما أصاب، ووهب رسول اللَّه ﷺ للمزنيّة نفسها وزوجها[121]، لم تذكر المصادر ترجمة لحليمة المزنية رغم أنها تعد دليلة هذه السرية بما قدمت لهم من معلومات قادتهم لنيل الغنائم وأسر عددا من بني سليم، وفي هذا الشأن يتضح مدى قدرة قادة السرايا على الاستفادة من كل شخص يجدونه في طريقهم لتحقيق النجاح لمهمتهم.

غزوة بني لحيان:

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة ست وبلغ غران وعسفان[122]، وقد نزل النبي ﷺ بمضرب القبة من الجرف، فعسكر في أول نهاره وهو يظهر أنه يريد الشام، ثم راح مبردا فمر غرابات ثم على بين حتى خرج على صخيرات الثمام فلقي الطريق هنا، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران، .. فهرب بنو لحيان حينما سمعوا بمقدمه ﷺ[123]، والذي يظهر أن النبي ﷺ معه دليل عارف بالطريق إذ أن البداية كانت من شمال المدينة ثم الالتفاف غربيها حتى وصل إلى طريق مكة من جهة صخيرات الثمام، وربما يكون معه أكثر من دليل، لكن المصادر لم تذكر شيئا.

سرية عكاشة بن محصن ﷺ إلى الغمر:

بعث النبي ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست إلى الغمر، و (الغمر: هو جبل أحمر طويل لحّ من بنى أسد يقال لهم بنو مخاشن، وإلى جنبه ماءة يقال لها الرّخيمه، وأخرى يقال لها التّعلبيّة، وبين الغمر وفيد عشرون ميلا)[124]، وقد بعث معه النبي ﷺ أربعين رجلا منهم: شجاع بن وهب، ويقال: ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا، بعثه النبيّ ﷺ شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث ابن أبي شمر الغساني، استشهد باليمامة، وكنيته أبو وهب[125]، وكذلك يزيد بن رقيش بن رياب ابن يعمر الأسدي من أسد بن خزيمة، شهد بدرا، من قَالَ فِيهِ: أربد بن رقيش فليس بشيء[126]، والملاحظ أن عكاشه بن محصن ﷺ من بني أسد وكذلك شجاع ويزيد من بني خزيمة الأسدي وهما من نفس قبيلة سكان الغمر من بني أسد بن خزيمة ومن البديهي أن يكونا دليلين في السرية لأنهما أخبر بالديار والمسالك، ثم دلّ السرية على نَعَم لبني عم القوم رجل كان عينا لبني أسد غلبه النوم حتى قبض عليه أفراد السرية ودلهم على النعم ووصف لهم الطريق حينما هددوه بالقتل قال: تخرجون عليهم من هذا الضريب، فأوفوا على الضريب فإذا نعم رواتع فأغاروا عليه فأصابوه وهربت الأعراب[127]، وبعث النبي ﷺ سرية محمد بن مسلمة ﷺ إلى ذي القصة في ربيع الأول سنة ست، ثم تلتيها سرية أميرها أبو عبيدة ¢ إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة ست، ثم في جمادى الأولى من نفس العام بعث سرية بقيادة زيد بن حارثة ¢ إلى العيص، وفي جمادى الآخرة بعث سرية زيد ابن حارثة ﷺ إلى الطرف[128]، ولم تذكر المصادر استعانة هذه السرايا بدليل، وإن كنت أرى أن تلك السرايا كانت بحاجة لأدلاء ماهرين عارفين بالمسالك والدروب؛ خاصة انها في جهات مختلفة ومناطق متعددة وقبائل متفرقة، لكن المصادر لم تذكر شيئا عن ذلك.

---

(120) الواقدي: السابق، 38/2. ابن هشام: **السيرة**، 240/3. وانظر: عبدالله الرشيدي: السابق، بحث متكامل عن الغزوة.

(121) ابن سعد: **الطبقات**، 66/2. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، 82/6.

(122) الواقدي: السابق، 36/2.

(123) الواقدي: **المغازي**، 36/2.

(124) البكري: **معجم ما استعجم**، 1034/3.

(125) ابن حجر: **الإصابة**، 256/3.

(126) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 452/5. وابن حجر: السابق، 365/1 – 514/6.

(127) الواقدي: **السابق**، 47/2.

(128) الواقدي: **المغازي**، 48/2–52.





سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى حِسْمى ودليلهم من بني عذرة:

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ﷺ سنة ست من الهجرة إلى أرض جذام وهي قبيلة في جبال حسمى من معد[129]، وحِسْمَى[130]: أصلها من الحسم وهو المنع: وهو أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيّهم وفي شرقيهم شرورى، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال[131]، وكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة، وكان دوره بارزا في هذه السرية، يقول الواقدي: (وأقبل الدليل العذري بزيد بن حارثة حتى هجم بهم فاغاروا مع الصبح على الهنيد وابنه ومن كانوا في محلتهم فأصابوا ماوجدوا، وقتلوا فيهم فأوجعوا ... وكان الدليل إنما جاء بهم قبل الأولاج ..)[132]، فهذا الدور الريادي للدليل يجعل كل متتبع لغزوات وسرايا بعوث النبي ﷺ يدرك دوره يوعلم أن تلك الغزوات والبعوث كانت تستدل بأدلاء ماهرين، ولم تذكر المصادر اسم الدليل لكنها ذكرت أنه من بني عذره وهم من القبائل التي تسكن شمال غرب المدينة إلى تبوك والله تعالى أعلم.

سرية أميرها عبدالرحمن بن عوف ﷺ إلى دومة الجندل:

في شعبان سنة ست للهجرة بعث النبي ﷺ عبدالرحمن بن عوف ¢ إلى دومة الجندل، وتوجه لها ومكث يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا وفي اليوم الثالث أسلم الأصبع بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا فكتب عبدالرحمن بن عوف ¢ إلى النبي ﷺ يخبره الخبر وبعث رجلا من جهينة يقال له: رافع بن مكيث، وانه أراد أن يتزوج فيهم فكتب له النبي ﷺ أن يتزوج بنت الأصبع تماضر، فتزوجها وبنى بها، وهي أم أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف[133]، واللفت في هذه الرية أن النبي ﷺ وجهها وأوصى كما تدل بعض الروايات عبدالرحمن بن عوف ¢ أن يتزوج بأبنة ملكهم[134]، وكأنها بشارة بإسلامهم، لكن الروايات والمصادر لم تذكر دليلا لهذه السرية، وإن كنت أرى أن رافع بن مكيث الجهني ﷺ هو دليلها لعدة أسباب، أن رافع ¢ كان مشاركا في جل البعوث التي في شمال المدينة مما اكسبه خبرة على خبرته، كما أن زيد بن حارثه ¢ بعثه بشيرا للمدينة، فلو لم يكن عارفا بالطريق لما أرسله، وهو كما جاء عند ابن سعد (رافع ابن مكين بن عَمْرو بْن جراد بْن يربوع بْن طحيل بن عدي بْن الرَّبْعَةِ بْنِ رَشْدَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ، أسلم وشهد الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، وكان مع زَيْد بن حارثة فِي السرية الّتي وجهه فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حسمى، وكانت فِي جُمَادَى الآخرة سنة ستٍّ، وبعثه زَيْد بْن حارثة إِلَى رسول الله ﷺ بشيرًا على ناقة من إبل القوم فأخذها منه عليّ بْن أبي طَالِب فِي الطريق فردها على القوم وذلك حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ليرد عليهم ما أَخَذَ منهم، لأنهم قد كانوا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فأسلموا وكتب لهم كتابًا، وكان رافع بْن مكيث أيضًا مع كرز بْن جابر الفهري حِينَ بَعَثَهُ ﷺ بذي الجدر، وكان مع عَبْد الرَّحْمَن فِي سريته إِلَى دومة الجندل وبعثه بكتابه إِلَى رسول الله ﷺ بشيرًا بما فتح الله عليه، ورافع بْن مكيث أحد الأربعة الّذين حملوا ألوية جهينة الأربعة التي عقدها لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يوم فتح مكّة. وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على صدقات جهينة يصدقهم)[135]، فمن الأسباب مشاركاته المتعددة وخبرته الطويلة، كما أنه لو لم يكن عارفا بالطرق والمسالك التي بين دومة الجندل والمدينة والتي تبلغ مسافتها قرابة 800 كيلا لما بعثه عبدالرحمن بن عوف بشيرا إلى النبي ﷺ، فالمسافة بعيدة والطرق تمر بمفازات وديار قبائل متعددة منها الموالي ومنها العدو وتحتاج إلى خريت ماهر، لذا أرى أن دليل سرية عبدالرحمن بن عوف ¢ إلى دومة الجندل هو رافع بن مكيث الجهني ¢.

سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى بني سعد بفدك:

في شهر شعبان من سنة ست للهجرة بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًا ﷺ فِي مِائَةِ رَجُلٍ إِلَى حَيّ سَعْدٍ بِفَدَكٍ، وَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنّ لَهُمْ جَمْعًا يُرِيدُونَ أَنْ يُمِدّوا يَهُودَ خَيْبَرَ، فَسَارَ اللّيْلَ وَكَمَنَ النّهَارَ حَتّى انْتَهَى إِلَى الْهَمَجِ، فَأَصَابَ عَيْنًا فَقَالَ: مَا أَنْتَ؟ هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِمَا وَرَاءَك مِنْ جَمْعِ بَنِي سَعْدٍ؟ قَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ، فَشَدّوا عَلَيْهِ فَأَقَرّ أَنّهُ عَيْنٌ لَهُمْ بَعَثُوهُ إِلَى خَيْبَرَ، يَعْرِضُ عَلَى يَهُودِ خَيْبَرَ نَصْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ مِنْ تَمْرِهِمْ كَمَا جَعَلُوا لِغَيْرِهِمْ وَيَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا

---

(129) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 143/6.
(130) الواقدي: السابق، 53/2.
(131) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 258/2.
(132) الواقدي: السابق، 54/2.
(133) ابن هشام: **السيرة**، 530/4. الواقدي: السابق، 57/2.
(134) السابق: 58/2.
(135) **الطبقات الكبرى**: 257/4.

لَهُ: فَأَيْنَ الْقَوْمُ؟ قَالَ: تَرَكْتُهمْ وَقَدْ تَجَمّعَ مِنْهُمْ مِائَتَا رَجُلٍ، وَرَاسُهُمْ وبر ابن عُلَيْمٍ. قَالُوا: فَسِرْ بِنَا حَتّى تَدُلّنَا. قَالَ: عَلَى أَنْ تُؤَمّنُونِي! قَالُوا: إنْ دَلَلْتَنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَرْحِهِمْ أَمّنّاك، وَإِلّا فَلَا أَمَانَ لَك؛ قَالَ: فَذَاكَ! فَخَرَجَ بِهِمْ دَلِيلًا لَهُمْ حَتّى سَاءَ ظَنّهُمْ بِهِ، وَأَوْفَى بِهِمْ عَلَى فَدَافِدَ وَآكَامٍ، ثُمّ أَفْضَى بِهِمْ إلَى سُهُولَةٍ فَإِذَا نعم كثير وشاء، فقال: هذا نعمهم وشاءهم؛ فَأَغَارُوا عَلَيْهِ فَضَمّوا النّعَمَ وَالشّاءَ، قَالَ: أَرْسِلُونِي! قَالُوا: لَا حَتّى نَأْمَنَ الطّلَبَ! وَنَذَرَ بِهِمْ الرّاعِيَ رِعَاءَ الْغَنَمِ وَالشّاءِ، فَهَرَبُوا إلَى جَمْعِهِمْ فحذّروهم، ... وحينما بلغ معسكرهم أرسلوه وساقوا النعم والشاء[136]، والذي يظهر أن علي ¢ قد سلك أقرب الطريق لفدك وهي من المدينة إلى النقرة مسيرة يوم على جبل يقال له الحبالة والقذال، ثم جبل يقال له جبار، ثم يربغ وهى قرية لولد الرّضا، وهى كثيرة الفاكهة والعيون؛ ثم تركب الحرّة عشرة أميال، فتهبط إلى فداك، أما الطريق الآخر وهو طريق مصدّق بنى ذبيان وبنى محارب، من المدينة إلى القصّة؛ وهناك تصدّق بنو عوال من بنى ثعلبة ابن سعد، ثم ينزل نخلا، فتصدّق الخضر خضر محارب، ثم ينزل المغيثة، فتصدّق سائر بنى محارب، ثم الثّامليّة لأشجع، ثم الرّقمتين لبنى الصادر، ثم مرتفقا لبنى قتّال بن يربوع، أو رياح ابن يربوع، وأمّه أمّ قتّال بنت عبدالله بن عمرو لؤىّ بن التّيم، ثم فدك[137]، والمتأمل في الطريقين التي ذكرهما البكري لا يجد ذكرا للهمج، والهمج: قرية تقع حاليا بين الروض والنبوان في ديار بني رشيد شمال محافظة الحائط، وتسمى الهمجة يسكنها الرويضات من بني رشيد ومعرفها الشيخ عيد بن نفاع الرويضي، بينها وبين الحائط مسافة 40 كيلا[138]، والواضح أن عليا ﷺ قد جاء إلى الحائط من جهة الشمال، لذا وجد عينا لبني سعد واستخدمه دليلا له ليصل إلى هدفه في أسرع وقت، ويفسر أن الهمج هو الهمجة التي ذكرتها أن السرية قد ساء ظنها بالدليل لطول المسافة حتى خرج بهم على فدافد وآكام ثم أفضى بهم إلى سهول وهذه هي منطقة الحائط من الشمال لأنه بقية جهاتها حرة وعرة، ولم تذكر المصادر دليل السرية من المدينة إلى الهمج، وإن كان خط سيرها لا يخل من دليل عارف بالديار والمسافات.

(136) الواقدي: **المغازي**، 59/2.

(137) البكري: **معجم ما استعجم**، 1016/3.

(138) رواية شفهية من الأستاذ: بشير بن سعد الشويليعي الرشيدي من سكان قرية الشق بمحافظة الحائط، كان أحد أعضاء المجلس البلدي، يعمل مديرا لبريد محافظة الحائط.

سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى أم قرفة ودليلهم من بني فزارة:

كانت في شهر رمضان سنة ست من الهجرة[139]، وكان سببها: أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معهم، وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره[140]، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم، وقال لهم: «أكمنوا النهار وسيروا الليل»، فخرج بهم دليل من بني فزارة وقد نذرت بنو بدر، فكانوا يجعلون ناظورا لهم حين يصبحون فينظر على جبل مشرف وجه الطريق الذي يرون أنهم يؤتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم، فإذا أمسوا وكان العشاء أوفى على منظره ذلك فينظر مسيرة ليلة فيقول: ناموا فلا بأس عليكم هذه الليلة، فما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة، أخطأ بهم الطريق دليلهم فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهو على خطأ ففرجوا خطاهم، ثم صمدوا لهم في الليل حتى صبّحوهم، فأحاطوا بالحاضر، ثم كبّر وكبّر أصحابه[141]، وهنا ذكرت بعض المصادر أن دليل السرية من بني فزارة، والسرية موجهة لبني فزارة في وادي القرى مما يبين أن الأدلاء في أكثر الحالات يتم اختيارهم من أبناء المنطقة التي يراد الذهاب إليها لأنهم أعلاف بالأرض وبالمياه والمسالك، وعلى الرغم من انه فزاري إلا أنه أخطاء الطريق، لكن الخطأ هذا كان سببا في مفاجأة تلك القبيلة وهزيمتهم، ولم تذكر كتب التراجم أو غيرها من المصادر من هو هذا الدليل الفزاري؟.

سرية عبدالله بن رواحه ﷺ إلى أسير بن زارم[142]:

في شوال سنة ست، وسببها أن أنه بعد مقتل أبو رافع أمّرت اليهود عليهم أسير بن زارم، فقال سأعمل ما لم يعمله يهود، فقالوا له ماذا ستفعل؟ قال: قال أسير لغطفان واجمعها وأسير بهم مع يهود إلى محمد في عقر داره! فبلغ ذلك النبي ﷺ وقدم عليه

(139) الواقدي: **المغازي**، 61/2. وانظر: ابن هشام: **السيرة**، 519/4. وابن سعد: **الطبقات**، 69/2.

(140) الزرقاني: **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية**، 138/3.

(141) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 99/6.

(142) أسير بْن زارم اليهودي بخيبر، لما قتل أَبُو رافع سلام بْن أبي الحقيق أمّرت يهود عليهم أسير بْن زارم فسار فِي غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رَسُول اللَّهِ ﷺ. (ابن سعد: **الطبقات**، 70/2). وانظر: (عبدالله سكات الرشيدي: **خيبر**، ص229).

خارجة بن حسيل الأشجعي (والصحيح حسيل بن خارجة) فقال: تركت أسير بن زارم يسير إليك في كتائب يهود، فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب له ثلاثون رجلا، منهم عبدالله بن أنيس واستطاعت هذه السرية قتل أسير وعدد من اليهود[143]، ولم تذكر المصادر من هو دليل هذه السرية، لكن كما ورد في الرواية أن حسيل بن خارجة قد استخبره النبي ﷺ فأخبره وهو من أشجع القبيلة التي تسكن ما بين خيبر والمدينة وسياتي ذكره كدليل في بعض السرايا والغزوات[144]، وكذلك فقد سبق للصحابي عبدالله بن أنيس ¢ المشاركة في سرية عبدالله بن عتيك ¢ إلى خيبر وقد اكتسب معرفة ودراية في المسالك والدروب، وربما كانا معا في السرية كدليلين لها.

سرية كرز بن جابر ﷺ:

في شوال سنة ست، قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ ثَمَانِيَةٌ عَلَى النّبِيّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، فَاسْتَوْبَأُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَ بِهِمْ النّبِيّ ﷺ إلَى لِقَاحِهِ، وَكَانَ سَرْحُ الْمُسْلِمِينَ بِذِي الْجَدْرِ، فَكَانُوا بِهَا حَتّى صَحّوا وَسَمِنُوا، وَكَانُوا اسْتَأْذَنُوهُ يَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَأَذِنَ لَهُمْ فَغَدَوْا عَلَى اللّقَاحِ فَاسْتَاقُوهَا، فَيُدْرِكُهُمْ مَوْلَى النّبِيّ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ فَقَاتَلَهُمْ، فَأَخَذُوهُ فَقَطَعُوا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وَغَرَزُوا الشّوْكَ فِي لِسَانِهِ وَعَيْنَيْهِ حَتّى مَاتَ، وَانْطَلَقُوا بِالسّرْحِ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى حِمَارٍ لَهَا حَتّى تَمُرّ بِيَسَارٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَمّا رَأَتْهُ وَمَا بِهِ- وَقَدْ مَاتَ- رَجَعَتْ إلَى قَوْمِهَا وَخَبّرَتْهُمْ الْخَبَرَ، فَخَرَجُوا نَحْوَ يَسَارٍ حَتّى جَاءُوا بِهِ إلَى قُبَاءَ مَيّتًا، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَثَرِهِمْ عِشْرِينَ فَارِسًا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ الْفِهْرِيّ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِمْ حتى أدركهم الليل، فباتوا بالحرّة وَأَصْبَحُوا فَاغْتَدَوْا لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَسْلُكُون، فَإِذَا هُمْ بِامْرَأَةٍ تَحْمِلُ كَتِفَ بَعِيرٍ، فَأَخَذُوهَا فَقَالُوا: مَا هَذَا مَعَك؟ قَالَتْ: مَرَرْت بِقَوْمٍ قَدْ نَحَرُوا بَعِيرًا فَأَعْطَوْنِي، قَالُوا: أَيْنَ هُمْ؟ قَالَتْ: هُمْ بِتِلْكَ الْقِفَارِ مِنْ الْحَرّةِ، إذَا وَافَيْتُمْ عَلَيْهَا رَأَيْتُمْ دُخَانَهُمْ، فَسَارُوا حَتّى أَتَوْهُمْ حِينَ فَرَغُوا مِنْ طَعَامِهِمْ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يَسْتَأْسِرُوا، فَاسْتَأْسَرُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إنْسَانٌ، فَرَبَطُوهُمْ، وَأَرْدَفُوهُمْ عَلَى الْخَيْلِ حَتّى قَدِمُوا بِهِمْ الْمَدِينَةَ، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْغَابَةِ، فَخَرَجُوا نَحْوَهُ[145]، والملاحظ هنا أن معرفة الطرق تسهل من صول السرايا والجيوش لغاياتها، وفي هذه السرية أول من نذر بهم امرأة من بني عوف، ومن دل السرية على مكان العرنيين امرأة أخذت من لحم الجزور التي ذبحوها، وهذا دليل على دور المرأة في مساعدة الجيوش والسرايا ودورها في المساهمة بان تكون دليلا ناجحا في توجيه السرايا وإخبارها بالطريق الصحيح الذي يوصلها لتحقيق أهدافها.

غزوة الحديبية:

كان خروج النبي ﷺ في ليال بقيت من شوال سنة ست، فخرج معه أصحابه ﷺ بدون سلاح وهم لا يشكون بالفتح للرؤياء[146]، وكان (عَمْرو بْن عَبْد نهم الأسلمي هُوَ الَّذِي كَانَ دليل رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى الحديبية، فأخذ بِهِ عَلَى طريق ثنية الحنظل، فانطلق أمام رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ ﷺ حتَّى وقف عليها)[147]، وأورد السهيلي أن دليل النبي ﷺ في الحديبية هو ناجية الأسلمي وهو سائق بدن النبي ﷺ[148]، وهو (ناجية بن جندب الأسلمي، صاحب بدن رَسُول اللَّهِ ﷺ وهو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عَمْرو بن واثلة بن سهم ان مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى. معدود فِي أهل الحجاز، بل فِي أهل المدينة، قَالَ ابن عفير: ناجية كَانَ اسمه ذكوان فسماه رَسُول اللَّهِ ﷺ ناجية إذ نجا من قريش، قيل: أنه الذي نزل في بئر الحديبية، مات في خلافة معاوية ¢ بالمدينة)[149]، وأورده الخزاعي بأنه دليل النبي ﷺ في عمرة الحديبية[150]، وكان بريدة بن الحصيب الأسلمي وحمزة بن عمرو الأسلمي *f* قد حاولا أن يدلا رسول الله ﷺ على الحديبية ولم يدركا الطريق فدلّ رسول الله ﷺ عمرو ابن عبد نهم الأسلمي، والملاحظ أن جميع من حاولوا ان يدلوا الجيش إلى الحديبية من قبيلة أسلم، وهذا دليل على أنهم هم الخبراء في الطرق والمسالك في هذه المنطقة.

---

(143) الواقدي: **المغازي**، 61/2.

(144) عبدالله الرشيدي: السابق، ص243.

(145) الواقدي: **المغازي**، 66/2. وابن سعد: **الطبقات**، 71/2.

(146) الواقدي: **المغازي**، 76/2. البخاري: **الصحيح**، ص502. مسلم: **الصحيح**، ص507. حافظ محمد الحكمي: **مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة**.

(147) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 238/4.

(148) **الروض الأنف**: 478/6.

(149) ابن عبدالبر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1522/4.

(150) **تخريج الدلالات السمعية**: ص441-443-444.





غزوة خيبر ودليلهم حسيّل بن خارجة الأشجعي وعبدالله بن نعيم الأشجعي:

خرج النبي ﷺ إلى غزوة خيبر في صفر سنة سبع، وشجّع أصحابه للخروج وتهيأ معه من كانوا تخلفوا في غزوة الحديبية وأبلغهم بأن لا يخرجوا معه إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا، وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْمَدِينَةِ فَسَلَكَ ثَنِيّةَ الْوَدَاعِ، ثُمّ أَخَذَ عَلَى الزّغَابَةِ، ثُمّ عَلَى نَقْمَى، ثُمّ سَلَكَ الْمُسْتَنَاخَ، ثُمّ كَبَسَ الْوَطِيحَ، وَمَعَهُمْ دَلِيلَانِ مِنْ أَشْجَعَ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا حَسِيلُ بْنُ خَارِجَةَ، وَالْآخَرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ نُعَيْمٍ، خَرَجَ عَلَى عَصْرٍ وَبِهِ مَسْجِدٌ، ثُمّ عَلَى الصّهْبَاءِ[151]، فقد سار بهما الدليلان في طريق غير مطروق لمن يريد التوجه إلى خيبر وهو الطريق الذي بينته في دراستي عن خيبر، يقول الواقدي: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَيْهِمْ فَعَمّى اللهُ عَلَيْهِمْ مَخْرَجَهُ إلّا بِالظّنّ حَتّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَاحَاتِهِمْ لَيْلًا)[152]، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على سرية تحركات الجيش وأخذ أقصى التدابير للسلامة، فاتخاذه لذلك الطريق دليل على التخطيط العسكري الفذ الذي كان يعتمده النبي ﷺ في غزواته على الرغم من أنه لم يور في غزوته وكان خروجه لقتال اليهود معلوما ليهود خيبر خاصة بعد أن أبلغهم المنافقين واليهود عن عزمه ﷺ على غزو خيبر[153]، وبعد نزول النبي ﷺ في الصهباء وهي المنطقة الممتدة من سد الصهباء بجنوب قرية الثمد إلى جبل السرير شمال الرحبة وجنوب شرق خيبر وهي ضمن نطاق ديار بني رشيد بدأ في التخطيط لدخول خيبر[154]، قال الواقدي: (وَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الصّهْبَاءِ فَصَلّى بِهَا الْعَصْرَ ثُمّ دَعَا بِالْأَطْعِمَةِ فَلَمْ يُؤْتَ إلّا بِالسّوِيقِ وَالتّمْرِ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَكَلُوا مَعَهُ، ثُمّ قَامَ إلَى الْمَغْرِبِ فَصَلّى بِالنّاسِ وَلَمْ يَتَوَضّأْ، ثُمّ صَلّى الْعِشَاءَ بِالنّاسِ، ثُمّ دَعَا بِالْأَدِلّاءِ فَجَاءَ حُسَيْلُ بْنُ خَارِجَةَ الْأَشْجَعِيّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نُعَيْمٍ الْأَشْجَعِيّ. قَالَ: فقال رسول الله ﷺ لِحُسَيْلٍ: امْضِ أَمَامَنَا حَتّى تَأْخُذَنَا صُدُورُ الْأَوْدِيَةِ، حَتّى نَأْتِيَ خَيْبَرَ مِنْ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الشّامِ، فَأَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشّامِ وَبَيْنَ حُلَفَائِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ، فقال حُسَيْلٌ: أَنَا أَسْلُكُ بِك؛ فَانْتَهَى بِهِ إلَى مَوْضِعٍ لَهُ طُرُقٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنّ لَهَا طُرُقًا يُؤْتَى مِنْهَا كُلّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَمّهَا لِي! وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَالِاسْمَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطّيَرَةَ وَالِاسْمَ الْقَبِيحَ، فَقَالَ الدّلِيلُ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَزَنٌ. قَالَ: لَا تَسْلُكْهَا! قَالَ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا شاش، قَالَ: لَا تَسْلُكْهَا! قَالَ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَاطِبٌ، قَالَ: لَا تَسْلُكْهَا! قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ¢: مَا رَأَيْت كَاللّيْلَةِ أَسْمَاءً أَقْبَحَ! سَمّ لِرَسُولِ اللهِ! قَالَ: لَهَا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهَا. فَقَالَ عُمَرُ: سَمّهَا. قَالَ: اسْمُهَا مَرْحَبٌ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ أُسْلُكْهَا! قَالَ عُمَرُ: أَلّا سَمّيْت هَذَا الطّرِيقَ أَوّلَ مَرّةٍ!)[155]، وكان أبو عريض رجل من أهل خيبر دليل النبي ﷺ داخل خيبر لتسهل تنقلاته بين حصونها وأحيائها[156]، ومن خلال ما سبق يتضح أهمية الدليل للجيوش، فالدليل الماهر العارف سواء في داخل المنطقة أو عبر طرقاتها وتشعباتها المختلفة تبنى على معرفته الخطط العسكرية التي تهدف إلى النصر وتحقيق الغاية في نشر الدين ودحر العدو، وهذا ما اتخذه نبينا محمد ﷺ في جميع غزواته وسراياه وبعوثه في مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية واليمن والبحرين وأطراف الشام.

غزوة وادي القرى بعد خيبر مباشرة:

ورد عند الواقدي أنه لمّا أتى رسول الله ﷺ الصهباء سلك على برمة حتى انتهى إلى وادي القرى يريد من بها من اليهود[157]، وفيما يظهر أنه ﷺ استعان بالدليلين الذين كانا معه في غزوة خيبر للوصول إلى وادي القرى خاصة أن حسيّل الأشجعي له خبرة ومعرفة كما دلّت الروايات.

سرية عمر بن الخطاب ﷺ إلى تربة ودليله من بني هلال:

في شعبان سنة سبع بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا إلَى عُجْزِ هَوَازِنَ بِتُرْبَةَ، وهي بناحية العبلاء عَلَى أربع ليال من مكّة طريق صنعاء ونجران، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا وجاء عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ ¢ محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصرف راجعا

(151) الواقدي: السابق، 112/2. انظر: عوض أحمد الشهري: **مرويات غزوة خيبر جمع ودراسة وتحقيق**. وعبدالله سكات الرشيدي: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص241–255.

(152) الواقدي: **المغازي**، 116/2.

(153) عبدالله سكات الرشيدي: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص241.

(154) السابق: ص211.

(155) **المغازي**: 117/2–118. وانظر: عبدالله سكات: السابق، ص312.

(156) القرطبي: **الاستيعاب**، 1714/4. ابن الأثير: **أسد الغابة**، 208/6. ابن حجر: **الإصابة**، 443/12. عبدالله سكات: السابق، ص336.

(157) **المغازي**: 167/2. وانظر: عبدالله سكات: السابق، ص64.





إلى المدينة[158]، فسلك النجدية فلما كان بالجدر قال الهلالي لعمر ابن الخطاب: هل لك في جمع آخر تركته خثعم جاءوا سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر: لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم إنما أمرني أصمد لقتال هوازن بتربة، فانصرف عمر راجعا إلى المدينة[159]، ولم تذكر المصادر اسم الرجل الهلالي.

سرية أبو بكر الصديق ﷺ إلى نجد:

في شعبان سنة سبع بعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ إِلَى فَزَارَةَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ عَرَّسَ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى إِذَا مَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ أَمَرَنَا فَشَنَنَّا الْغَارَةَ فَوَرَدْنَا الْمَاءَ، فَقَتَلَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ قَتَلَ وَنَحْنُ مَعَهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَأَيْتُ عُنُقًا مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ فَأَدْرَكْتُهُمْ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوُا السَّهْمَ قَامُوا فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ فَزَارَةَ فِيهِمْ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ، مَعَهَا ابْنَتُهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَجِئْتُ أَسُوقُهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا فَلَمْ أَكْشِفْ لَهَا ثَوْبًا حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، ثُمَّ بَاتَتْ عِنْدِي فَلَمْ أَكْشِفْ لَهَا ثَوْبًا حَتَّى لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ قَالَ: يَا سَلَمَةُ هَبْ لِيَ الْمَرْأَةَ! فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا! فَسَكَتَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ وَلَمْ أَكْشِفْ لَهَا ثَوْبًا فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ هَبْ لِيَ الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ! قَالَ: فَقُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا أَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كانوا في أيدي المشركين[160]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية.

سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى مدين:

بعث رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة ¢ نحو مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب ¢ وأخ له، قالت: فأصاب سبيا من أهل ميناء وهي السواحل وفيها جمّاع من الناس فبيعوا ففرّق بينهم، فخرج رسول اللَّه ﷺ وهم يبكون فقال: «ما لهم؟» فقيل: يا رسول اللَّه فرّق بينهم فقال: «لا تبيعوهم إلا جميعا»[161]، وفيما يظهر لي أن ضميرة مولى علي بن أبي طالب ¢ هو دليل السرية، لأن السرية حصلت على سبي منهم ضميرة مولى رسول الله ﷺ، والبعض عند ابن سعد أن ضميرة مولى علي بن أبي طالب ¢ من سبايا تلك المنطقة[162].

سرية بشير بن سعد ﷺ إلى فدك:

في شعبان سنة سبع بعث رَسُولُ اللهِ ﷺ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكَ، فَخَرَجَ فَلَقِيَ رِعَاءَ الشَّاءِ فَسَأَلَ: أَيْنَ النَّاسُ؟ فَقَالُوا: هُمْ فِي بِوَادِيهِمْ وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ شَاتُونَ لَا يَحْضُرُونَ الْمَاءَ، فَاسْتَاقَ النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَعَادَ مُنْحَدِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ الصَّرِيخُ فَأَخْبَرَهُمْ فَأَدْرَكَهُ الدَّهْمُ مِنْهُمْ عِنْدَ اللَّيْلِ، فَبَاتُوا يُرَامُونَهُمْ بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُ أَصْحَابِ بَشِيرٍ، وَأَصْبَحُوا وَحَمَلَ الْمُرِّيُّونَ عَلَيْهِمْ فَأَصَابُوا أَصْحَابَ بَشِيرٍ وَوَلّى مِنْهُمْ مَنْ وَلّى، وَقَاتَلَ بَشِيرٌ قِتَالًا شَدِيدًا حَتّى ضُرِبَ كَعْبُهُ، وَقِيلَ: قَدْ مَاتَ، وَرَجَعُوا بِنَعَمِهِمْ وَشَاءَهُمْ، وكَانَ أَوّلَ مَنْ قَدِمَ بِخَبَرِ السّرِيّةِ وَمُصَابِهَا عُلْبَةُ ابن زَيْدٍ الْحَارِثِيّ، وَأُمْهِلَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ فِي الْقَتْلَى، فَلَمّا أَمْسَى تَحَامَلَ حَتّى انْتَهَى إلَى فَدَكَ، فَأَقَامَ عِنْدَ يَهُودِيّ بِفَدَكَ أَيّامًا حَتّى ارْتَفَعَ مِنَ الْجِرَاحِ، ثُمّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ وَهَيّأَ رسول الله ﷺ الزبير بْنَ الْعَوَامّ فَقَالَ: سِرْ حَتّى تَنْتَهِيَ إلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرٍ، فَإِنْ ظَفّرَكَ اللهُ بِهِمْ فَلَا تَبْقَ فِيهِمْ؛ وَهَيّأَ مَعَهُ مِائَتَيْ رَجُلٍ وَعَقَدَ لَهُ اللّوَاءَ، فَقَدِمَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِاللهِ مِنْ سَرِيّةٍ قَدْ ظَفِرَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فقال رسول الله ﷺ لِلزّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامّ: اجْلِسْ! وَبَعَثَ غَالِبَ بْنَ عَبْدِاللهِ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ وَخَرَجَ مَعَهُ عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ؛ وكَانَ مَعَ غَالِبٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو مَسْعُودٍ، وَكَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمّا دَنَا غَالِبٌ مِنْهُمْ بَعَثَ الطّلَائِعَ، فَبَعَثَ عُلْبَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي عَشَرَةٍ يَنْظُرُ إلَى جَمَاعَةِ مُحَالّهِمْ، حَتّى أَوْفَى عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ثُمّ رَجَعَ إلَى غَالِبٍ فَأَخْبَرَهُ، فَأَقْبَلَ غَالِبٌ يَسِيرُ حَتّى إذَا كَانَ مِنْهُمْ بِمَنْظَرِ العين ليلا، وقد احتلبوا وعطّنوا وهدأوا، قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمّ قَالَ: أَمّا بَعْدُ، فَإِنّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تُطِيعُونِي وَلَا تَعْصُونِي وَلَا تُخَالِفُوا لِي أَمْرًا، فَإِنّهُ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ. ثُمّ أَلّفَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ، يَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ لَا يُفَارِقُ كُلّ رَجُلٍ زَمِيلَهُ وَإِيّاكُمْ أَنْ يَرْجِعَ إلَيّ أَحَدُكُمْ فَأَقُولُ: أَيْنَ فُلَانٌ صَاحِبُك؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، وَإِذَا كَبّرْتُ فَكَبّرُوا. قَالَ: فَكَبّرَ وَكَبّرُوا، وَأَخْرَجُوا السّيُوفَ؛ قَالَ: فَأَحَطْنَا بِالْحَاضِرِ نَعَمٌ وَقَدْ عَطَنُوا مَوَاشِيَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا الرّجَالُ فَقَاتَلُوا سَاعَةً، فَوَضَعْنَا السّيُوفَ حَيْثُ شِئْنَا مِنْهُمْ وَنَحْنُ نَصِيحُ بِشِعَارِنَا: أَمِتْ! أَمِتْ! وَخَرَجَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي إثْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ

---

(158) ابن سعد: **الطبقات**، 90/2.
(159) الواقدي: **المغازي** ، 176/2.
(160) ابن سعد: **الطبقات**، 90/2. وانظر: الواقدي: السابق، 177/2.
(161) ابن هشام: **السيرة**، 533/4. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 96/6.
(162) **الطبقات**: السابق، 452/1.

نَهِيكُ بْنُ مِرْدَاسٍ[163] فَأَبْعَدَ، وَحَوَيْنَا عَلَى الْحَاضِرِ وَقَتَلْنَا مَنْ قَتَلْنَا، وَمَعَنَا النِّسَاءُ وَالْمَاشِيَةُ، فَقَالَ أَمِيرُنَا: أَيْنَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ؟ فَجَاءَ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَامَهُ أَمِيرُنَا لَائِمَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى مَا عَهِدْتَ إِلَيْكَ؟[164]، يتضح أن دليل السرية التي بقيادة بشير بن سعد ¢ في بداية الأمر لم يذكر، أما دليل السرية التي بقيادة غالب بن عبدالله فهو عُلْبَة بن زيد الحارثي، فهو أول من قدم بخبر سرية بشير إلى النبي ﷺ، وقد خرج مع سرية غالب ووصلوا إلى مكان مصاب بشير ٪، فلما دنا غالب منهم بعث الطلائع، فبعث علبة بن زيد في عشرة ينظرون إلى محالّهم[165]، فهنا يتضح دور علبة بن زيد ¢ في السرية كدليل وطليعة لأنه ¢ أخبر في الديار وأعرف في مسالكها ودروبها، وهنا ترجمة له فهو (عُلْبَة بْن زَيْد بْن صيفي عن عَمْرو بْن زَيْد بْن جشم بْن حارثة بْن الحارث بْن الخزرج ابن عَمْرو بْن مَالِك بْن الأوس الْأَنْصَارِيّ الأوسي الحارثي، من بني حارثة؛ يعد فِي أهل المدينة، روى عَنْهُ محمود بْن لبيد، وهو أحد البكائين)[166].

سرية غالب بن عبدالله إلى بني عبد بن ثعلبة (الميفعة) ودليلها يسار مولى النبي ﷺ:

في رمضان سنة سبع قال يسار مولى النبي ﷺ: «يا نبي اللَّه إني قد علمت غرة من بني عبد بن ثعلبة فأرسل معي إليهم»، فأرسل معه غالبا في مائة وثلاثين رجلا، قال ابن سعد ¬: قالوا بعث رسول اللَّه ﷺ غالب بن عبداللَّه ¢ إلى بني عوال، وبني عبد بن ثعلبة وهم بالميفعة وهي وراء بطن نخل إلى النّقرة قليلا بناحية نجد بينها وبين المدينة ثمانية برد، قرابة 170 كيلا، بعثه في مائة وثلاثين رجلا، ودليلهم يسار مولى رسول اللَّه ﷺ فهجموا عليهم جميعا، ووقعوا في وسط محالّهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعما وشاء فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحدا[167]، وفيما يظهر أن الميفعة هي (أفيعية: وهي منهل لسليم من أعمال المدينة في الطريق النجدي إلى مكة من الكوفة)[168]، وبعث معهم قائفا يقوف أثرهم ودعا عليهم فقال: «أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل». فعمّى اللَّه عليهم السبل، فأدركوا في ذلك اليوم فأخذوا، فلما ارتفع النهار جريء بهم إلى رسول اللَّه ﷺ، ودليل هذه السرية هو يسار مولى النبي ﷺ، وهو غير يسار مولى النبي ﷺ الذي قتله العرنيون في شوال سنة ست، أما يسار مولى النبي ﷺ والذي كان دليل هذه السرية والتي كانت في رمضان سنة سبع فلم أجد له ترجمة، لكن هناك ترجمة لأحد موالي النبي ﷺ ذكره القرطبي وقال: زيد أَبُو يسار بن بولي مولى رَسُول اللَّهِ ﷺ نزل المدينة[169]، فإن لم يكن هو ففيما يظهر لي أنه مولى آخر يحمل اسم يسار، وقد وردت إشارة عند ابن حجر قال: (يسار الراعي: هو الّذي قتله العرنيون، ثبت ذكره في الصّحيحين غير مسمى من حديث أنس، وسمي في حديث سلمة بن الأكوع ¢ قال: كان للنبيّ ﷺ غلام يقال له يسار، فنظر إليه يحسن الصّلاة، فأعتقه، وبعثه في لقاح له بالحرة، فأظهر قوم من عرينة الإسلام، وجاءوا وهم مرضى وقد عظمت بطونهم، فبعث بهم إلى يسار فكانوا يشربون ألبان الإبل، ثم عدوا على يسار فقتلوه وجعلوا الشّوك في عينيه[170]، وفي ترجمة لأبي يسار ¢ يقول: (أبو يسار مولى رسول اللَّه ﷺ، له حديث عند أبي داود، والترمذيّ، من رواية ولده بلال بن يسار بن زيد: حدّثني أبي عن جدّي، ذكر أبو موسى أن اسم أبيه بولا وقال غيره: اسمه زيد، كان نوبيّا أصابه النبيّ ﷺ في غزوة بني ثعلبة فأعتقه)[171]، وجاء عند الصالحي (أن رسول الله ﷺ أصاب في غزوة بني محارب وبني ثعلبة عبدا يقال له يسار، فرآه رسول اللَّه ﷺ يحسن الصلاة فأعتقه وبعثه في لقاح له كانت ترعى في ناحية الحمى فقدم على رسول اللَّه ﷺ نفر، وفي حديث أنس عند البخاري في الجهاد وفي الديات أن ثمانية من عكل وعرينة وعند ابن جرير وأبي عوانة كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل فكان الثامن ليس من القبيلتين فلم ينسب، فقدموا على رسول اللَّه ﷺ وتكلموا بالإسلام، وفي رواية: فبايعوه على الإسلام وكان بهم سقم، وعند أبي عوانة أنه كان بهم هزال شديد وصفرة شديدة وعظمت بطونهم. فقالوا يا رسول اللَّه آونا وأطعمنا. فكانوا في الصّفّة)، وأرى أن من قتله العرنيون هو أبو

(163) حدثت هذه الحادثة فيما يظهر في سرية مستقلة بقيادة أسامة بن زيد ﭬ إلى الحرقة أو الحراقات من قبيلة جهينة. (الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 298/6).

(164) الواقدي: **المغازي**، 178/2. ابن سعد: **الطبقات**، 126/2. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 132/6.

(165) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 140/6.

(166) القرطبي: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 77/4.

(167) الصالحي: السابق، 133/6. الواقدي: **المغازي**، 181/2. ابن سعد: **الطبقات**، 119/2.

(168) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 233/1.

(169) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: 378/2.

(170) ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 353/6.

(171) السابق: 490/2.





يسار زيد بن بولان، لكن في الروايات غلب عليه اسم يسار، وأن يسارا الذي دلّ سرية غالب بن عبدالله هو الراعي الذي أصابه النبي ﷺ في غزوة بني محارب لأنه كان راعيا لهم ويعرف ديار غطفان، وهو الذي عرض على النبي ﷺ أن يكون دليلا للسرية دون أن يُطلب منه، وهذا يدل على تمام المعرفة رغم بعد المسافة وتعدد الطرق والمسالك؛ وهذا يؤكد ما ذهبت إليه، إذ ورد أن النبي ﷺ بلغه أنّ بهذا قرارة الكدر جمعا من سليم وغطفان فسار إليهم، فبلغ مأمن مياههم، يقال له: الكدر، فلم يجد في المحالّ أحدا، وأرسل نفرا من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم رسول الله ﷺ في بطن الوادي: فوجد رعاء فيهم غلام يقال له: يسار فسأله عن الناس فقال: لا علم لي بهم، إنما أورد لخمس، وهذا يوم ربعيّ والناس قد ارتفعوا إلى المياه، ونحن عزّاب في النعم، فأقام ﷺ ثلاث ليال وقد ظفر بالنّعم، فانحدر إلى المدينة فاقتسموا غنائمهم بصرار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النّعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسه وقسّم أربعة أخماسه على المسلمين، فأصاب كل رجل منهم بكران، وكانوا مائتي رجل، وصار يسار في سهم رسول الله ﷺ فأعتقه لأنه رآه يصلّي، وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، وأقام بالمدينة شوالا وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جلّ الأسارى من قريش[172]، والله تعالى أجل وأعلم.

سرية بشير بن سعد ﷺ إلى الجِنَاب ودليلهم حسيل بن نويرة ﷺ:

في شوال سنة سبع قدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ يُقَالُ لَهُ حُسَيْلُ بْنُ نُوَيْرَةَ، وَقَدْ كَانَ دَلِيلَ النّبِيّ ﷺ إلَى خَيْبَرَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: مِن أَيْنَ يَا حُسَيْلُ؟ قَالَ: قَدِمت مِنْ الْجِنَابِ. فقال رسول الله ﷺ: مَا وَرَاءَك؟ قَالَ: تَرَكْت جَمْعًا مِنْ غَطَفَان بِالْجِنَابِ، قَدْ بَعَثَ إلَيْهِمْ عُيَيْنَةُ يَقُولُ لَهُمْ: إمّا تَسِيرُوا إلَيْنَا وَإِمّا نَسِيرُ إلَيْكُمْ. فَأَرْسَلُوا إليه أن سر إلَيْنَا حَتّى نَزْحَفَ إلَى مُحَمّدٍ جَمِيعًا، وَهُمْ يُرِيدُونَك أَوْ بَعْضَ أَطْرَافِك. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ أبا بكر وَعُمَرَ ƒ فَذَكَرَ لَهُمَا ذَلِكَ، فَقَالَا جَمِيعًا: ابْعَثْ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ! فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَشِيرًا فَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا اللّيْلَ وَيَكْمُنُوا النّهَارَ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ حُسَيْلُ بْنُ نُوَيْرَةَ دَلِيلًا، فَسَارُوا اللّيْلَ وَكَمَنُوا النّهَارَ حَتّى أَتَوْا أَسْفَلَ خَيْبَرَ فَنَزَلُوا بِسِلَاحٍ، ثُمّ خَرَجُوا مِنْ سِلَاحٍ حَتّى دَنَوْا مِنْ الْقَوْمِ، فَقَالَ لَهُمْ الدّلِيلُ: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ ثُلُثَا نَهَارٍ أَوْ نِصْفُهُ، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ كَمَنْتُمْ وَخَرَجْت طَلِيعَةً لَكُمْ حَتّى آتِيَكُمْ بِالْخَبَرِ، وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ سِرْنَا جَمِيعًا. قَالُوا: بَلْ نُقَدّمُك. فَقَدّمُوهُ، فَغَابَ عَنْهُمْ سَاعَةً ثُمّ كَرّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: هَذَا أَوَائِلُ سَرْحِهِمْ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُغِيرُوا عَلَيْهِمْ؟ فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ النّبِيّ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنْ أَغَرْنَا الْآنَ حَذِرَنَا الرّجَالُ وَالْعَطَنُ؛ وَقَالَ آخَرُونَ: نَغْنَمُ مَا ظَهَرَ لَنَا ثُمّ نَطْلُبُ الْقَوْمَ. فَشَجُعُوا عَلَى النّعَمِ، فَأَصَابُوا نَعَمًا كَثِيرًا مَلَأُوا مِنْهُ أَيْدِيَهُمْ، وَتَفَرّقَ الرّعَاءُ وَخَرَجُوا سِرَاعًا، ثُمّ حَذِرُوا الْجَمْعَ فَتَفَرّقَ الْجَمْعُ وَحُذِرُوا، وَلَحِقُوا بِعَلْيَاءِ بِلَادِهِمْ، فَخَرَجَ بَشِيرٌ بِأَصْحَابِهِ حَتّى أَتَى مَحَالّهُمْ فَيَجِدُهَا وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ، فَرَجَعَ بِالنّعَمِ حَتّى إذَا كَانُوا بِسِلَاحٍ رَاجِعِينَ لَقُوا عَيْنًا لِعُيَيْنَةَ فَقَتَلُوهُ، ثُمّ لَقُوا جَمْعَ عُيَيْنَةَ، وَعُيَيْنَةُ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ فَنَاوَشُوهُمْ، ثُمّ انْكَشَفَ جَمْعُ عُيَيْنَةَ وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ النّبِيّ ﷺ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ فَأَسَرُوهُمَا أَسْرًا، فَقَدِمُوا بِهِمَا عَلَى النّبِيّ ﷺ فَأَسْلَمَا فأرسلهما النبي ﷺ[173]، وسلاح: قريب من خيبر[174]، وقال ياقوت الحموي: سلاح: موضع أسفل من خيبر[175]، قلت: سلاح هو العشاش شمال خيبر يقع على بعد 220 من المدينة المنورة، وعلى مسافة 50 كيلا من خيبر، ويقع على طريق تبوك، أما (الجِنَابُ: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ تَقَعُ شَمَالَ خَيْبَرَ وَتَمْتَدُّ إلَى تَيْمَاءَ، يُعْرَفُ جُلُّهَا الْيَوْمَ بِاسْمِ «الْجَهْرَاءِ» كَانَتْ مَنَازِلَ قُضَاعَةَ، وَهِيَ الْيَوْمَ لِعَنَزَةَ)[176].

غزوة أو عمرة القضية:

مع دخول هلال ذي القعدة سنة سبع كانت عُمْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَضِيَّةَ أمر أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءً لِعُمْرَتِهِمُ الَّتِي صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحُدَيْبِيَةِ وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا رِجَالٌ اسْتُشْهِدُوا مِنْهُمْ بِخَيْبَرَ وَرِجَالٌ مَاتُوا، وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَمَّارًا فَكَانُوا فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ أَلْفَيْنِ، وقد أحرم رسول الله ﷺ من باب المسجد لأنه سلك إلى طريق الفرع، ولولا ذلك لأهل من البيداء[177]، ولم تذكر المصادر من كان دليله رغم أن الطريق مختلف عن طريق هجرته، وإن كنت على يقين بأن النبي ﷺ معه دليل يدله على الطريق من أهل الخبرة

---

(172) الواقدي: **المغازي**، 171/1. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 172/4.

(173) الواقدي: **المغازي**، 183/2.

(174) البكري: **معجم ما استعجم**، 744/3.

(175) **معجم البلدان**: 233/3.

(176) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص: 86.

(177) الواقدي: السابق، 185/2. ابن سعد: **الطبقات**، 120/2. البيهقي: **دلائل النبوة**، 313/4.

خاصة من أسلم أو سليم أو أي رجل له دراية في طرق ومسالك تلك المنطقة الوعرة.

سرية ابن أبي العوجاء السلمي ﷺ:

في ذي الحجة سنة سبع بعث النبي ﷺ ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلا إلى بني سليم، وكان عين لبني سليم معه فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيرا، ووافهم ابن ابي العوجاء وكانوا معدون فدعاهم للإسلام وأبوا وقاتلوهم حتى قتلوا عامة الصحابة وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ، وفيما يظهر أن دليل السرية هو ابن أبي العوجاء لأنه سلمي والسرية مرسلة إلى سليم، وفي النظر إلى كتب التراجم نجد لابن أبي العوجاء ¢ ترجمة عند ابن حجر قال: هو (الأخرم بن أبي العوجاء السلمي؛ روى عن الزهري أن النبي ﷺ بعث الأخرم هذا في سنة سبع في سرية خمسين رجلا إلى بني سليم، فقتل عامتهم وتوصل ابن أبي العوجاء جريحا، ويحتمل أن يكون هو محرز بن نضلة)[178].

(178) الإصابة في تمييز الصحابة: 191/1.

سرية غالب بن عبدالله ﷺ إلى بني الملوّح بالكديد:

في صفر سنة ثمان، روى جندب بن مكيث الجهني ¢، قال: بعث رسول اللّه ﷺ غالب بن عبداللّه الليثي ¢ أحد بني كلب بن عوف في سريّة كنت فيهم، وأمره أن يشنّ الغارة على بني الملوّح بالكديد، وهم من بني ليث، قال: فخرجنا حتى إذا كنّا بقديد لقينا الحارث بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: إنما جئت أريد الإسلام وإنما خرجت إلى رسول اللّه ﷺ، فقلنا لن يضرّك رباط يوم وليلة إن كنت تريد الإسلام وإن يكن غير ذلك فنستوثق منك، قال: فشددناه وثاقا وخلّفنا عليه رجلا منا يقال له سويد بن صخر، وقلنا إن نازعك فاحتزز رأسه؛ ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكمنّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة لهم، فخرجت حتى أتيت تلّا مشرفا على الحاضر يطلعني عليهم حتى إذا أسندت فيه وعلوت رأسه انبطحت وفي رواية فاضطجعت على بطني قال: فو اللّه إني لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته: إني أرى على هذا التلّ سوادا ما رأيته عليه صدر يومي هذا فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرّت منها شيئا، قال: فنظرت فقالت: واللّه ما أفقد من أوعيتي شيئا! فقال لامرأته: ناوليني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين معها، فأرسل سهما فو اللّه ما أخطأ به جنبي ولفظ ابن إسحاق، وابن سعد: بين عينيّ قال: فانتزعته وثبت مكاني؛ ثم رمى بالآخر فخالطني به ولفظ ابن إسحاق، وابن سعد، فوضعه في منكبي فانتزعته فوضعته وثبتّ في مكاني؛ فقال لامرأته: واللّه لو كان ربيئة لقد تحرّك بعد، لقد خالطه سهمان لا أبالك فإذا أصبحت فابتغيهما لا تمضغهما الكلاب، قال: ثم دخل الخباء، وراحت ماشية الحيّ من إبلهم وأغنامهم، فلما احتلبوا وعطنوا واطمأنوا فناموا شننّا عليهم الغارة فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية واستقنا النّعم والشّاء فخرجنا نحدرها قبل المدينة حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملناه واحتملنا صاحبنا وخرج صريخ القوم في قومهم فجاءنا ما لا قبل لنا به، فجاءنا القوم حتى نظروا إلينا ما بيننا وبينهم إلا الوادي وهم موجّهون إلينا إذ جاء اللّه تعالى بالوادي من حيث شاء بماء يملأ جنبتيه، وأيم اللّه ما رأينا قبل ذلك سحابا ولا مطرا فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجوزه، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا وقد أسندناها في المشلّل نحدرها وفي لفظ في المسيل وفتناهم فوتا لا يقدرون فيه على طلبنا، ثم قدمنا المدينة[179]، وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد، فالسرية قائدها ليثي من بني كلاب بن عوف وهو غالب بن عبدالله ¢، جاء في ترجمته (غالب بْن عَبْدللَّهِ ويقال ابْن عُبَيْدالله؛ والأكثر يقولون فِيهِ ابْن عَبْداللَّهِ اللَّيْثِيّ ويقال الكلبي؛ والصواب غالب بْن عَبْداللَّهِ ابْن مِسْعَر اللَّيْثِيّ بعثه النَّبِيّ ﷺ فِي ستين راكبا إِلَى بني الملوح بالكديد، وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بْن سويد، وأمره أن يغير عليهم، فخرج، فَقَالَ جندب بْن مَالِك: كنت فِي سريته فقتلنا واستقنا النعم، وذلك عِنْدَ أهل السير فِي سنة خمس. وَهُوَ الَّذِي بعثه رَسُول اللَّهِ ﷺ عام الْفَتْح ليسهل لَهُ الطريق)[180]؛ وفيما يظهر أن دليل السرية هو أميرها غالب بن عبدالله الليثي ¢، لأنه كما ورد في ترجمته خبير في الطريق فقد سهل الطريق للنبي ﷺ يوم فتح مكة المكرمة.

سرية كعب بن عمير ﷺ إلى ذات أطلاح:

في شهر ربيع الأول سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من

(179) الواقدي: **المغازي**، 200/2. ابن سعد: **الطبقات** ، 124/2. البيهقي: **دلائل النبوة**، 298/4. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 137/6.

(180) القرطبي: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 1252/3. وانظر: ابن حجر: **الإصابة**، 242/5.

أرض الشام، فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنّبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشقّ ذلك عليه وهمّ بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم، و ان كعب بن عمير يمكن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم فرآه صيدهم فأخذهم بعلة أصحاب رسول الله ﷺ فجاءوا إليهم على الخيول فقتلوهم، قال أبو عمر: قتلوهم بقضاعة[181]؛ ولم تذكر المصادر التي بين يدي من هو دليل هذه السرية، على الرغم من أن ياقوت الحموي قال ذات أطلاح: موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة[182]، وكَانَتْ أَرْضُ الشَّامِ عِنْدَهُمْ مَا تُجَاوِزُ تَيْمَاءَ شَمَالًا أَيْ عَلَى بُعْدِ نَيِّفٍ وَسِتِّمِائَةِ كَيْلٍ شَمَالَ الْمَدِينَةِ[183]؛ وهذه المسافة تحتاج إلى دليل خبير في المسالك والدروب وربما استعان به النبي ﷺ ليدل هذه السرية ولكن المصادر لم تذكره.

سرية شجاع بن وهب ﷺ إلى السّيّ من أرض بني عامر:

في ربيع الأول سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن بالسّيّ ناحية ركبة من وراء المعدن وهي من المدينة على خمس ليال، وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبّحهم وهم غارّون، وقد أوعز إلى أصحابه ألّا يمعنوا في الطلب، فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، واقتسموا الغنيمة فكانت سهمانهم خمسة عشر بعيرا لكل رجل وعدلوا البعير بعشر من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة[184]؛ لم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية.

سرية قطبة بن عامر ﷺ إلى خثعم بناحية تبالة وقيل بناحية بيشة:

في صفر سنة تسع بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلا إلى حيّ من خثعم، قال محمد بن عمر بناحية تبالة، وقال ابن سعد بناحية بيشة، وأمره أن يشنّ الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يتعقبونها، فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر ويحذّرهم فضربوا عنه، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنّوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجراح في الفريقين جميعا، وقتل قطبة من قتل منهم وساقوا النّعم والشّاء والنساء إلى المدينة، وجاء سيل أتيّ فحال بينهم وبينه فما يجدون إليه سبيلا، وكانت سهمانهم أربعة أبعرة والبعير يعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخمس، وتبالة: موضع بقرب الطائف على طريق مكة اليمن لبني مازن[185]، وقد سلك على موضع يقال له الفتق وهو من مخاليف الطائف[186]؛ ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية رغم ان المسافة من المدينة إلى الطائف وما جاورها تتجاوز 600 كيلا، وفيما يظهر أن المصادر قصرت في ذكر مثل تلك التفاصيل.

غزوة مؤتة:

بعث النبي ﷺ إلى مؤتة جيشا جعل قيادته لزيد بن حارثة ¢ فإن أصيب فالقيادة لجعفر بن أبي طالب ¢ فإن أصيب فالقيادة لعبدالله بن رواحة ¢ وإن أصيب فليختر المسلمون من رءوا، وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا واستشهد القادة الثلاثة ﷺ ثم أجمع المسلمون على خالد ابن الوليد ¢ قائدا فانسحب بالمسلمين وعاد قافلا إلى المدينة[187]؛ ومؤتة: موضع من أرض الشام، من عمل البلقاء؛ وهو الذي بعث إليه رسول الله ﷺ الجيش سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة مولاه، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة، فأصيبوا متتابعين على ما قاله، وخرج إلى الظّهر من ذلك اليوم تعرف الكآبة في وجهه، فخطب الناس بما كان من أمرهم، وقال: ثم أخذ اللّواء سيف من سيوف الله: خالد بن الوليد، فقاتل حتّى فتح الله عليه، فيومئذ سمّى خالد سيف الله، وكان لقاؤهم الروم في قرية يقال لها مشارف، من تخوم البلقاء. ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة. قال ابن عمر: كنت فيهم تلك الغزوة، فالتمسنا جعفرا، فوجدناه في القتلى،

(181) الواقدي: **السابق**، 202/2. ابن سعد: **السابق**، 127/2. البيهقي: **السابق**، 357/4. الصالحي: **السابق**، 43/6.
(182) **معجم البلدان**: 218/1.
(183) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص31.
(184) الواقدي: **المغازي**، 203/2. ابن سعد: **الطبقات**، 127/2. البيهقي: **دلائل النبوة**، 353/4. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 327/6.

(185) البكري: **معجم ما استعجم**، 301/1.
(186) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 235/4.
(187) الواقدي: **المغازي**، 205/2. ابن هشام: **السيرة**، 316/4. البخاري: **الصحيح**، ص512. البيهقي: **دلائل النبوة**، 358/4.



ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية[188]، المتأمل في المسافة من المدينة إلى مؤتة يجدها قرابة الألف كيلا إذ أن المسافة من المدينة إلى عمّان عاصمة المملكة الأردني قرابة 1200 كيلا، ومؤتة تقـع ضـمن محافظـة الكـرك وتبعـد 140 كـيلا جنـوب عمّـان العاصـمة[189]، وهـي مسـافة بعيـدة عـلى الجـيش وتحتـاج إلى أدلاء ليتمكن الجيش من الوصول إلى هدفه دون عناء لكن المصادر لم تذكر شيئا من ذلك.

غزوة ذات السلاسل لتأديب قضاعة وبلي:

في جمادى الآخرة سنة ثمان بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من بلي وقضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رَسُول اللَّهِ ﷺ فَدَعَا رَسُول اللَّهِ ﷺ عَمْرو بْن العاص فعقد لَهُ لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فِي ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا، وأمره أن يستعين بمن يمر بِهِ من بلي وعذرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار فلما قرب مِن القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بْن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إِلَيْهِ أَبَا عُبَيدة ابْن الجراح فِي مائتين وعقد لَهُ لواء وبعث معه سراة المهـاجرين والأنصـار، وفـيهم أَبُـو بَكْـر وعمـر، وأمـره أن يلحـق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا، فلحق بعمرو فأراد أَبُو عُبَيدة أن يؤم النّاس فَقَالَ عَمْرو: إنما قدمت عَلِيّ مددا وأنا الأمير، فأطاع لَهُ بذلك أَبُو عُبَيدة وكان عَمْرو يصلي بالناس وسار حتى وطيء بلاد بلي ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين؛ ولقي فِي آخر ذَلِكَ جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا فِي البلاد وتفرقوا، ثُمَّ قفـل وبعـث عـوف ابـن مالـك الأشـجعي بريـدا إلى رَسُـول اللَّـهِ ﷺ فـأخبره بقفـولهم وسـلامتهم ومـا كَـانَ فِي غـزاتهم[190]، وبعـث الرسول ﷺ عمرو بن العاص ¢ لأن أُمَّ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ كَانَتِ امْرَأَةً مِنْ بَلِيٍّ، فبعثه رسول الله ﷺ إِلَيهِمْ يَسْتَأْلِفُهُمْ بِذَلِكَ[191]، ومن خلال سياق الروايات نجد أن هناك رجلين قد كلفا بمهمتين يشترط في كل مهمة المعرفة الدقيقة بالطريق من موقع الغزوة إلى المدينة، فالغزوة وقعت في جزء مِنْ أَرْضِ بَنِي عُذْرَةَ يقال لها ذات السلاسل وهي: مَاءٌ بِأَرْضِ جُذَامٍ، وَالْقَبِيلَتَانِ مُتَجَاوِرَتَانِ، فَدِيَارُ عُذْرَةَ كَانَتْ مِنْ وَادِي الْقُرَى (وَادِي الْعُلَا الْيَوْمَ) إلَى تَبُوكَ إلَى تَيْمَاءَ، وَتَقْرُبُ مِنْ خَيْبَرَ شَمَالًا، وَدِيَارُ جُذَامٍ كَانَتْ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْبَحْرِ[192]، والصحابيان هما رافع بن مكيث الجهني ¢ وهو رجل عارف بالديار وسبق أن شارك في أكثر مـن سريـة وهـو مـن جهينـة التي تقع ديارها بجوار ديار عـذرة وبلي وجذام وقد أرسله عمرو بن العاص ¢ لطلب المدد من النبي ﷺ ولو لم يكن عارف بالطريق مدركا لكل صغيرة وكبيرة لما بعثه، ففيما يظهر أنه دليل السرية أو أحد أدلتها، والصحابي الآخر هو مالك بـن عـوف الأشجعي ¢ ذكر ابن حجـر أن لـه صحبه ولابنه سالم كذلك[193]، وقد أرسله عمرو بن العاص ¢ بريدا إلى رسول الله ﷺ يخبره بقفولهم، وهـذا يـدل عـلى أن مالكـا ¢ وهـو مـن قبيلـة أشـجع الـتي تسـكن المنطقـة الواقعـة بـين المدينـة وخيـبر وتجـاور قبائـل بـلي وعـذرة وجهينـة[194] عارفـا بالـديار والمسـالك، وبـذلك يكـون أحـد الأدلاء في هذه الغزوة، والله تعالى أجل وأعلم.

سرية الخبط - غزوة أبي عبيدة ابن الجراح ﷺ إلى سيف البحر:

سرية الخبط أميرها أَبُو عُبَيدة بْن الجراح ﷺ وكانت فِي رجب سـنة ثمان مـن مهاجر رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، إذ بَعَـثَ رَسُـول اللَّـهِ ﷺ أَبَا عُبَيدة بْن الجراح ﷺ فِي ثلاثمائة رَجُل مِن المهاجرين والأنصار، وفيهم عُمَر بْن الْخَطَّاب ¢ إلى حي مِن جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليال. فأصابهم فِي الطريق جوع شديد فأكلوا الخبط وابتاع قيس بْـن سعد ﷺ جـزرا ونحرها لهـم، وألقى لهـم البحـر حوتـا عظيمـا فـأكلوا منه وانصـرفوا ولم يلقـوا كيـدا[195]، والمسافة من المدينة إلى سيف البحر تتراوح بين 260 - 350 كيلا، وهي مسافة بعيدة تحتاج إلى دليل، وفيما يظهر أن للسرية دليل من قبيلة عذرة أو جهينة والأخيرة أقرب لأنهم في أراضيها وداخل مواقعها، لكن لم تذكر المصادر شيئا من ذلك.

(188) البكري: **معجم ما استعجم**، 1172/4.
(189) **موقع ويكيبيديا على الانترنت.**
(190) الواقدي: **المغازي**، 217/2. ابن سعد: **الطبقات**، 100/2. البخاري: **الصحيح**، ص523. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 32/3. البيهقي: **دلائل النبوة**، 399/4. ابن الجوزي: **المنتظم**، 321/3. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 495/6. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 167/6.
(191) الطبري: السابق، 32/3.
(192) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص159.
(193) **الإصابة في تمييز الصحابة**: 9/3.
(194) عبدالله سكات الرشيدي: **خيبر من النشأة إلى نهاية الدولة الأموي**، ص62.
(195) ابن هشام: **السيرة**، 531/4. الواقدي: **المغازي**، 221/2. ابن سعد: الطبقات، 100/2. البخاري: **الصحيح**، ص524. البيهقي: **دلائل النبوة**، 406/4. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 179/6.



سرية خَضِرَة:

سَرِيّـةُ خَضِـرَةَ، أَمِيرُهَـا أَبُـو قَتَـادَةَ، فِي شَـعْبَانَ سَـنَةَ ثَمَـانٍ، وَخَضِرَةُ نَاحِيَةُ نَجْدٍ عَلَى عِشْرِينَ مِيلًا عِنْدَ بُسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ[196]، وقد غنموا ورجعوا قافلين إلى المدينة، ولم تذكر المصادر هذه السرية بهذا الاسم ولم يذكر الواقدي دليلا لها.

بعث عمرو بن أمية الضمري ﷺ لقتال أبي سفيان بن حرب والفتك به:

لما قُتِلَ من وجهه النبي ﷺ إلى عضل والقارة من أهل الرجيع، وبلغ خبرهم رسول الله ﷺ بعث عمرو بْن أمية الضمري ¢ إلى مكة وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاري، وأمرهما بقتل أبي سفيان بْن حرب، وحينما كشف أمرهم عادوا طالبين النجاة إلى المدينة ولم يشاء الله سبحانه وتعالى أن تكون نهاية أبي سفيان كافرا، وفيما يظهر أن عمرو بن أمية هو دليل صاحبه في الطريق لأنه عارف بالمسالك والدروب بين مكة والمدينة.

سرية أبان بن سعيد بن العاص بن أمية ﷺ قبل نجد:

في جمادى الآخرة سنة روى أبو داود في سننه وأبو نعيم في مستخرجه وتمام الرازي في فوائده: موصولات البخاري في صحيحه تعليقا عن أبي هريرة ﷺ قال: «بعث رسول اللّه ﷺ أبان بن سعيد على سريّة من المدينة قبل نجد، فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها، وإن حزم خيلهم لليف، وفي رواية الليف قال أبو هريرة: «قلت يا رسول اللّه: لا تقسم لهم» فقال ﷺ : «يا أبان اجلس»[197]، فلم يقسم لهم، لم يُذكر لهذه السرية دليل.

سرية علقمة بن مجزر ﷺ:

سأل رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار فزارة بعد غزوة ذي قرد بعد مقتل وقاص بن مجزر المدلجي ليدرك ثأره ووصل إلى ديارهم ثم عاد ولم يلق كيدا[198]، ولم يذكر ابن هشام دليل هذه السرية.

(196) الواقدي: **المغازي**، 224/2.

(197) أبو داود: **سنن أبي داود**، 73/2. قال الشيخ الألباني: صحيح، (**صحيح وضعيف سنن أبي داود**). انظر: الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 128/6.

(198) ابن هشام: السابق، 537/4.

غزوة علي بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن:

غزاها علي بن أبي طالب ¢ مرتين، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ¢ وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال: (إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب)، ولم يذكر ابن هشام دليلا لهذه الغزوة رغم بعد المسافة بين المدينة واليمن تقارب 1400 كيلا، وهي دروب ومسالك متعددة تحتاج إلى خبير ماهر فيها خاصة قمم الجبال ومنحدرات الأودية والشعاب، وربما كان دليلهم الأسود بن خزاعيّ ¢ الذي سار مع عليّ ¢ إلى اليمن لما بعثه النبيّ ﷺ[199].

سرية أبي قتادة ﷺ إلى بطن إضم:

في لرمضان وقبل فتح مكة بعث رسول الله ﷺ إبي قتادة ¢ بسرية من ثمانية نفر إلى بطن إضم فَظَانّ يَظُنّ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ الشّامَ، وَظَانّ يَظُنّ ثَقِيفًا، وَظَانّ يَظُنّ هَوَازِنَ، ولا تذهب الأخبار لقريش[200] ، وبطن إضم: فيما بين ذي خشب وذي المروة[201]، لم تذكر المصادر دليلا لهذه الغزوة، وإن كنت أرى أنهم ذهبوا مع طريق الشام ولم يلقوا جمعا حتى انتهوا إلى ذي خشب، وبعد علمهم بتوجه النبي ﷺ إلى مكة أخذوا على بين حتى لحقوا بالنبي ﷺ بالسقيا[202]، لا بد لهم من دليل خبير بالديار والطرق ليصلوا إلى غايتهم بسرعة وسرية تامة.

غزوة فتح مكة وشأنها:

من الغزوات الخالدة في التاريخ إذ بعد هذه الغزوة أصبحت الجزيرة العربية تدين بالإسلام، وقد أعد لها النبي ﷺ أفضل إعداد وجهز القبائل ورفع الرايات وتوجه معه قرابة عشرة ألاف مقاتل من كافة القبائل المسلمة، ليفتح الله مكة المكرمة للمسلمين وتصبح من ضمن دولة الإسلام الخالدة[203]، ومن ضمن إعداد الجيش والخطط بعث النبي ﷺ غالب بن عبدالله الليثي ¢ يسهل له

(199) البخاري: **الصحيح**، ص522. ابن حجر: **الاصابة**، 223/1.

(200) الواقدي: **المغازي**، 227/2. ابن هشام: السابق، 527/4. ابن سعد: **الطبقات**، 101/2. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 35/3. البيهقي: **دلائل النبوة**، 468/5. الصالحي: **سبل الهدى**، 190/6.

(201) ابن سعد: السابق، 101/2.

(202) الواقدي: السابق، 2/ 239.

(203) الواقدي: **المغازي**، 227/2. ابن هشام: **السيرة**، 330/4. ابن سعد: **الطبقات**، 105/2. البخاري: **الصحيح**، 513. مسلم: **الصحيح**، 506. الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، 42/3. البيهقي: **دلائل النبوة**، 5/5. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 156/6.

الطريق[204]، وشهد فتح مكة المكرمة وسهل لهم الطريق[205]، وهو دليل هذا الفتح.

سرية خالد بن الوليد ﷺ لهدم العزى:

سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى العزّى لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، وكانت بيتا بنخلة. قال ابن إسحاق وابن سعد: وكان سدنتها وحجّابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنام قريش وجميع كنانة. وذلك أن عمرو بن لحيّ كان قد أخبرهم أن الرّبّ يشتّي بالطائف عند اللات ويصيّف عند العزّى، فعظّموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة. وروى البيهقي عن أبي الطفيل رضي اللّه تعالى عنه: وكانت بيتا على ثلاث سمرات؛ قال محمد بن عمر، وابن سعد: وبعث رسول اللّه ﷺ يوم فتح مكة خالد بن الوليد ¢ إلى العزّى ليهدمها، فخرج في ثلاثين فارسا من أصحابه، قال ابن إسحاق: فلما سمع سادتها السّلمي بسير خالد إليها علّق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه فأتاها خالد فقطع السّمرات وهدمها ثم رجع إلى رسول اللّه ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئا؟» قال: لا، قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها»، فرجع خالد وهو متغيّظ، فلما رأيت السدنة خالدا انبعثوا في الجبل وهم يقولون: يا عزّى خبليه، يا عزّى عوّريه ولا تموتي برغم، فخرجت إليه امرأة عجوز سوداء عريانة ثائرة الرأس، زاد أبو الطفيل: تحثوا التراب على رأسها ووجهها. فضربها خالد فجزّ لها اثنتين، ثم رجع إلى رسول اللّه ﷺ فأخبره فقال: «نعم، تلك العزّى قد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا»[206]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية، ولكن هناك تعليق جميل ولفتة رائعة للصالحي بخصوص تاريخ السرية وأحداثها فقال: والذي ذكره غير واحد منهم: الواقدي وتلميذه محمد بن سعد أن سرية خالد ¢ إلى العزّى كانت لخمس ليال من شهر رمضان، وسرية خالد ¢ إلى بني جذيمة كانت في شوال سنة ثمان قلت إن صح ما ذكره ابن إسحاق من كون سرية خالد ¢ لهدم العزّى بعد سرية بني جذيمة فوجهه أن رسول الله ﷺ رضي عليه وعذره في اجتهاده[207].

(204) القرطبي: **الاستيعاب**، 1252/3.
(205) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 321/4.
(206) الواقدي: **المغازي**، 292/2.
(207) **سبل الهدى والرشاد**: 301/6.

سرية عمرو بن العاص ﷺ لهدم سواع:

في شهر رمضان سنة ثمان بعد الفتح بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ¢ إلى سواع صنم هذيل بن مدركة على ثلاثة أميال من مكة إلى البحر يحجون إليه، وكان على صورة امرأة ليهدمه، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السّادن؛ فقال: ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول اللّه ﷺ أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لم؟ قال: تمنع. قلت: حتى الآن أنت على الباطل ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرت أصحابه فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا، ثم قلت للسادن كيف رأيت؟ قال: أسلمت للّه تعالى[208]، لم يذكر للسرية دليل.

سرية سعد بن زيد الأشهلي ﷺ إلى مناة:

لست بقين من رمضان سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة وكانت بالمشلّل للأوس والخزرج وغسّان لهدمها فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال السّادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه فهدموه، ولم يجد في خزانتها شيئا وانصرف راجعا إلى رسول اللّه ﷺ[209]، والصنم كان للأوس والخزرج وغسان، وقد أرسل النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي الأوسي لهدمها وهو من الوس ويعرف مكانها وفيما يظهر أنه دليل السرية، أو أحد من الأوس والله أعلم.

سرية أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية:

لما قدما على رسول اللّه ﷺ مع وفد ثقيف وأسلموا قالوا: أرأيت الرّبّة ماذا نصنع فيها؟ قال: اهدموها، قالوا: هيهات لو تعلم الرّبّة أنّا أو ضعنا في هدمها قتلت أهلنا، فقال رسول اللّه ﷺ: «أنا أبعث أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة يهدمانها»[210]، وكان

(208) السابق: 303/6.
(209)الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**: 304/6.
(210) الواقدي: **المغازي**، 356/2. البيهقي: **دلائل النبوة**، 304/5. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 99/2. ابن سيد الناس: **عيون الأثر**، 2.282. الصالحي: **السابق**، 346/6.

أبو سفيان والمغيرة قد رافقا الوفد الذي يعد بمثابة الدليل للسرية، وتمت عملية هدم الطاغية والحمد لله.

سرية بني عبس:

ذكر ابن سعد في الوفود أن بني عبس وفدوا على رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهم تِسْعَةُ رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ، فَكَانُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ؛ مِنْهُمْ: الْحَارِثُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهُوَ الْكَامِلُ، وَقَنَانُ بْنُ دَارِمٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادَةَ، وَهَدْمُ بْنُ مَسْعَدَةَ، وَسِبَاعُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو الْحِصْنِ بْنُ لُقْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، فبعثهم رسول الله ﷺ سرية لعير قريش، ومنهم ميسرة بن مسروق الذي لقي رسول الله ﷺ في حجة الوداع[211]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية.

بعثه ﷺ لأبي أمامه صدي بن عجلان ﷺ إلى باهلة:

عن أبي أمامة ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله' وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم وقد سقوا إبلهم وجلبوها وشربوا، فلما رأوني قالوا: مرحبا بالصّدعي بن عجلان، وأكرموني وقالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل، فقلت: لا ولكن آمنت بالله ورسوله وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم شرائع الإسلام. فبينا نحن كذلك إذ جاءوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها يأكلونها وقالوا: هلمّ يا صديّ، قلت: ويحكم إنما أتيتكم من عند من يحرّم هذا عليكم إلا ما ذكّيتم، فجعلت أدعوهم إلى الإسلام فكذّبوني وزبروني وأنا جائع ظمآن قد نزل بي جهد شديد، فقلت لهم: ويحكم ايتوني بشربة من ماء فإني شديد العطش، قالوا: لا ولكن ندعك تموت عطشا، قال: فاعتممت وضربت برأسي في العمامة ونمت في حر شديد، فأتاني أت في منامي بقدح فيه شراب من لبن لم ير الناس ألذّ منه فشربته حتى فرغت من شرابي ورويت وعظم بطني، فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم وسراتكم فرددتموه فاذهبوا إليه وأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي، فأتوني بالطعام والشراب فقلت: لا حاجة لي في طعامكم ولا شرابكم، فإن الله تعالى أطعمني وسقاني: فانظروا إلى الحال التي أنا عليها. فأريتهم بطني فنظروا فاسلموا عن آخرهم بما جئت به من عند رسول ﷺ، قال أبو أمامة: ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشا بعد تيك الشّربة[212]، وهو المبعوث وهو الدليل لأن رسول الله ﷺ بعثه إلى قومه وهو: (صُدَيِّ بْن عجلان بْن الحارث، وقيل: عجلان بْن وهب، أَبُو أمامة الباهلي السهمي، وسهم بطن من باهلة، وهو سهم بْن عمرو بْن ثعلبة بْن غنم بْن قتيبة بْن معن، غلبت عليه كنيته، سكن حمص من الشام)[213].

سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى بني جذيمة من كنانة:

وكانوا بأسفل مكّة عَلَى ليلة ناحية يلملم في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ وهو يوم الغميصاء؛ والغُميصاء: (موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر)[214]، قَالُوا: لما رجع خالد بْن الوليد مِن هدم العزى وَرَسُولُ اللَّه ﷺ مُقِيمٌ بمكة بعثه إلى بني جذيمة داعيا إلى الإِسْلَام ولم يبعثه مقاتلا، فخرج فِي ثلاثمائة وخمسين رجلا مِن المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم خالد فَقَال: ما أنتم؟ قَالُوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد فِي ساحاتنا وأذنا فيها! قَالَ: فما بال السلاح عليكم؟ فقالوا: إن بيننا وبين قوم مِن العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هُم فأخذنا السلاح! قَالَ: فضعوا السلاح! قَالَ: فوضعوه. فَقَالَ لهم: استأسروا. فاستأسر القوم؛ فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فِي أصحابه، فلما كَانَ فِي السحر نادى خالد: مِن كَانَ معه أسير فليذافه! والمذافة الإجهاز عَلَيْهِ بالسيف، فأما بنو سليم فقتلوا مِن كَانَ فِي أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم، فبلغ النَّبِيّ ﷺ ما صنع خالد فَقَال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدا! وبعث عَلِيّ بْن أَبِي طالب ﷺ فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثُمَّ انصرف إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فأخبره[215]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية، وإن كانت خبرة خالد ﷺ تخدمه في هذا المجال، والله تعالى اعلم.

---

(211) ابن سعد: **الطبقات**، 255/1. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 129/3. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 367/6.

(212) الطبراني: **المعجم الكبير للطبراني**، 279/8. قال الصالحي: رواه الطبراني من طريقين إحداهما سندها حسن. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 370/6.

(213) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 15/3. ابن حجر: **الإصابة**، 16/7.

(214) الصالحي: السابق، 310/6.

(215) الواقدي: **المغازي**، 294/2. ابن هشام: **السيرة**، 363/4. ابن سعد: **الطبقات**، 112/2. البخاري: **الصحيح**، ص521. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 305/6.

سرية أبي عامر الأشعري ﷺ إلى أوطاس:

قال أبو موسى ﷺ بعد وقعة حنين بعثني رسول الله ﷺ مع أبي عامر ¢، لما نزلت هوازن عسكروا بأوطاس وهي: (شَمَالَ شَرْقِيّ مَكَّةَ، وَشَمَالَ بَلْدَةِ عُشَيْرَةَ، وَتَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ قَرَابَةَ 190 كَيْلًا عَلَى طَرِيقٍ مُتَعَرِّجَةٍ)[216]، عسكرا عظيما وقد تفرّق منهم من تفرّق وقتل من قتل وأسر من أسر فانتهينا إلى عسكرهم، فإذا هم ممتنعون، فبرز رجل معلم يبحث للقتال: فبرز له أبو عامر فدعاه إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال الرجل: اللهم لا تشهدوا عليّ، فكفّ عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد حسن إسلامه فكان رسول اللّه ﷺ إذا رآه يقول: «هذا شريد أبي عامر»[217]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية.

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين:

في شوال سنة ثمان لما أراد رسول اللّه ﷺ المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفّين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي، يهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعا إلى قرية فهدم ذا الكفين وجعل يحي النار في وجهه ويحرقه، وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا رسول اللّه ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدم بدبّابة ومنجنيق وقال: «يا معشر الأزد من يحمل رايتكم؟» فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الرّازية اللهبي، قال: «أصبتم»[218]، ودليل هذه السرية هو أميرها الطفيل بن عمرو الدوسي ¢ لأن الهدف الذي أرسله النبي ﷺ وهو ذو الكفين الصنم في بلاد دوس.

سرية قيس بن سعد بن عبادة لصُداء ناحية اليمن:

قال ابن إسحاق لما رجع رسول اللّه ﷺ من الجعرانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما إلى ناحية اليمن وأمره أن يطأ صداء، فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين، فقدم رجل من صداء فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فجاء رسول اللّه ﷺ فقال: «يا رسول اللّه جئتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش فأنا لك بقومي»، فردّهم من قناة وخرج الصدائي إلى قومه، فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر رجلا فأسلموا، فقال رسول اللّه ﷺ: «إنك مطاع في قومك يا أخا صداء»، فقال: بل اللّه هداهم، ثم وافاه في حجة الوداع بمائة منهم، وهذا الرجل هو الذي أمره رسول اللّه ﷺ في سفر أن يؤذّن ثم جاء بلال ليقيم فقال رسول اللّه ﷺ: «إن أخا صداء هذا أذّن ومن أذّن فهو يقيم»، واسم أخا صداء هذا زياد بن الحارث، نزل مصر[219]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية.

سرية عيينة بن حصن الفزاري ﷺ إلى بني تميم:

في المحرم سنة تسع وسبب ذلك أن رسول اللّه ﷺ بعث رجلاً من بني سعد هذيم على صدقاتهم وأمره رسول اللّه ﷺ أن يأخذ العفو ويتوقّ كرائم أموالهم، فخرج بشر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، فأمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليهم خزاعة الصدقة في كل ناحية فاستكثرت ذلك بنو تميم فقالوا: ما لهذا يأخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فشهروا السيوف، فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام وهذا أمر ديننا، فقال التميميون: لا يصل إلى بعير منها أبدا. فهرب المصدّق وقدم على رسول اللّه ﷺ فأخبره الخبر، فوثبت خزاعة على التميميين فأخرجوهم من محالهم وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، ليدخلنّ علينا بلاء من محمد ﷺ حيث تعرّضتم لرسوله تردّونه عن صدقات أموالنا فخرجوا راجعين إلى بلادهم، فقال ﷺ: «من لهؤلاء القوم؟»، فانتدب أول الناس عيينة بن حصن الفزاري فبعثه رسول اللّه ﷺ في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء قد حلّوا بها وسرحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع دلّوا. فأخذ منهم أحد عشر رجلا ووجد في المحلّة إحدى وعشرين امرأة كذا في العيون، وقال محمد بن عمر وابن سعد وتبعهما في الإشارة والمورد إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا، فجلبهم إلى المدينة فأمر بهم رسول اللّه ﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحارث[220]، ودليل هذه السرية هو عيينة بن حصن الفزاري ¢ الذي كان عارفا بالديار مجاورا لبني تميم تارة ومحاربا لهم تارة أخرى.

---

(216) البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص: 34.
(217) البخاري: **الصحيح**، ص519. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 314/6.
(218) السابق: 320/6.
(219) ابن سعد: **الطبقات**، 626/2. البيهقي: **دلائل النبوة**، 355/5. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 340/7. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 322/6.
(220) الواقدي: **المغازي**، 17/1. ابن سعد: **الطبقات**، 121/2. ابن سيد الناس: **عيون الأثر**، 253/2. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 324/6.

بعث عبدالله بن عوسجة ﷺ إلى بني حارثة:

في صفر سنة تسع بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عوسجة إلى بني حارثة بن عمرو يدعوهم إلى الإسلام، فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم، وأبوا أن يجيبوا فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما لهم؟ ذهب الله بعقولهم»، فهم إلى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وأهل سفه، قال محمد بن عمر: قد رأيت بعضهم عييّا لا يحسن يبين الكلام[221]، وعبدالله ابن عوسجة ¢[222] هو المبعوث والدليل في آن واحد.

غزوة حنين:

لما فتح رسول الله ﷺ مكة مشت أشراف هوازن، وثقيف بعضها إلى بعض، وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله ﷺ وقالوا: قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا، والرأي أن نغزوه، فحشدوا وبغوا وقالوا: والله إن محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعوا أمركم، فسيروا في النّاس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم، فأجمعت هوازن أمرها، وجمعها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النّصريّ وأسلم بعد ذلك، وهو يوم حنين ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ونصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال محمد بن عمر: لا يبلغون مائة، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، مشى فيها ابن أبي براء فنهاها عن الحضور وقال: والله لو ناوأوا محمّدا من بين المشرق والمغرب لظهر عليهم[223]، وَقَدّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خالد بن الوليد ¢ مِنْ حُنَيْنٍ عَلَى مُقَدّمَتِهِ، وَأَخَذَ مَنْ يَسْلُكُ بِهِ مِنْ الْأَدِلّاءِ إلَى الطّائِفِ فَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الطّائِفِ، وكان رسول الله ﷺ قَدْ أَمَرَ بِالسّبْيِ أَنْ يُوَجّهُوا إلَى الْجِعِرّانَةِ، واستعمل عليهم بديل بن ورقاء الخزاعيّ، وقد نصر الله الدين وأعلا كلمة الحق واندحر الشرك وأهله، وقد استخدم النبي ﷺ الأدلاء في هذه الغزوة لأن الأدلاء أعرف بمسالك الطرق ويستطيعون إيصال الجيش المسلم دون عناء، كما دعا رسول الله ﷺ الصحابي أبي حدرد الأسلمي ¢ فقال: (انطلق فادخل في الناس حتى تأتي بخبر منهم وما يقول مالك)، كما كان للصحابي أنيس بن أبي مرثد الغنوي ¢ دور في حراسة المسلمين وهم نائمون في طريقهم إلى الطائف[224]، وهنا يتضح التخطيط الدقيق لكل غزوة يقوم بها النبي ﷺ ونجد الأدلاء ركن من أركان مسيرة الجيش.

سرية علقمة بن مجزز المدلجي ﷺ إلى أهل الشعيبة:

في ربيع الآخر سنة تسع، بلغ رسول الله ﷺ أن أناسا من الحبشة تراياهم أهل الشعيبة وهو ساحل بناحية مكة المكرمة، وقال ياقوت الحموي: قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن[225]، في مراكب فبلغ النبي ﷺ فبعث علقمة بن مجزز المدلجي في ثلاثمائة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر فخاض إليهم فهربوا منه ثم انصرف[226]، ولم تذكر المصادر دليلا لهذه السرية، وإن كنت أرى أن علقمة ¢ هو دليل السرية لخبرته، يقول ابن الأثير في ترجمته: علقمة بْن مجزز بْن الأعور بْن جعدة بْن مُعَاذ بْن عتوارة بْن عَمْرو بْن مدلج الكناني المدلجي أحد عمال النَّبِيّ ﷺ عَلَى جيش، وكونه أحد عمّال النبي ﷺ على الجيش فخبرته تمكنه من الوصول بالجيوش إلى بر الأمان.

سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى الفَلْسِ ودليلهم حريث ﷺ من بني أسد:

في ربيع الآخر سنة تسع بعث رسول الله ﷺ إلى الفلس ليهدمه في مائة من الأنصار ليس فيهم إلا مهاجر واحد، والفلس صنم لطي فأغاروا عليه مع الفجر وهدموه وكسبوا غنائم وسبي وشاء[227]، وخرج بدليل من بني أسد يقال له: حريث فسلك بهم على طريق فيد، فلما انتهى بهم إلى موضع قال: بينكم وبين الحي الذي تريدون يوم تام فإن سرناه بالنهار وطئنا أطرافهم ورعاءهم فأنذروا الحي فتفرقوا، فلم تصيبوا منهم حاجتكم، ولكن نقيم يومنا هذا في موضعنا حتى نمسي ثم نسري ليلتنا على متون الخيل فنجعلها غارة حتى نصبحهم مع عماية الصبح، قالوا الرأي فعسكروا، ومع الصبح أصابوا عبدا أسودا راعيا يقال له أسلم وتركوا حريث مع الجيش

(221) الواقدي: **المغازي**، 2/ 373/2. ضمن سرية بني كلاب. الصالحي: السابق، /326.

(222) ابن الأثير: **أسد الغابة**، 354/3. ابن حجر: **الإصابة**، 173/4.

(223) الواقدي: السابق، 302/2. ابن هشام: **السيرة**، 405/4. ابن سعد: السابق، 114/2. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 530/11. البيهقي: **دلائل النبوة**، 77/5. الصالحي: **سبل الهدى**، 310/5.

(224) الواقدي: **المغازي**، 308/2.

(225) **معجم البلدان**: 315/3.

(226) الواقدي: السابق، 374/2. البخاري: **الصحيح**، ص521.

(227) الواقدي: السابق، 375/2. ابن سعد: **الطبقات**، 164/2.

فدلهم بعد ان وضعوا السيف على عاتقه، ثم اسلم فيما بعد وشارك مع خالد في حروب الردة[228].

غزوة تبوك:

كانت الساقطة وهم الأنباط يقدمون المدينة بالدرمك (وهو الدقيق الحُوَّاري)[229] والزيت فِي الْجَاهِلِيّةِ وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامُ، فَإِنّمَا كَانَتْ أَخْبَارُ الشّامِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كُلّ يَوْمٍ لِكَثْرَةِ مَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ الْأَنْبَاطِ، فَقَدِمَتْ قَادِمَةٌ فَذَكَرُوا أَنّ الرّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشّامِ، وَأَنّ هِرَقْلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةٍ، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَغَسّانُ، وَعَامِلَةُ، وَزَحَفُوا وَقَدّمُوا مُقَدّمَاتِهِمْ إلَى الْبَلْقَاءِ وَعَسْكَرُوا بِهَا، وَتَخَلّفَ هِرَقْلُ بِحِمْصٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إنّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ قِيلَ لَهُمْ فَقَالُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَدُوّ أَخْوَفَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِمَا عَايَنُوا مِنْهُمْ إذْ كَانُوا يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ تُجّارًا مِنْ الْعَدَدِ وَالْعُدّةِ وَالْكُرَاعِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَغْزُو غَزْوَةً إلّا وَرّى بِغَيْرِهَا، لِئَلّا تَذْهَبَ الْأَخْبَارُ بِأَنّهُ يُرِيدُ كَذَا وَكَذَا، حَتّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَاسْتَقْبَلَ غُزّى وَعَدَدًا كَثِيرًا، فَجَلّى لِلنّاسِ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهّبُوا لِذَلِكَ أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، وَأَخْبَرَ بِالْوَجْهِ الّذِي يُرِيدُ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الْقَبَائِلِ وَإِلَى مَكّةَ يَسْتَنْفِرُهُمْ إلَى غزوهم، فلما تهيأ للمسير ورحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات دفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق ¢، ورايته العظمى إلى الزبير ¢، وبقية الرايات لأصحابها، مضى رسول الله ﷺ من المدينة، وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْمَدِينَةِ، فَصَبّحَ ذَا خُشُبٍ فَنَزَلَ تَحْتَ الدّوْمَةِ، وَكَانَ دَلِيلَهُ إلَى تَبُوكَ عَلْقَمَةُ بْنُ الْفَغْوَاءِ الْخُزَاعِيّ، فَقَامَ رسول الله ﷺ تحت الدّوْمَةِ، فَرَاحَ مِنْهَا مُمْسِيًا حَيْثُ أَبْرَدَ، وَكَانَ فِي حَرّ شَدِيدٍ، وَكَانَ يَجْمَعُ مِنْ يَوْمِ نَزَلَ ذَا خُشُبٍ بَيْنَ الظّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي مَنْزِلِهِ، يُؤَخّرُ الظّهْرَ حَتّى يُبْرِدَ، وَيُعَجّلُ الْعَصْرَ، ثُمّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، فَكُلّ ذَلِكَ فَعَلَهُ حَتّى رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ[230]، وقد اتخذ النبي ﷺ دليلا له في هذه الغزوة وهو: علقمة بْن الفغواء وقيل: ابْنُ أَبِي الفغواء بْن عُبَيْد بْن عَمْرو بْن مازن بْن عدي بْن عَمْرو ابْن رَبِيعة الخزاعي، لَهُ صحبة، سكن المدينة، وهو أخو عَمْرو بْن الفغواء، بعثه رَسُول اللَّه ﷺ بمالٍ إِلَى أَبِي سُفْيَان بْن حرب ليقسمه فِي فقراء قريش، وكان دليل النَّبِيّ ﷺ إِلَى تبوك[231]؛ وبهذا نرى أن النبي ﷺ قد اتخذ الرجل العارف بالطريق الذي يستطيع إيصال الجيش إلى غايته بسرعة ودقة ودون عناء رغم المسافة البعيدة بين المدينة وتبوك والتي تقدر بحوالي ٧٠٠ كيلا.

سرية خالد بن الوليد ﷺ إلى أكيدر بن عبدالملك (بدومة الجندل):

في رجب سنة تسع بعث رسول الله ﷺ سرية إلى أكيدر بْن عَبْدالملك، يقول ابن حجر: (رجل من كندة، وكان على دومة، وكان نصرانيًا)[232]، بدومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، فانتهى إِلَيْهِ خالد وقد خرج من حصنه فِي ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هُوَ وأخوه حسان، فشدت عَلَيْهِ خيل خالد بْن الوليد فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما، فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي بِهِ رَسُول اللَّهِ ﷺ على أن يفتح لَهُ دومة الجندل، ففعل وصالحه عَلَى ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، فعزل للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صفيا خالصا ثُمَّ قسم الغنيمة فأخرج الخمس. وكان للنبي ﷺ ثم قسم ما بقي بين أصحابه فصار لكل رَجُل منهم خمس فرائض، ثُمَّ خرج خالد بْن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد وكان فِي الحصن وبما صالحه عَلَيْهِ قافلا إلى المدينة، فقدم بأكيدر عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ فأهدى لَهُ هدية فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما. وكتب له رسول الله ﷺ[233]، والحقيقة أن المسافة من المدينة إلى دومة الجندل كما ذكرت سابقا قرابة ٨٠٠ كيلا، ومن تبوك إلى دومة الجندل على اعتبار أن النبي ﷺ بعثه من تبوك قرابة ٤٥٠ كيلا فهو بحاجة إلى دليل في الذهاب وفي العودة، فلا بد من دليل حاذق عارف بأدق التفاصيل لأنه أوصله إلى حصن أكيدر ثم عاد به إلى المدينة، ومن قول خالد ¢ للنبي ﷺ: كيف لي به وسط بلاد كلب؟ وإنما أنا في أناس يسير، وهذا دليل على معرفة خالد.

---

(228) الواقدي:السابق، 376/2.

(229) ابن منظور: **لسان العرب**، 423/10.

(230) الواقدي: **المغازي**، 379/2. ابن هشام:**السيرة**، 437/4. البخاري: **الصحيح**، ص530. الصالحي:**سبل الهدى والرشاد**، 443/5.

(231) ابن سعد: **الطبقات**، 14/6. القرطبي: **الاستيعاب**، 1088/3. ابن الأثير: **أسد الغابة**، 83/4. ابن حجر: **الإصابة**، 459/4.

(232) السابق: 380/1.

(233) الواقدي: **المغازي**، 405/2. ابن سعد: السابق، 126/2.





بعث أسامة بن زيد ﷺ إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث:

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الشَّامِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُوَطِّئَ الْخَيْلَ تُخُومَ الْبَلْقَاءِ وَالدَّارُومَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فَتَجَهَّزَ النَّاسُ، وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ، وَهُوَ آخِرُ بَعْثٍ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ، وَقَدِ انْتَدَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْكِبَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَالْأَنْصَارَ فِي جَيْشِهِ، فَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ¢، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ فِيهِمْ. فَقَدْ غَلِطَ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ وَجَيْشُ أُسَامَةَ مُخَيِّمٌ بِالْجُرْفِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْجَيْشِ وَهُوَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِإِذْنِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ كَانَ قَدِ انْتُدِبَ مَعَهُمْ، فَقَدِ اسْتَثْنَاهُ الشَّارِعُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِالنَّصِّ عَلَيْهِ لِلْإِمَامَةِ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ اسْتَطْلَقَ الصِّدِّيقُ مِنْ أُسَامَةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْمُقَامِ عِنْدَ الصِّدِّيقِ ﷺ، وَنَفَّذَ الصِّدِّيقُ جَيْشَ أُسَامَةَ[234]، ورغم بعد المسافة بين فلسطين والمدينة بالطريق المباشر قرابة 1300 كيلا تقريبا، إلا أن المصادر لم تذكر دليلا لهذا البعث.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه أتممت هذا البحث ومما يذكر أني اجتهدت في بعض الاستنتاجات وفق ما قرأت، وربما كانت الصعوبات في تكرار بعض السرايا والأحدث في أكثر من رواية مما سبب بعض التشتت الذي حاولت جاهدا أن يكون التركيز في هذا البحث على المصادر الرصينة في كتابة السيرة النبوية، ومع أن البحث يختص بأدلاء الغزوات والسرايا والبعوث بالدرجة الأولى أو الكليّة إلا أن هناك بعض الفوائد التي لابد أن أدونها هنا من باب الفائدة، فقد تكررت بعض الأحداث وذكرت في أكثر من موضع ليس هذا مجالا لبسطها لكن تذكر من باب العلم ومنها: قصة عبدالله بن حذافة السهمي ¢ مع أصحابه وما قال لهم مازحا، كذلك مقتل مرداس بن نهيك، وقد أفادني الصالحي ¬ في تعليقاته وتوجيهاته، فقد أورد في سرية خالد بن الوليد ¢ ما ذكره البيهقي إذ قال: (روى البيهقي[235] أن: رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ¢ على المهاجرين إلى دومة الجندل، وبعث خالد بن الوليد ﷺ على الأعراب معه وقال: «انطلقوا فإنكم ستجدون أكيدر دومة يقنص الوحش فخذوه أخذا وابعثوا به إليّ ولا تقتلوه وحاصروا أهلها»، وذكر أبي بكر الصديق ¢ في هذه السّريّة غريب جدا لم يتعرض له أحد من أئمّة المغازي التي وقفت عليها فالله أعلم[236]، وهذه من الفوائد التي قل أن يتطرق لها الكثير، ومن الذين جاء ذكرهم وشاع فرات بن حيان البجلي ﷺ فقد أسلم بعد أن قبض عليه دليلا لقافلة قريش على الطريق العراقي، ثم بعثه النبي ﷺ إلى ثمامة بن أثال في قتل مسيلمة[237]، وكان دليلا لخالد ¢ في حروب الردة وفي العراق، كما كان دليلا للعلاء بن الحضرمي ﷺ بعد أن ولاه أبو بكر الصديق ﷺ شأن البحرين[238]، ومن خلال تتبع سيرة النبي ﷺ في اتخاذ التدابير والاحتياطات في الغزوات والسرايا والبعوث فإنه يتضح من خلال سياق الأحداث حول بعض السرايا والبعوث اهتمام النبي ﷺ بوسائل الحرب الاستخبارتية وتمثل ذلك في بثّ العيون، وتوظيف الأدلاء، وبعث الطلائع إلى أرض العدوّ لجمع المعلومات عنه، وفي ذلك درس بليغ للأمة بالاهتمام بهذه الوسائل وغيرها من الأسباب الشرعية، وتطبيقها في حربها مع أعدائها لما تمثله من أهمية بالغة بالنسبة لعوامل النصر وأسبابه[239]، كما أن مثل هذه الاستراتيجيات مفيدة للأجيال القادمة في أسلوب التعامل مع العدو، وتعطي دلالات واضحة على مشروعية اتخاذ العيون للتجسس على الأعداء، وتزويد المسلمين بأخبارهم وتحركاتهم ضد المسلمين وحشودهم، مما يمكن المسلمين من اتخاذ كافة التدابير لإنجاح مساعيهم، كما أنَّ استخدام المسير الليلي كمسير اقترابي إلى أرض العدو، واتخاذ الدليل طليعةً في أرض العدو، يُعَدُّ من الأسس العملية المهمّة للمباغتة، وهي أساليب تُعَدُّ من مبتكرات الرسول القائد ﷺ، واستمرار نجاح سياسة النّبِيّ ﷺ العسكرية الهجومية في حربه مع أعدائه من

(234) الواقدي: **المغازي**، 473/2. ابن هشام: **السيرة**، 539/4. الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، 184/2. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 23/8.

(235) **دلائل النبوة**: 253/5.

(236) **سبل الهدى والرشاد**: 341/6.

(237) القرطبي: **الاستيعاب**، 1258/2.

(238) ابن سعد: **الطبقات**، 267/4.

(239) بريك أبو مائلة: **غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية**، ص502.



الأعـراب بضـرب حشـودهم في قواعـدها، والإغـارة علـيهم قبـل استكمال استعداداتهم، مِمَّا كـان لـه أبلـغ الأثـر في تلـك النتائج المدهشة من إدخال الرعب في قلوبهم، والقضاء على مخططاتهم العدوانية التي كانت موجَّهة ضد المسلمين في مهدها، وبسط نفوذ المسلمين على أراضيهم، وبالتالي التمهيد للانطلاق فيما وراء ذلك لتحقيق أهداف المسلمين واستراتيجياتهم بعيدة المدى[240]، وقد اتخذ الخلفاء الراشدين هذا المنهج منهجا عسكريا ناجحا، فأرسلوا الأدلاء مع الجيوش الفاتحة مما حقق النصر بعد توفيق الله، وأسهم في سرعة تنقل الجيش من جبهة إلى أخرى، ويتضح ذلك في اتخاذ خالد بـن الوليـد رافـع بـن أبي رافـع دلـيلا لـه لقطـع المفـازة في صـحراء السماوة بين العـراق والشـام[241]، وغيرهـا مـن الشـواهد التي تزخر فيها كتب التاريخ والتي تبين أهمية الأدلاء في الحرب والسلم، تجارة وجيشا، ومن نتائج هذه الدراسة أن بعض الأدلاء صرح بهم أهل الاختصاص في المغازي والسير، والبعض ألمحوا لهم من خلال ذكر بعـض الأسـماء ومنهـا يمكـن اكتشـاف الـدليل مـن خـلال علاقـة بالأرض أو القبيلة الموجهة لها السرية أو الغزوة، وبعض الغزوات والسرايا لم تذكر تلك المصادر دليلا لها مما جعل الاجتهاد في بعضها ممكنا وتعذر في البعض الآخر، ومن واجبات القائد الناجح ضرورة استعمال كل السبل التي من شأنها تحقيق النصر بإذن الله فالقائد النـاجح يعـرف إمكاناتـه ويعمـل وفقهـا، كمـا أنـه يتحمـل مسؤولية قراراته لذا نجد ان النبي ﷺ يستشير أصحابه ٪ ثم يقرر ليحافظ على روح الجند[242]، لذا تجد أن اختيار الدليل العارف بالطريق من مهام القائد الناجح وهذا ما فعله نبينا ﷺ، من هنا كتبت واجتهدت وعلى الله الاتكال وبه أستعين، سائلا الله التوفيق والسداد وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه وخدمة لسيرة حبيبنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(240) بريك أبو مائلة: **غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية**، ص214.

(241) ابن سعد: **الطبقات**، 6/132.

(242) عبدالله مُحَمَّد الرشيد: **القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ**، ص16.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أثرو سون: **فن الحرب**.
2. ابن الأثير: **أسد الغابة**.
3. ابن إسحاق محمد: **سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي)**.
4. الألباني محمد ناصر الدين: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**.
5. البخاري: **الصحيح**.
6. البكري: **معجم ما استعجم**.
7. البلادي بريك أبو مائلة:
   - السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة.
   - غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية.
8. البلادي عاتق غيث: معجم المعالم الجغرافية في السيرة.
9. برو توفيق: تاريخ العرب القديم.
10. ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء.
11. تنيضب الفايدي: سوق المناخة أسسه رسول الله ﷺ، صحيفة المدينة، 2013/12/27م.
12. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
13. ابن حجر:
   - الإصابة في تمييز الصحابة.
   - فتح الباري شرح صحيح البخاري.
14. الحكمي حافظ محمد: مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة.
15. الحموي ياقوت: معجم البلدان.
16. خطاب محمود شيت: قادة الأندلس.
17. أبو داود: سنن أبي داود.
18. ديورانت ول: قصة الحضارة.
19. الرشيد عبدالله محمد: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ.
20. الرشيدي عبدالله سكات:
   - خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي.
   - غزوة ذي قرد دراسة تاريخية ميدانية.
21. الرفاعي عبدالباسط مصطفى: طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الأول.
22. الزرقاني: شرح على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.



23. السامرائي خليل وآخرين: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس.
24. ابن سعد: الطبقات الكبرى.
25. ابن سيد الناس: عيون الأثر.
26. ابن سيدة: المخصص.
27. الشريف أحمد: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ.
28. شقير نعوم: تاريخ السودان.
29. الشهري عوض أحمد: مرويات غزوة خيبر جمع ودراسة وتحقيق.
30. الشيخ رأفت غنيمي: دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر.
31. الشيخ عبدالرحمن: رحلة بنيامين التطيلي.
32. الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.
33. الصلابي علي محمد: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.
34. الطبراني: المعجم الكبير للطبراني.
35. الطبري: تاريخ الرسل والملوك.
36. طنطاوي محمد سيد: السرايا الحربية في العهد النبوي.
37. علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
38. آل عيسى عبدالسلام:
    - العمليات الاستخباراتية في سيرة النبي ﷺ.
    - القيادة العسكرية من خلال سيرة النبي ﷺ.
39. ابن قتيبة الدينوري: المعارف.
40. قريبي إبراهيم: مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع.
41. ابن كثير: البداية والنهاية.
42. الماوردي: أعلام النبوة.
43. مسلم بن الحجاج: الصحيح.
44. مصطفى وآخرين: المعجم الوسيط.
45. المعافري عبدالملك: التيجان في ملوك حمير.
46. ابن منظور: لسان العرب.
47. وأبو نعيم: معرفة الصحابة.
48. الهرثمي: مختصر سياسة الحرب.
49. ابن هشام: السيرة النبوية.



الأوضاع الصحية في المغرب قبل الفترة الاستعمارية بين الكتابات المغربية والأجنبية

حفصة أعبود
باحثة في سلك الدكتوراه
بجامعة عبد المالك السعدي
تطوان – المغرب

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تبين وتوضح الوضع الصحي الذي كان قائما في المغرب قبل الفترة الاستعمارية، حيث تسير بناء على الكتابات المغربية والأجنبية في رصد صفحات من الأوضاع الطبية، والأزمات الصحية التي كانت في المغرب، وكذلك طرق التداوي التقليدي في الاستشفاء من الداء والعاهات، وقد اختلفت نظرة الأوربيين عن نظرة المصادر المغربية في مقاربة هذه الوضعية، وهذا ما يرمي المقال إلى توضيحه بناء على مصادر مغربية، وتقارير أجنبية تمكننا من رسم صورة ولو كانت نسبية حول الوضعية الصحية قبل فترة الاحتلال الأجنبي للمغرب التي جاءت بوسائل جديدة في المجال الطبي.

الكلمات المفتاح :الصحة-الطب-المغرب، الأوربيون- الوباء

Abstract:

This study tries to show and clarify the health situation that existed in Morocco before the colonial period, as it is based on Moroccan and foreign writings in monitoring pages of the medical situation, and the health crises that occurred in Morocco, as well as traditional treatment methods in hospitalization of diseases and disabilities, and the Europeans' view differed from the view of Moroccan sources in approaching this situation, and this is what the article aims to clarify based on Moroccan sources, and foreign reports that enable us to draw a picture, even if it is relative to the health situation before the period of foreign occupation of Morocco, which brought new means in the medical field.

Keywords: health-medicine-Morocco-Europeans-epidemic

المقدمة

لا مناص أن الوضع الصحي في المغرب وخاصة في شماله لم يحظ باهتمام واضح لدى الأقلام المحلية إلا بعضٌ من الشذرات التي نقتبسها من الصحف الصادرة في المنطقة الخليفية[1]، في حين نجد إسهابا كبيرا في تناول مواضيع سياسية و عسكرية، فقلة المادة المصدرية في هذا الشأن تدفع الباحث إلى البحث عن المعلومات التاريخية في مصادر أخرى بغية استقاء المعطيات اللازمة لمعالجة هذا الموضوع،[2] وبغية استنطاقها.[3]

---

[1] بعد مطالعة البيليوغرافيا المختصة بالمنطقة الشمالية يلاحظ الباحث أن هناك فقرا شديدا بخصوص الدراسات المتعلقة بالشق الاجتماعي والمجال الطبي خصوصا.
-GRIMAU (R) ; APROXIMACION A UN BIBLIOGRAFIA ESPANOL SOBRE EL NORTE DE AFRICA MADRID ;1982.
-BacaicoaArnaiz,(D); nsayo de bibliografia espanola de arqueologia sobre la zona de protectorado de Espana en Marruecos; Tetoun ;1955.

[2] هناك مجلة مغربية لأطباء مختصين تهتم بموضوع التاريخ الطبي:
MAROC MÉDICAL Fondée en Janvier 1920 par E. Speeder, la revue Maroc Médical a été dirigée par une équipe de Médecins français du Protectorat jusqu'à Juin 1975 avec pour dernier numéro : le n°591, date à laquelle ils annoncèrent, par un communiqué, sa cessation d'apparussions définitive. Après trois années de négociation, ils consentirent enfin à autoriser sa réimpression sous la direction de Médecins marocains. La revue publie des articles originaux, des faits cliniques et des mises au point s'adressant à un large public médical.
يمكن تحميل كل أعدادها من الرابط:
https://revues.imist.ma/index.php/MM/index

[3] يواجه البحث في الصدد عدة صعوبات ينظر :
AKHMISSE, Mustapha, «Histoire de la médecine au Maroc des origines à l'avènement du protectorat», in





لقد ظل المغرب منذ قيام الدولة الادريسية172ه-376 ه يستفيد من الخبرة المشرقية العربية في ممارسته لمختلف أنماط العلم الطبي، وقد شهد المغرب الأقصى ازدهارا على مستوى الطبابة خلال القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين، خصوصا في الفترات التي غدت فيها بلاد الأندلس تابعة لأمراء مراكش[4]،

فالسلاطين المرابطين استقدموا العديد من الأطباء المرموقين من الأندلس، وأفسحوا لهم المجال للتطبيب و التدريس ، ووفروا لهم أفضل الظروف المواتية.

لقد تميزت الوضعية الطبية والصحية بالمغرب قبل عهد الحماية بغياب نظام صحي ببنيات وهياكل صحية، أما الحالة الصحة للسكان ، فكانت متدهورة نتيجة الأوبئة المنتشرة و انعدام وسائل وقائية فعالة ، مما مهد الطريق أمام تدخل الطب الاستعماري كواجهة إنسانية يصعب رفض مزاياها بالنسبة لمجتمع هو في أمس الحاجة إليها[5]، كما شكلت الخدمة الطبية المقدمة من قبل الأطباء ومنتحلي الطب الأوربيين إحدى أبرز الوسائل التي وظفتها القوى الأوربية لاختراق المغرب[6] تمهيدا للسيطرة عليه ، وبدا هذا التوظيف بينا جدا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر 1860-1912 كما أن سلطتي الحماية الاسبانية و الفرنسية 1912-1956 عملتا على استخدام الخدمات الطبية لكسب ثقة المغاربة[7] وتحقيق التغلغل السلمي ثم ترسيخ التحكم ، وأنشأت في هذا السياق عددا من المرافق الصحية وغيرها من الإجراءات التي لها طابع علاجي أو وقائي.[8]

- الاوضاع الصحية بين الكتابات المغربية والاجنبية

في هذا السياق عانى المغرب خلال القرن18م من كوارث طبيعية قاسية من قبيل تعدد موجات الجفاف وزحف الجراد وظهور الأوبئة[9]التي تسبب فيها توالي سنوات الجفاف أدى إلى انهيار الإنتاج

Histoire des sciences médicales, t. XXVI, n°4, 1993, pp. 263-270.

une des grandes difficultés que j'a rencontrées pour mené à bien ce travail est le manque e de bibliographie. J'ai dû parcourir un grand nombre e de livres d'histoire pour récolte r quelque faits sur la vie de tel ou tel médecin d'autant plus que e l'activité religieuse e ou littéraire e d e ce médecin s étaittellemen t débordant e qu'ell e faisait disparaître e le côté scientifique e pou rétros e remplace par un e pros e ou un e poésie e exubérante. De plus, l'art de guérir était considéré comme accessoire aux yeux de biographe s maghrébins pour qui le savant était avant tout un juriste, un philosophe ou un poète avant d'être un homme e de science. Le plan de mo n expos é est des plus simples, il compte e cinq parties qui correspondent aux grandes périodes de l'histoire du Maroc La Ir e période va des origines au règne des Idrissides qui se termine en 1068. - La 2e période couvre e les règne s de la dynastie des Almoravide s et Almohade s (1069-- La 3e période correspond au règne de la dynastie des Mérinides (1269-1465). - La 4e période couvre le règne de la dynastie des Saadiens (1465-1663). - Enfin la 5e période commence e avec l'actuelle dynastie des Alaouites en 1664 ; nous nous arrêterons à l'avènement du protectorat français.

[4] للمزيد من التفاصيل أنظر: هشام البقالي، إسهامات متصوفة العصر المرابطي في معالجة المرضى بالمغرب والأندلس، مجلة التراث. مج. 9، ع. 32 (كانون الأول 2019)، ص . 155-163.

-Renaud. H.-P.-J., Etat des connaissances sur la médecine ancienne au Maroc, exposition coloniale de Marseille, 1922

-Ammar (S.) En souvenir de la médecine arabe, Imprimerie (Tunis), 1965.

Clarisse (R.) Médecine traditionnelle du Maghreb, Ed. Le Harmattan, Paris, 1996,

-Faraj (A.) Relations médicales hispano-maghrébines au Même siècle, Ed. Vega, Paris, 1935,

- Jazi (R.) (1966), Contribution à l'étude de l'histoire de la pharmacie arabe : falsification et contrôle des médicaments pendant la période arabe. Thèse de Doctorat en pharmacie, Université de Strasbourg, 1966.

[5] DOURY, Paul, « Lyautey et la médecine », in Histoire des sciences médicales, Tome XXXV, n°3, 2001, pp. 305-315.

[6] هناك معلومات مهمة في هذا الصدد ضمن: دانييل ريفي، الطب الاستعماري أداة استبدادية متسامحة لمراقبة السكان، تعريب عزوز هيشور وعبد القادر مومن، مجلة الأمل، مطبعة النجاح، الجديدة، ط، 1995، العدد 6.

[7] كان الطب من أحد أوجه السياسة الاسلامية التي نهجها ليوطي ومن بعده في المنطقة الاسبانية خوان بيكبيدير

[8] أحمد المكاوي، الدور الاختراقي والاستعماري للطبابة الأوربية في المغرب، منشورات الزمن، العدد 10، 2009، ص 6.

[9] Fouad Laboudi ; historique de l'épidémie de la peste de 1818 au Maroc Médical ;vol 35,n 2 ;p2013 ;p 132





الفلاحي و انتشار الغلاء فمثلا سنة 1798م كان القحط شديدا[10] بحيث ارتفع ثمن المد الواحد من القمح من4 أوقيات سنة 1786 إلى 12 أوقية ، مما ساهم في تأزيم الوضعية الغذائية للفئات الفقيرة في المجتمع ، فنتج عن ذلك ظهور أمراض تطورت إلى أوبئة اجتاحت عامة وخاصة الناس ، ولم تقتصر على المغاربة فحسب بل طالت حتى الأجانب و اليهود المغاربة، وشملت المدن والبوادي على حد سواء.

وخلال القرن 18 اجتاح على المغرب موجات من الكوارث الطبيعية التي تسببت في ظهور مجموعة من الجوائح و الأوبئة التي كانت لها وقع مزري على الوضع الصحي فقد تميزت سنة 1817 بغزو جديد للجراد الذي وصل إلى المناطق الشمالية محدثا خسائر كبيرة [11] بالمحاصيل الزراعية، وقد تسببت ندرة التساقطات المطرية ما بين 1798-1800إلى توالي سنوات القحط و الجفاف مما أدى إلى استفحال الطاعون، وقد أصبحت خونطة [12] القناصل بطنجة تولي مزيدا من الاهتمام بالوقاية الصحية في المراسي.[13]

وهكذا في الوقت الذي كانت أوربا مشغولة عن البلاد بحروب الثورة الفرنسية، كان قناصلها بطنجة قادرين على اتخاذ سلسلة من التدابير الوقائية تنص على طرد المراكب الموبوءة أو إخضاع ركابها، بمن فيهم المغاربة لحجر صحي في أحد أبراج المدينة.

وقد انتشر الوباء في مدينة طنجة بشكل مهول في عهد السلطان مولاي سليمان بدايات القرن 19م، حيث عمل على سن سياسة الاحتراز لمجابهة تفشي الوباء الذي كان يأتي عبر رياح الضفة الشمالية من حوض البحر الأبيض المتوسط.

جدول 1: انتشار الوباء بطنجة سنة 1804[14]

	عدد المصابين	القتلى
المسلمون	9000	1970
اليهود	1525	257
المسيحيون	115	07

يشير الجدول أعلاه عن عدد الضحايا جراء تفشي الوباء بمدينة طنجة في النصف الأول من القرن التاسع عشر زمن السلطان المولى سليمان، حيث حرص هذا الأخير على حفظ سلامة المغرب من سريان الوباء عبر فرض حجر صحي بالموازاة مع سنه لسياسة الاحتراز أو الانغلاق بعدما حصد الوباء أرواحا بشرية مهولة.

ويتحدث خالد الناصري عن مجاعة 1878 قائلا:» ثم دخلت سنة خمسة وتسعين ومائتين وألف فكانت من أشد السنين على المسلمين قد تعددت فيها المصائب والكروب، وتلونت فيها النوائب والخطوب، فكان فيها أولا ارتفاع الأسعار، ثم عقب ذلك انحباس المطر لم تنزل من السماء قطرة وأجيحت الناس وهلكت الدواب والأغنام، وعقب ذلك الجوع ثم الوباء على ثلاثة أصناف، وكان إخوانهم يحفرون على من دفن منهم ليلا ويسلبونهم من أكفانهم»[15] ...

كما أن ابن زيدان[16] أورد رواية أخرى تبرز هول الكارثة الصحية حيث ضربت سنوات عجاف من الأوبئة وهي:

وباء 1891 وباء1878 وباء1867 وباء 1800

شهد القرن 19م حصول عدد من المغاربة على اجازات في الطب من مدارس مغربية وعلى رأسها جامعة القرويين[17]،

Renaud. H. P. J, La peste de 1818 d'après des documents inédits, Hespéries, Volume 3,1923

[10]أنظر: اكرام شقرون، الطاعون الكبير بالمغرب (1798– 1800م) – دراسة ديمغرافية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، ديسمبر 2020.

ولعلّه من أخطر الأوبئة التي تعرض لها المغرب خلال القرن 19م، وكانت تتكرر بشكل دوري، وباء الطاعون الذي هدّد حياة المغاربة واستقرارهم

[11] محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط،1992، ص 102.

[12]فؤاد العبودي، البيئة و الصحة في تاريخ المغرب الحديث، المجلة الصحية المغربية، العدد 27، شتنبر 2020، ص32.

[13] محمد الأمين البزاز، م س ، ص 104.

يعني بكلمة خونطة عندمحمد الأمين البزاز في كتاب ، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط،1992، ص27، »كلمة إسبانية junta، معناها المجلس .«

[14].Jean Louis Miége ; LE MAROC Ecrits de Graberg de Hemso 1776-1847 éd : La porte ; Rabat 2002، P105.

[15]أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، ج9، ص 164-165.

[16]عبد الرحمن ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس في أخبار حاضرة مكناس، ج2، المطبعة الوطنية،1990، ص179.



وبالموازاة مع ذلك أوفد المولى الحسن الأول بعثات طلابية إلى الخارج، للاستفادة من تقدمهم في هذا المجال، حيث رجعت هذه البعثة بشواهد في الممارسة الطبية[18]، أمثال شاكر السلاوي الحاصل على تكوين طبي بالكلية العثمانية، وتلقى ستة أطباء آخرين تداريب في المستشفى الإسباني بطنجة [19]، ويعتبر عبد السلام العلمي[20] من أبرز هؤلاء، فبعد تخرجه من المدرسة الطبية بمصر، أصبح بعد مدة طبيبا خاصا للمولى الحسن الأول و لأسرته ، عوض الطبيب الفرنسي ليناريسLinares.

إن أهم مركز تعليمي في المغرب هو جامعة القرويين، انقطع عن منح الاجازات في الطب اعتبارا من سنة 1832م، وارتباطا بهذه المسألة كانت طريقة تلقين المعارف الطبية تقليديا، إذ كان يتم تدريسها للطلبة كما كانت تدرس أية مادة أخرى، مثل الفقه والتفسير والحديث والنحو، وقد انصب تدريس الطب في المجمل على شرح محتويات كتب الطب العربية الأساسية وهي الكامل للرازي، القانون لابن سينا، الكليات لابن رشد ومؤلف ابن البيطار للأعشاب.[21]

ومع بداية القرن العشرين لا يكاد يوجد بالمغرب أثر لأسس نظام صحي بمفهومه الحديث ، وذلك لغياب بنيات و هياكل صحية و إدارية واضحة الأهداف و المهام، بل يستحيل أن تجد اسما واحدا لطبيب مغربي في البلاد كلها عند بداية القرن العشرين، إلا أن ذلك لا ينفي وجود اهتمام بمكافحة الأمراض باللجوء إلى عدة أساليب تطغى عليها الاجتهادات الفقهية وفق قيم التداوي الشائعة في الثقافة العربية الإسلامية، وسيادة ما يمكن تسميته بالتركيبة القديمة لمارسة الطب الشعبي أو الطب التقليدي[22] .إذ يهيمن على عملية التداوي استعمال النباتات و الأعشاب وبعض المواد الغذائية و أحيانا بعض المعادن ، كما طغت في علاج بعض الأمراض ممارسة طقوس الشعوذة و السحر و أساليب لا تخضع لأية مقاييس علمية أو طبية مضبوطة.

ولقد عرف مغرب ما قبل الحماية تزايد وتيرة الأوبئة والمجاعات نظير موقعه الجغرافي الاستراتيجي، الذي مكنه من ربط علاقات تجارية و ديبلوماسية مع العديد من الدول الأوربية والمشرق العربي وفد الحجاج الأمر الذي ساهم على تسرب الأوبئة إلى المغرب عبر منافذه على العالم الخارجي، كطنجة الذي ضرب بها وباء 1818 و 1820، أو نتيجة للحملات الأوربية التي تعرض لها المغرب أثناء الحملة الفرنسية سنة 1844، والحملة الاسبانية سنة

---

[17] Kahhak A. Un diplôme de médecin marocain à Fès en 1832. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°7, 1970.

[18] ففي ميدان الطب برع اسم مغربي في القطر المصري عده الكثير من الباحثين بأنه علامة فارقة بين الطب التقليدي والعصري هو عبد السلام بن محمد العلمي وهو طبيب مغربي، من أهل فاس مولدا ووفاة، تخرج من مدرسة الطب في القاهرة، وعاش في زمن السلطان المصلح المولى الحسن، ووافته المنية عام 1905 م، وبرع في العلوم الطبية ونال شهرة طافت الأفاق في مصر، وقد خصه العلامة محمد المنوني بالإشادة والبيان بكونه شكل لبنة أساسية من طائفة المغاربة الذين يشكلون أحد مظاهر اليقظة المغربية.

وقد التحق بمستشفى القصر العيني بمصر وصار يدرس الطب على علماء من مصر وإسبانيا وفرنسا وحضر تشريح نحو 1600 جثة من مخلفات ثورة عرابي الشهيرة. ولما عاد إلى بلاده، فتح عيادة صغيرة قرب حرم مولاي إدريس بفاس؛ وألف في علم الطب تآليف هي: "ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي" بلغة فاس: وهذا الكتاب –كما هو ظاهر من عنوانه– يهتم بذكر الأسماء المغربية لما ورد في "تذكرة" داود الأنطاكي المتوفى عام 1008ه / 1599م.

إن العمل الذي قام به الطبيب عبد السلام العلمي هو عمل علمي كبير، حيث قرب النفع بما ورد في كتاب "التذكرة" لعموم المهتمين بخواص الأعشاب في المغرب بأن جعل أمام الأسماء المشرقية للنباتات أسماءها المغربية مرتبة حسب الحروف الهجائية، ولم يكتف الطبيب العلمي بذلك فقط؛ بل إنه حاول في كتابه هذا توضيح كيفية تقطير بعض الأعشاب الطبية مصوراً بالأشكال الهندسية الجهاز المستعمل لهذه الغاية، وقد أهدى المؤلف كتابه هذا للسلطان مولاي الحسن اعترافاً منه بالجميل الذي أسداه إليه بإرساله في بعثة دراسية إلى مصر.

ينظر: محمد البكراوي. الطبيب عبد السلام محمد الحسني العلمي الفاسي. دفاتر تاريخية. العدد 1. خريف 2010. جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. كلية الآداب ظهر المهراز. ص 11

[19] محمد جادور، الطب المغربي في نهاية القرن التاسع عشر عبد السلام العلمي نموذج، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، مطبعة عكاظ، الرباط 2011، ص49-50.

[20] من أشهر المؤلفات الطبية لعبد السلام العلمي:

- البدر المنير في علاج البواسير، وقد تناول فيه العلامات التي يتميز بها مرض البواسير، وطرق علاجه، ونظام الحمية الغذائية المرتبط به.
- مفتاح التشريح: وهي منظومة في علم التشريح والمعالجة، نظمها في ثمانية وسبعين بيتا، تطرق فيها لمكونات الهيكل الجسدي للإنسان، لكن يبقى كتاب ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس من أهم الكتب التي ألفها عبد السلام العلمي سنة 1318ه حيث وصف فيه أزيد من سبعة وستين ترياقا لمختلف الأمراض التي تصيب الانسان.

[21] أحمد المكاوي، م س، ص 42.

[22] محمد أنفلوس، م س، ص 10.





1859-1860،[23] كما ساهم الحجاج المغاربة العائدين من الحج في نقل الأوبئة إلى المغرب، ونفس الشيء بالنسبة لبعض المراكب التجارية.

إذا كان من الصعب تحديد فترات ومناطق الأوبئة بالمغرب قبيل عهد الحماية، فإن تحديد اسماءها وتصنيفها أمر صعب أيضا، نظرا لغياب علم يدرسها في هذه الفترة والتجاء جل الكتابات بتسمية لفظ وباء على معظم أنواع الأمراض، وسنحاول في هذا المضمار الكشف عن أنواع هذه الأوبئة وتبيان الطرق العلاجية التي اتخذها المغرب لمواجهتها، من خلال ما وصلتنا من معطيات في بعض من الدراسات الأجنبية سيما منها الرحلات الأجنبية التي رصدت بمجهر دقيق الشروط والظواهر الصحية التي كان يعيشها المغرب.

وفي هذا السياق أكد الرحالة إميل كيرن[24]Emil kern سنة 1911 باعتباره من المهتمين بأمور الصحة، الذين زاروا المغرب قبيل الحماية، أن الماء الذي كان المغاربة يحفظونه في الصهاريج لاستعماله في الشرب، لم يكن صالحا لذلك و استدل على هذا الرأي بما لاحظه أثناء جولانه بالمغرب أن الآبار التي كان ماؤها يستعمل للشرب كانت مفتوحة للهواء الطلق ، مما كان يجعلها معرضة باستمرار لما قد تجره الرياح من غبار و قاذورات ، و يضيف أن أغلب المغاربة يعيشون بأكواخ سيئة وخربة و بعضهم ما يزال يقطن الكهوف و يرزحون تحت نير الحرمان و البؤس و الفقر وقد تحدث إميل كيرنEmil kern عن الظروف الصحية انطلاقا من ثلاث زوايا :

الأولى: تخص الشروط الصحية، على مستوى النظافة، والماء غير الصالح للشرب، وضعف قنوات الصرف الصحي والمراحيض والقمامة.

الثانية: تهم الأمراض المستفحلة في كثير من المناطق بسبب غياب شروط النظافة، ومن هذه الأمراض ذكر الجذريLa Variole، الجرب La gal، الطاعون La peste، التيفوس Le typhus، التهاب الأمعاء .La dysenterie

الثالثة: تخص البنيات التحتية فيما يتعلق بالتطبيب والمستشفيات مع التنويه بمجهودات فرنسا والفرنسيين في هذا الجانب.[25]

كيف تعامل المغاربة مع المرض ؟

لقد اختلفت طرق تعامل المغاربة مع المرض ومواجهته، فهي تارة بالدعاء والتترس[26] ببعض العبارات وتارة بالصبر و التحمل وعدم الاكتراث، وطوروا بالاسترشاد بطرق علاجية من شأنها في نظرهم كشف الضر وطرد الألم، وفي هذا السياق يشير بوجمعة رويان خوف المغاربة من الطبيب حيث تتردد باستمرار في تقارير إدارة الصحة خصوصا أثناء حملات التلقيح و إحصاء المصابين أو توزيع الدواء، فكثيرا ما أفصحت استجوابات الناس، عن خزن الأطفال في المطامير، وإبعادهم عن السكن أثناء حملات التلقيح ضد الجذري خوفا من الطبيب،[27]و انتشرت بين المغاربة من جهة أخرى عادة عدم الاكتراث بالمرض ما دام لا يردي صاحبه طريحا، كما اعتاد المغاربة عند زيارة مرضاهم التحلق حول المريض وسؤاله عن حاله، و تقديم بعض الوصفات وذكر بعض التجارب مع نفس المرض في إطار « سال المجرب لا تسال الطبيب » و كانت ارتسامات العواد المتحلقين حول المريض ، [28]تختلف ما بين متفائل بالشفاء ويائس منه، فيذكر البعض أن كثيرين أصيبوا بهذا الداء و تعافوا ، مراعاة لنفسية المريض و أهله، على ذكر أن الداء ذهب بحياة بعض من يعرفونهم من الناس.

---

[23] محمد البكراوي، الطبيب عبد السلام محمد الحسني العلمي الفاسي، مجلة دفاتر تاريخية، العدد1، جامعة سيدي محمد بن عبد الله –كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مختبر البيبلوغرافيا التحليلية والتوثيق للتراث المغاربي، 2010، ص 72.

[24]إميل كيرن **Emil kern** : مراقب صحي قام بمهمة التفتيش الصحي ضمن البعثة الفرنسية قبيل الحماية ، تقدم لنا رحلة إميل كيرن صورة عن الأوضاع الصحية و الاجتماعية للمغرب قبيل الحماية الفرنسية ، كما تبرز لنا أيضا أشكال التغلغل الفرنسي المنظم في كثير من المناطق بالمغرب ، وعلى جميع المستويات ، الاجتماعية ؛و العسكرية و الاقتصادية ، وتكمن أهميتها في كونها أول نص رحلي ، حسب ما نعتقده ، يجعل اهتمامه المركزي هو المسألة الصحية بالمغرب وكونها أعملت من قبل رجل مختص / مراقب صحي ، مما يخولها لأن تكون وثيقة هامة حول الوضعية الصحية و الاجتماعية لمغرب بداية القرن العشرين .

[25] اميل كيرن، رحلة مراقب صحي إلى المغرب 1911م، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، منشورات القلم المغربي 2011، ص 14.

[26] يعني بالتترس حسب ما ورد عند بوجمعة رويان في كتابه، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، ص 76، هي بعض العبارات أو الأشياء، فقد دأب الناس درءا للمرض على ترديد عبارات: » ما شكيت عليك « أو »الله ينجيك« أو »برا الباس عليك«.

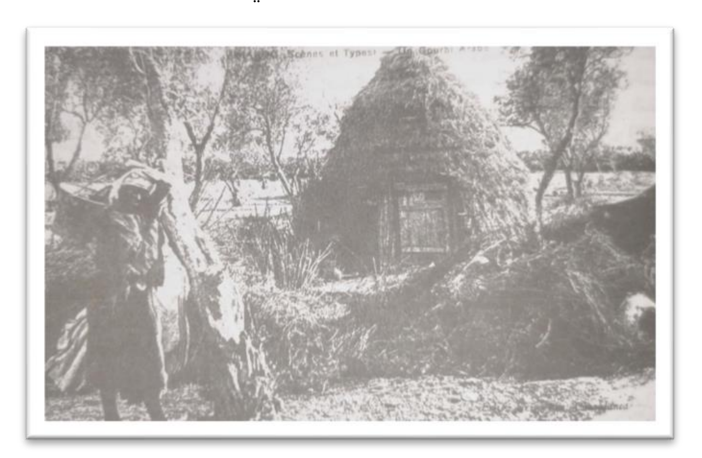
[27] بوجمعة رويان، م س، ص76 -77

[28]نفسه، ص78.



كما تتحدث بعض من الدراسات التي تعرضت للسكن بالمغرب قبل الحماية أو أثناءها، عن مجموعة من المواصفات غير الصحية للمساكن مما يساعد على تفشي الأمراض وتوطنها، كقلة النوافذ وضعف التهوية والإضاءة، وضيق الأزقة بالإضافة إلى تراكم الروث والقاذورات والأوساخ حول المساكن.

صورة18: صورة لنوالة بإحدى البوادي المغربية



المصدر: – Bulletin de l'institut d'hygiènes du Maroc déc. .1934p 34

النوالة بناء مخروطي الشكل، يتكون في قسمه الأعلى من أعواد القصب المكسوة بالتبن، ويقوم على قاعدة من البناء لها باب واحد لا يمكن المرور منه إلا بالقرفصاء، ومن النوايل ما كانت قاعدته مستديرة ومنها، وتتكون النوالة من غرفة واحدة، وهي تقي من البرد والمطر لكنها مظلمة، وهي بذلك نموذج لسكن غير صحي، إذ يقبع في حيز ضيق عدد من الأفراد والقمل الشيء الذي ساهم في تفشي الأمراض والأوبئة بوتيرة سريعة.[29]

على سبيل الختام:

لقد قدمنا في هذا المقال المتواضع، عامة الوضع الصحي في مغرب ما قبل الحماية بلسان الكتابات المغربية والأجنبية، والواضح أن الوضعية كانت صعبة وجد متردية نتيجة الأزمات الوبائية، وغياب طرائق علمية من أجل الاستشفاء، وهو الأمر الذي سوف ينتبه له الأوربيون وسيعملون على غزو المغرب بناء على الطبيب الذي سهل المأمورية من أجل احتلال المغرب سنة 1912 من طرف الاستعماريين الفرنسي والاسباني، وبالتالي بروز نمط طبي عصري جديد غير معهود عند الساكنة قائم على الحقن والكشف بدل التداوي التقليدي الذي كان سائدا قبل الفترة الاستعمارية.

[29] بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي، م س، ص 53.

المصادر والمراجع:

- هشام البقالي، إسهامات متصوفة العصر المرابطي في معالجة المرضى بالمغرب والأندلس، مجلة التراث. مج. 9، ع. 32 (كانون الأول 2019)، ص . 155-163.
- دانييل ريفي، الطب الاستعماري أداة استبدادية متسامحة لمراقبة السكان، تعريب عزوز هيشور وعبد القادر مومن، مجلة الأمل، مطبعة النجاح، الجديدة، ط، 1995، العدد 6.
- أحمد المكاوي، الدور الاختراقي والاستعماري للطبابة الأوربية في المغرب، منشورات الزمن، العدد 10، 2009.
- اكرام شقرون، الطاعون الكبير بالمغرب (1798- 1800م) - دراسة ديمغرافية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، ديسمبر، 2020.
- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، 1992.
- فؤاد العبودي، البيئة و الصحة في تاريخ المغرب الحديث، المجلة الصحية المغربية، العدد 27، شتنبر 2020.
- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، ج9.
- عبد الرحمن ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس في أخبار حاضرة مكناس، ج2، المطبعة الوطنية، 1990.
- محمد جادور، الطب المغربي في نهاية القرن التاسع عشر- عبد السلام العلمي نموذج، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
- محمد البكراوي، الطبيب عبد السلام محمد الحسني العلمي الفاسي، مجلة دفاتر تاريخية، العدد1، جامعة سيدي محمد بن عبد الله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مختبر البيبلوغرافيا التحليلية والتوثيق للتراث المغاربي، 2010.
- اميل كيرن، رحلة مراقب صحي إلى المغرب 1911م، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، منشورات القلم المغربي 2011.

باللغة الاجنبية :

- Renaud. H. P. J, La peste de 1818 d'après des documents inédits, Hespéries, Volume 3,1923



Doctorat en pharmacie, Université de Strasbourg, 1966.

- Clarisse (R.) Médecine traditionnelle du Maghreb, Ed. Le Harmattan, Paris, 1996,
- DOURY, Paul, « Lyautey et la médecine », in Histoire des sciences médicales, Tome XXXV, n°3, 2001, pp. 305-315.
- Faraj (A.) Relations médicales hispano-maghrébines au Même siècle, Ed. Vega, Paris, 1935,
- Jean Louis Miége ; LE MAROC Ecrits de Graberg de Hemso 1776-1847 éd : La porte ; Rabat 2002. P105.
- Kahhak A. Un diplôme de médecin marocain à Fès en 1832. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°7, 1970.
- Renaud. H.-P.-J., Etat des connaissances sur la médecine ancienne au Maroc, exposition coloniale de Marseille, 1922
- AKHMISSE, Mustapha, « Histoire de la médecine au Maroc des origines à l'avènement du protectorat», in Histoire des sciences médicales, t. XXVI, n°4, 1993, pp. 263-270.
- Ammar (S.) En souvenir de la médecine arabe, Imprimerie (Tunis), 1965.
- Fouad Laboudi ; historique de l'épidémie de la peste de 1818 au Maroc Médical ;vol 35,n 2 ;p2013 ;p 132
- Jazi (R.) (1966), Contribution à l'étude de l'histoire de la pharmacie arabe : falsification et contrôle des médicaments pendant la période arabe. Thèse de







الدعاية والإشاعة وإنفاذ شبكات المصالح في البلاد التونسيّة خلال ثورة علي بن غذاهم (1864- 1865)

د.محمد البشير رازقي

أستاذ مساعد. المعهد العالي للعلوم الانسانيّة (جامعة جندوبة)

ملخص:

مثّلت الدعاية المرتكزة على الإشاعة مرتكزا أساسيّا للصراعات السياسيّة خاصة زمن الأزمة. عاشت البلاد التونسية أزمات عميقة خلال القرن 19 وأبرزها ثورة 1864. وقد طرحنا في هذا البحث إشكاليّة أساسيّة: كيف وُظّفت الدعاية المرتكزة على الإشاعة في تحقيق مصالح مختلف الفاعلين السياسيّين على امتداد ثورة علي بن غذاهم؟

تعدّد أصحاب المصالح والساعون إلى النفوذ في الإيالة التونسية خلال ثورة علي بن غذاهم. قناصل الدول الأوروبيّة، وخاصة الفرنسي والانجليزي، الباب العالي والقصر. وظّف كلّ فاعل سياسي الدعاية المرتكزة على الإشاعة لتحقيق مصالحه وترسيخ نفوذه. نستنتج أنه لا يمكن لنا فهم ثورة 1864 بدون موضعتها في إطارها العالي. كان لكلّ فاعل فائدة منتظرة الثورة، وخوف من خسارة ممكنة التحقّق من جهة أخرى. وقد مثّلت الدعاية المرتكزة على الإشاعة عنصرا مهمّا لتحقيق المصالح في خضمّ هذا الصراع. حيث سعى كل طرف إلى صناعة "آخر" بالاعتماد على تصنيفات تحقيريّة وإنتاج أحكام معياريّة وتشكيل صور نمطيّة ووصم اجتماعيّ هدفه الأساسي إنفاذ المصالح وتشكيل شبكات النفوذ لا مصلحة البلاد التونسية.

الكلمات المفاتيح: القرن 19، الدعاية، الإشاعة، الثورة، علي بن غذاهم

Summary:

Rumor-based propaganda has been a mainstay of political struggles, especially in times of crisis. The Tunisian country experienced deep crises during the 19th century, notably the revolution of 1864. In this research, we posed a basic problem: how was rumor-based propaganda used to achieve the interests of the various political actors throughout Ali Bin Ghadham's revolution?

The multiplicity of actors and people seeking influence in the Tunisian province during Ali bin Ghadhahem's revolution. Consuls of European countries, notably French and English, of the Sublime Porte and the Palace. Each political actor used rumor-based propaganda to achieve their interests and consolidate their influence. We conclude that we cannot understand the 1864 revolution without placing it in its overall context. Each actor had a profit in expectation of the revolution, and the fear of a possible loss on the other hand.

Rumor-based propaganda was an important element in reaching interests in the midst of this conflict. Each side sought to create an "other" by relying on derogatory labels, producing normative judgments, and forming stereotypes and social stigma, with the primary goal of enforcing interests and forming networks of influence, not the interest of the Tunisian country.

Keywords: 19th century, propaganda, rumor, revolution, Ali bin Ghadahm

السلطة التونسية والدعاية:

اعتمدت السلطة على الدعاية الدينيّة للمحافظة على وجودها، حيث أنّ إتّباع أوامر الباي والدولة العليّة يُعتبر من





"الواجبات الدينيّة"[1]. وأبرزت الدولة حرصها على الدعاية الدينية في وثائق أخرى عبر التأكيد على دور الباي في المحافظة على أرزاق الناس وأعراضهم وأبدانهم، إلى جانب حرص الباي على "العفو" وتحكيم الأولياء الصالحين في ذلك. ورد في رسالة من أمير الأمراء إسماعيل صاحب الطابع إلى علي بن غذاهم بتاريخ 5 جويلية 1864: "بلغكم قدومنا بالمحلّة المنصورة لباجة...فالذي نعلمكم به أن قدومنا إنما هو للإصلاح بين الناس وليس فيه لأحد من ساير أهل افريقية ضرر ولا بأس، بل لا يصدر منا إن شاء الله تعالى إلا ما فيه مصلحة للخاصة والعامة ولا يرى الجميع منا إلا ما تكون به راحته ومرضاه...وكل من صدر منه عيب أو خطأ في الماضي فعفو مولانا...بالصفح عنه وعدم مؤاخذته بما وقع منه حاكم وقاضي...فعلى كل من فعل عيبا أمان الله ورسوله...وبيننا وبينكم القطب الرباني...أحمد التجاني رضي الله عنه. فالعمل أن تقدم أعيانكم عاجلا إلينا فإنّكم تجدون ما فيه مصلحة عامّتكم وخاصتكم موجودا لدينا"[2]. كما أعلم خزندار أهالي المنستير أنّه سيردّ لهم أحباسهم "التي كانت الحكومة تتصرّف فيها" وذلك "استمالة لهم"[3]. وظّفت السلطة دعاية تحقيريّة تجاه علي بن غذاهم حيث وُصف بالجهل و" من عامّة النّاس"، وكان "ينسب نفسه إلى العلم وقصارى أمره معرفة حروف الكتابة ولم يكن له قدم في أمرة ولا شهرة"[4]. كما أحاطت إشاعات كثيرة بشخصيّة علي بن غذاهم، فمنهم من يعتبره "صنيعة فرنسا، ومنهم من يعتبره صنيعة السلطان"[5].

حاولت السلطة التونسيّة توظيف الولاية الصالحة ضمن حرصها على تطبيق سياستها الدينيّة، وقد روّجت للدعم التي تلقّته السلطة من أولياء وزوايا من الإيالة ومن خارجها. ورد في أحد رسائل جول دي لسبيس Jules de Lesseps إلى خزندار بتاريخ 31 أوت 1864 أنّ "الشيخ مقداد أحد أولاد زاوية بلد السينغال" عبّر عن دعمه للباي[6]. وقد وظّفت السلطة التونسية الأولياء الصالحين لمحاربة النفوذ الفرنسي في الإيالة. فقد أرسلت الدولة "مشايخ الطريقة" إلى القبائل وذكروا لهم أن مُراد الفرنسيين استعمار البلاد التونسية، ولهذا أرسل قنصل فرنسا مكتوبا إلى القبائل عبر بن غذاهم قائلا أنّ "مرادنا إصلاح أحوالكم ورفع المظالم عنكم، وإجراء الحق على كل أحد"، وحذّر قنصل فرنسا القبائل من السياسة الدينية للدولة قائلا إنّ "المشايخ الذين دخلوا بينكم باعوكم بالثمن القليل...ولا يكون لكم أمان في أبدانكم ولا في أرزاقكم "[7]. وأكّدت السلطة التونسية سياستها الدينية عبر ربط التواصل المستمرّ مع عدد رجال زوايا المعروفين وأهمّهم مصطفى بن عزّوز وأحمد بن عبد الملك. وقد أوصاهم خزندار بأهميّة "إرشاد من جاوركم من العربان وتحذيرهم من المخالفة والشقاق...أهل بيت أُسّس على التقوى"[8]. وأرسل أحد رجال الزوايا ويُسمّى أحمد العزوزي رسالة إلى خزندار بتاريخ 5 ماي 1864 قائلاً: "منذ سمعت (باندلاع الثورة) أحذّر كل من بنواحينا وأعرّفهم مزيّة وجودكم علينا وما نحن فيه من النعمة الكاملة"[9]. كما أرسل مكاتيبا إلى "أعيان عروش جلاص وغيرهم ونصحناهم وحذّرناهم"[10]. كما أرسل مصطفى بن عزوز رسالة إلى الباي بتاريخ 17 ماي 1864 قائلا أنّه تحيّر وحزن لاندلاع الثورة، وقد بدأت عمله على "إرشاد خلق الله لما فيه صلاحهم"، وهو حريص على الدّعاء للباي "في أهم الأوقاف وأبرك الساعات ويوم العيد وليلة عرفات"[11].

---

[1] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 185، ملف: 149، و.15 (رسالة من محمّد باش حانبه إلى خزندار: 17 أفريل 1864)

[2] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 185، ملف: 149، و.18

[3] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، الدار التونسية للنشر، 1976، الجزء الأوّل، صص.239- 240 (23 جوان 1864)

[4] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816–1871)**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص.21

[5] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.87- 88 (30 أفريل 1864)

[6] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.19

[7] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.45- 46

[8] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1033، و.1 (25 ذي القعدة 2/1280 ماي 1864)

[9] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1033، و.2

[10] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1033، و.4

[11] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1033، و.6

اعتمدت السلطة التونسية على سياسة دعائيّة صارمة ضدّ فرنسا تتمثّل في اتهامها المتواصل في السعي إلى احتلال البلاد التونسية ورغبتها في استغلال الثورة لتوسيع نفوذها بالبلاد. ولهذا أرسل مصطفى خزنة دار الفريق حسين "ليشيع الخبر في السّاحل بأن الفرانسيس مراده في أخذ إفريقية"[12]. كما شاعت أخبار كثيرة في شرق الجزائر المجاور للحدود التونسية تفيد بأنّ "أصابع الامبراطور (نابليون الثالث) وراء هاته الثورة"[13]. ولهذا حاولت السلطة نشر أخبار عن تلقّيها دعما من قبل جماعات وظيفيّة أجنبيّة، فقد أورد جول دي لسبيس Jules de Lesseps في رسالة له إلى خزندار بتاريخ 31 أوت 1864 أن جراكسة روسيا عرضوا على الباي توفير 40 ألف مقاتل له لأنّهم هربوا من جيش موسكو إلى الأراضي التركيّة وهم "الآن هم في حالة يُرثى لها من الفق[14]. ونشر قصر باردو إشاعات أخرى عن اقتراب وصول 10 آلاف عسكري تركي لقمع الثورة[15].

وُظّفت الصحف في نشر الأخبار والدعاية خلال ثورة 1864. أورد جول دي سلبيس Jules de Lesseps في أحد رسائله إلى مصطفى خزندار بتاريخ 15 جوان 1864 أن بعض الصحف الأوروبية تنشر "الأخبار الخسيسة" عن حال البلاد التونسية، مثل الخبر الذي ورد في صحيفة Le Moniteur حول تقديم خزندار وسائر أعوانه للاستقالة بعد ضغط الثوّار[16]. وأكّد دي لسبيس مرة أخرى هذه المعلومة قائلا أن أخبار الصحف "هي فعل الأعداء وأنا باذل جهدي في تصحيح ما فيها من المبالغة لإزالة سوء تأثيرها في القارئ بقدر استطاعتي"، وقد قام بنشر مقال في صحيفة باريس Paris لإعلام "الناس بحقيقة ما تشعر به الدولة التونسية وميلها الحسن ومحبّتها لفرنسا، وقد وقع من الفصل المذكور (أي المقال) تأثير حسن فيمن اطّلع عليه"[17]. وساهم صحف باريس في نشر الأخبار التي "كانت في الغالب مناقضة" لما تنشره الحكومة التونسيّة"[18]. وكتب في رسالة أخرى له إلى خزندار بتاريخ 20 جويلية 1864 صحف فرنسا قلّصت من نشر "الأخبار الكاذبة" بسبب "الكلام الذي وقع بيني وبين أصحاب القوازط (الصحف La gazette) وهذا ما ساهم في "إزالة الأوهام الفاسدة التي أشاعها المبغضين لدولة جنابه"[19].

اعتمد مصطفى خزندار في سياساته على التنافس الدولي على الإيالة حيث أن "خطّة الوزير الأكبر هي المحافظة على منصبه بفضل التنافس بين فرنسا وانجلترا والسعي لجعل الأهالي يعتقدون أن كلتا الدولتين تستنكر الثورة"[20]. استنتج قنصل فرنسا في رسالة له إلى وزارة الخارجية الفرنسية أنّ خزندار اعتمد على الدعاية من أجل التخلّص من النفوذ الأجنبي واستغلال تنافسهم على الإيالة: "سياسة متواصلة الحلقات استخدمت أوّل الأمر فرنسا للتخلّص من إسطنبول، ثمّ هي تسعى للاعتماد على الدول الثلاث للتخلّص من إشرافنا مهما يكن كريما ونزيها"[21]. كما راهن خزندار على توظيف ورقة البعبع الأجنبي لتصدير مشاكل الحكومة، حيث أنّ " الخوف من الأجنبي هو الذي استغلّته الجبهة الموحّدة لأعوان الوزير الأكبر والقنصل العام البريطاني وهو الذي سيحلّ رباط العربان ويجعلهم يُناصرون الحكومة"[22]. كما اعتمدت السلطة على إشاعة أخبار قدوم جيوش أجنبية لمساعدة الباي مثل قرب الجنود العثمانيين

---

[12] أحمد ابن أبي الضّياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الجزء الخامس، تحقيق: أحمد الطويلي، تونس، الدّار التونسيّة للنشر، 1989، الجزء 5، ص.182 (15 جوان 1864). أنظر أيضا: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.41- 42 (15 جوان 1864/10 محرم 1281)

[13] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي**، مرجع مذكور، ص.30

[14] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.19

[15] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.319- 322 (رسالة من الكولونيل كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 24 ماي 1864)

[16] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.6

[17] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.8 (22 جوان 1864)

[18] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.14 (رسالة من دي لسبيس إلى خزندار بتاريخ 17 أوت 1864)

[19] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و.10

[20] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.62- 63 (24 أفريل 1864)

[21] **نفس المصدر**، صص.264 (3 جويلية 1864)

[22] **نفس المصدر**، صص.275 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بسوسة إلى القنصل بتاريخ 14 جويلية 1864)





أو جزء من الجيش المصري "الذي سيأتي لإعادة النظام في هذه البلاد"[23]. كما اعتمد خزندار على حيلة فرّق تسدّ لإفشال الثورة معتمدا في ذلك على الدعاية، فهو "يريد التخلّص من محلّة علي بن غذاهم وفي الآن نفسه من جلاص الحليفة الخطيرة لمحلّة زرّوق، فهو يدفع بابن غذاهم إلى قتال جلاص ويدفع جلاص إلى قتال كتبة ماجر والفراشيش وأولاد عيار، إمّا للقبض على علي بن غذاهم أو لإذكاء نار الفتنة لدى قبائل الغرب والوسط"[24]. كما اعتمد خزندار سياسة أخرى ذكيّة: "يمكنه أن يلعب على أوجه ثلاثة: فيكسب بالهدايا نائب الباب العالي، وينشر في لندره أن اقصاءه عن الحكم يضرّ بالمعاهدة الإنجليزية، ويبلغ باريس أن سقوطه قد يجرّ معه سقوط العائلة المالكة التي قدّمت لفرنسا شواهد كثيرة على إخلاصها"[25]. كما سعى خزندار إلى التسبّب في صراع بين الزوايا والطرق الكبيرة، فقد قدّم وعودا كثيرة إلى الشيخ مصطفى بن عزّوز من أجل أن يتوصّل إلى "إثارة جماعته أتباع سيدي عبد الرحمان في وجه قائد الثورة الذي ينتمي إلى طريقة سيدي أحمد التيجاني"[26].

تضرّر الوجود الأجنبي في الإيالة خلال الثورة من ظواهر اجتماعيّة عديدة، فقد أخبر نائب قنصل فرنسا بسوسة عن ظهور "درويش" بسوسة ممّا تسبّب في نشأة "تعصّب" ضد الأجانب، وقد أحاطت "الجماهير بالدرويش واحتفوا به وأكرموه وطلبوا منه أن يتنبّأ بما سيحدث. فقال: إن في يوم السبت المقبل أي يوم 14 من هذا الشهر ستقع إبادة اليهود والنصارى في سوسة وقتلهم عن آخرهم لتصبح سوسة مدينة مقدّسة مثل القيروان، ودبّ الهرع في المدينة"، ومن الغد "غصّ الميناء بالنسوة والأطفال المذعورين والأثاث المتكدّس وتهافت الناس على الوكالات والزوارق"[27]. وأخبر قنصل فرنسا في أحد تقاريره أن السلطة التونسية سلّحت عسكر زواوة و"أوفدتهم يطوفون في العاصمة في استعراض طويل يتقدّمهم علم النبيء الأخضر، ويتقدّمون كما لو كانوا رجال دين أكثر منهم رجال سيف. وفي الوقت نفسه ينتشر الدراويش في البوادي منادين الجهاد في سبيل الله...الأمر الذي أرهب الأوروبيين"[28]. كما ورد في وثائق أخرى أن "الدراويش يبشّرون في جهة أن السنة (أي سنة 1864) ستشهد نهاية نفوذ عائلة حسين بن علي"، وبالتوازي مع ذلك نشر خزندار إشاعة بين "الأعراب" تفيد أن "الأسطول الفرنسي والفيالق التي ستخرج من قسنطينة" كُلّفوا بحماية العائلة الحسينية من الثورة. وهذا ما يجعل من فرنسا هدفا مباشرا للثوّار[29]. كما سخّرت السلطة أفواجا من عسكر "زواوة" للتجوّل في "الحارة الأوروبية تتقدّمها الدراويش حاملين الرايات الخضر"[30].

فرنسا وتوظيف الدعاية والإشاعة

اعتمد كلّ فاعل سياسي خلال ثورة 1864 على مجموعة وظيفيّة لإشاعة الأخبار والمعلومات. سعت فرنسا خلال الثورة إلى عزل خزندار عبر توظيف الدعاية، ولهذا أورد بن أبي الضياف أن أتباع قنصل فرنسا من اليهود تفرّقوا في الحاضرة لنشر خبر عزل الباي لمصطفى خزنة دار[31]. كما سعى قنصل فرنسا إلى نشر أخبار عن رغبة إنجلترا في استغلال الأراضي التونسية لزراعة القطن وتحويلها عن زراعة الحبوب وهذا ما يُهدّد النمط الغذائي لمعيشة الأهالي، فقد قال قنصل فرنسا في أحد رسائله إلى علي بن غذاهم في محالة إقناعه للتحالف معه: إذا "ملك الإنجليز في أرضكم يستولي على مكاسبكم ويعطّل هناشركم بزرع القطن وتقلّ الحبوب بأرضكم، لأن تجّارهم أغنياء لا يُفكّرون بمصلحتكم"[32]. لم تكن أطروحة قنصل فرنسا بعيدة عن الواقع، فقد مثّل القطن محرّكا أساسيّا لثورة

---

[23] **نفس المصدر**، صص.347 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بسوسة إلى القنصل بتاريخ 8 أوت 1864)

[24] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.98- 99 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بسوسة بتاريخ 31 أكتوبر 1864)

[25] **نفس المصدر**، ص.318- 319 (رسالة من الكولونيل كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 14 ماي 1864)

[26] **نفس المصدر**، ص.327- 330 (رسالة من الكولونيل كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 11 جوان 1864)

[27] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.138- 139 (12 ماي 1864)

[28] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.188- 190 (29 ماي 1864)

[29] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.323- 324 (رسالة من كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 26 ماي 1864)

[30] **نفس المصدر**، ص.324- 327 (رسالة من كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 5 جوان 1864)

[31] ابن أبي الضّياف، **إتحاف أهل الزمان**، مصدر مذكور، الجزء 5، ص.180

[32] نفس المصدر، ص.182





1864 حيث أثّرت الحرب الأهلية الأمريكية (1861- 1864) على تصدير القطن إلى أوروبا (تعطّل تصدير سبعة أثمان القطن) ممّا أجبر إنجلترا على البحث عن منابت قطن تعوّض القطن الأمريكي، وبرزت في هذا الإطار مصر والهند وتونس، واعتبرت الإيالة مستنبت مستقبليّ وواعد لهذه المادّة. وهذا مما كان يُهدّد مصالح فرنسا سواء في تونس أو في الجزائر[33]. اعتمد قنصل فرنسا إذا على أسس صحيحة لإشاعة خبر يُنفّر الأهالي من الانجليز خوفا على نمط إنتاجهم التاريخي الحبوبي. كما كان قنصل فرنسا على وعي تام بأهميّة الدعاية خلال ثورة 1864. فقد نسب قيام الثورة إلى قنصل إنجلترا ريتشارد وود Richard Wood، فقد زار السّاحل التونسي قُبيل اندلاع الثورة منفّذا "نشاطا دعائيّا"، كما أنّه لم يُخفي "تأييده التام للوزير الأكبر في هذه الظروف الدقيقة" ودعا النّاس إلى "أن يُناشدوا السلطان التدخّل بتونس"، وحرص على تحميل فرنسا كلّ أزمات البلاد التونسية. واستنتج قنصل فرنسا أنّ نيّة قنصل إنجلترا هي "وضع الإيالة من جديد تحت وصاية الباب العالي أو بعبارة أخرى تحت وصاية لندن بواسطة الباب العالي"[34]. كما تعرّض الوجود الفرنسي بتونس إلى إشاعات أخرى خطيرة مثل الترويج إلى قيام مهندس فرنسي "بدسّ السمّ في الآبار نشرا للأمراض التي تفتك بالأهالي أو تقضي بالوهن عليهم فلا يستطيعون المقاومة عندما تغزو فرنسا البلاد."[35]

لم تخفي فرنسا رفضها لعهد الأمان وما انبثق عنه من دستور ومجالس[36]. وقد حرص قنصل فرنسا على إشاعة رفض السكان أنفسهم للدستور حيث أورد في تقرير له بتاريخ 1 أفريل 1864 أن أهل مدينة تونس "يلومون الباي على تخاذله والخزندار على جشعه

[33] محمّد البشير رازقي، **التنافس الدولي وثورة علي بن غذاهم: الصراع الفرنسي/الإنجليزي، الدستور والقطن (1855- 1865)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2022

[34] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، الدار التونسية للنشر، 1976، الجزء الأوّل، صص.28 (5 أفريل 1864)

[35] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.221 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بسوسة بتاريخ 19 جويلية 1865)

[36] محمّد البشير رازقي، **إيالة وإمبراطوريتان: البلاد التونسية والصّراع على عهد الأمان (1855- 1870)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2021

وطموحه وانتهازيّته، كما يعيبون على فرنسا وانجلترا تنفيذ الدستور"[37]. كما وظّف الدول الأوروبية سياستها الدينية الخاصة خلال الثورة، فقد أورد قنصل فرنسا في أحد تقاريره بتاريخ 16 أفريل 1864 حرص إيطاليا على المحافظة على نفوذها ومصالحها بتونس خاصّة وأن لإيطاليا "مصالح تونسية هامّة فهي تساهم مساهمة وافرة إلى جانب فرنسا في الواردات التونسية، وتكسب مثل بريطانيا أرباحا طائلة من التهريب الذي يتعاطاه أبناء صقلية وغيرهم من فلول الحرب والثورات وأرباب الجرائم"، وهي لذلك تعتمد على "تأييد كامل من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية"، رغم أنّ فرنسا تعمل "بتوفيق وإخلاص لصالح هذه الكنيسة"[38]. تُبين لنا هذه الوثيقة المهمّة حجم المنافسة بين فرنسا وإيطاليا على توظيف الكنيسة الكاثوليكية دعائيّا في ثورة 1864. وقد اعتمدت فرنسا من ناحيتها سياستها الدينية الخاصّة وأهمّها كسب ودّ عدد من أبرز رجال الزوايا وأهمّهم شيخ الطريقة التيجانيّة الشيخ محمد الذي اتّهم فيما بعد بخيانة خزندار وتسليمه للباي. وردت رسالة من الجزائر إلى قنصل فرنسا بتونس بتاريخ 1 ديسمبر 1865 توصيه بالاعتناء بالشيخ لحظة مروره بالتراب التونسي لأداء مناسك الحجّ و"هذه الشخصية التي تمارس نفوذا كبيرا في صحراء الجزائر حيث اتّباع الطريقة التيجانية عديدون قدّمت لنا خدمات جليلة في مناسبات مختلفة وكان لها أكبر الفضل أيام حوادث الجنوب الجزائري عامي 1864 و1865 في حمل الإخوان التيجانية على ملازمة الطاعة فلم يشتركوا في الاضطرابات...راجيا منكم كسب ارتياحه حتّى ينقلب لسانا لاهجا بفضله كما فعل عند عودته من الحج عام 1857 عندما أشاد في كل مكان بالحفاوة التي لقيتها لدى جميع الممثّلين الدبلوماسيين لفرنسا"[39].

حرص أعوان القنصل الفرنسي ونوّابه بكلّ جهات الإيالة على تحسين صورة فرنسا لدى السكّان ومقاومة الدعاية الإنجليزية/العثمانية. ورد في تقرير نائب قنصل فرنسا بقابس بتاريخ 21 أفريل 1864 أنّه "حيثما مررت...لا أنفكّ أبثّ دعايتنا وأركّز نفوذنا الذي وجدته لا بأس به، وإليكم الأسئلة التي تلقى عليّ والتي

[37] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.26- 27

[38] **نفس المصدر**، صص.36- 37

[39] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.239



تنصبّ دائما على رأسي: صباح الخير أيّها القنصل، أهلا وسهلا. لماذا الفرنسيون لا يقدمون؟ لما يؤخّرون مجيئهم؟. وجوابي لهم هو هذا: إنّ كلّ ما هو مقدّم كائن، وكل شيء بقضاء وقدر ولعلّ الساعة التي ترجونها أقرب ممّا تضنّون، والأمر موكول في كثير من الأمر إليكم وإلى إرادتكم. والله يقول: أعن نفسك أكن في عونك، اطلبوا تنالوا. وعندما يردّوا عليّ بقولهم: كلّ ما تقوله هو الحقّ، ولكنّنا لسنا مثلكم أنتم المسيحيّون الذين يناديكم زعيم واحد فتقومون قومة الرجل الواحد. إننا نحن العرب لا يثق بعضنا ببعض أيّ أننا نخاف الخيانة"، ويضيف صاحب الرسالة أنّه يحارب كل الإشاعات التي تحرجها إنجلترا في تونس من قبيل سعي إنجلترا لمراجعة رأي الباي حول مضاعفة المجبى أو أنّ "الانجليز أتوا بكميّات من القماش (عنبر قيز) ويبيعونها بأثمان زهيدة. وكلّما تأتّى لي أن أتحادث مع الناس بشأن ما رويته لم أجد صعوبة في إقناعهم بكذب تلك الإشاعات، وبالطبع فإنّي كنت أسعى لردّ كيد الانجليز إلى نحرهم". وتلقّى الفرنسي سؤالا آخر من أحد السكان: "هل صحيح أن السلطان عبد العزيز سيقدم إلى تونس؟...وإذا قال السلطان إلى فرنسا: هذه ملايينك التي لك على الحكومة التونسية فخذيها وانصرفي؟...توفّقت إلى اقناع صاحبه (صاحب السؤال) بأن السلطان له من الشواغل في بلاده ما يكفيه"، وقال له رجل جربي: "إن كتب قومة (ثورة) نصّت على أن فرنسا تحتلّ البلاد التونسية في هذا العام، وأنها إذا لم تحتلّها في هذا العام فإنّها لن تحتلّها أبدا"[40].

برّرت فرنسا تدخّلها في البلاد التونسية "بمهمّتها الإنسانية التمدينية" والمساعدة على "ازدهار بلد"[41]. ولهذا استغلّ الفرنسيّون الظلم الذي يتعرّض له الأهالي على يد السلطة للترويج لسياساتهم المتسامحة والانسانيّة، فقد أشاعت الدولة الفرنسيّة إلى حسن تعاملها مع أهل الجزائر ممّا أدهش كلّ من سمع ذلك، وهذا ما قد يضطرّهم "إلى الإرتماء في أحضان فرنسا لحفظ أرزاقهم والتوقي من مظالم سلطات الباي، ولا يوجد اليوم في الكاف أعرابيّ واحد لا يدّعي أنه جزائري أو منحدر من سلالة جزائريّة وهذا الانقلاب يبعث على الاندهاش، فبقدر ما كان الناس يمقتون الحماية الفرنسية بقدر ما أصبحوا يناجون بها ويسعون للظفر بها"، كما أشار التقرير إلى المساعي التي قام بها أثرياء الكاف "للاستظلال

[40] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.52- 53

[41] **نفس تلمصدر**، صص.135

بحمايتنا"[42]. حاربت فرنسا إذا الدعاية المناهضة لوجودها بتونس بدعاية مضادّة تُثبت أهدافها الانسانيّة وقدرتها على حماية أنفس وأعراض وأموال كل من يحتمي بهم.

إنجلترا وإنتاج الإشاعة: الدعاية في قلب المصالح العالمية

مثّلت الدعاية المضرّة بمصالح فرنسا هاجسا لدى القناصل وخاصّة إلقاء مسؤولية الأزمة على كاهل فرنسا. عبّر قنصل فرنسا عن هذه الهواجس في رسالة له إلى نوّابه بسوسة وبنزرت وحلق الوادي وصفاقس والمهدية وجربة وقابس بتاريخ 13 أفريل 1864 قائلا أنّه "بلغني من جميع الجهات أنّ أشخاصا من ذوي النوايا السيّئة بدون شكّ يتجاسرون على إلقاء مسؤولية إحداث ضريبة 72 ريالا على كاهل فرنسا التي ضغطت حسب زعمهم على حكومة الباي لتحقيق هذا الغرض، وهم يعملون باتّهاماتهم الفاسدة على تذكية تعصّب الأهالي إزاء مواطنينا...عليكم دحض مثل هذه الافتراءات المسمومة بكلّ ما لديكم من قوّة...دور القنصلية يتمثّل في كونها أعلمت الحكومة المذكورة بخشيتها أن يكون استخلاص الضريبة الجديدة أمرا صعب المنال وأن يؤدي إلى عواقب يبدو أنّ السلط لم تقرأ لها حسابها"[43]. كما تشكّى نائب قنصل فرنسا بسوسة من كثرة الإشاعات المستهدفة لفرنسا، فقد "أشيع في القرى المجاورة أن فرنسا تشعل النّار في هذه البلاد بغية أن تتّخذ من ذلك مطيّة لإطفائها بقوّتها المسلّحة"، وقال أيضا أن الجنرال رشيد قال "إنّ الفرنسيين سوف لن يستطيعون الإمساك عن احتلال البلاد التونسية ولو لمدّة قصيرة لأنّ النار المشتعلة فيها قد تمتدّ إلى الجزائر متجاوزة الحدود"[44]. وقال نائب رئيس قنصل فرنسا بصفاقس أن الناس يُشيعون أخبارا عن أنّ "الدولة الفرنسية جعلت الدولة التونسية تلزم عروش العربان بفرضة 72 ريالا على كل نفر"[45]. وأورد قنصل فرنسا في رسالة أخرى بتاريخ 11 ماي 1864 أنّ "دعاية لست في حاجة إلى الاسهاب في بيانها تُحاول أن تنسب

[42] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، الدار مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.236 (رسالة من المشرف على التلغراف بالكاف بتاريخ 28 أكتوبر 1865)

[43] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.30

[44] **نفس المصدر**، صص.79 (28 أفريل 1864)

[45] **نفس المصدر**، صص.48- 49

إلينا، مكرا وخداعا، في نظر الأهالي نوايا غير نوايانا"[46]. وورد في أحد تقارير نائب قنصل فرنسا بالمهديّة أنّ "الإشاعات تروّج بأنّ فرنسا تريد احتلال البلاد التونسية ممّا يثير غضب الأهالي"[47].

حرص ريتشارد وود على بثّ أخبار كثيرة تضرّ بمصالح فرنسا من قبيل رغبتها في إلحاق تونس بالجزائر، وأنّ "تونس تابعة للباب العالي"، والسلطان العثماني "ليس له حليف سوى بريطانيا العظمى"، وأنّ فرنسا تسبّب مباشرة في الأزمة الاقتصادية ممّا أدّى إلى قيام الثورة بسبب "إقامة الحنايا الناقلة لماء زغوان هي سبب انهيار الإيالة"، وبناء هذه الحنايا أجبر الإيالة على الالتجاء إلى الاقتراض ومن ثمّة الإفلاس وهو "إفلاس دبّره الفرنسيون دون سواهم". كما كان قنصل إنجلترا كثير التنويه بمصطفى خزندار (عدوّ فرنسا)[48]. كما سعى ريتشارد وود إلى نشر إشاعة عن رغبة فرنسا في احتلال خطّ السكّة الحديدية[49]، وإلى نشر أخبار عن قرب وصول الأسطول العثماني إلى الإيالة[50]. وتزامن ذلك مع تواصل "عمل دعائي حثيث ضدّ فرنسا في الساحل" خاصّة ما "يتواتر على الألسن أن الامبراطور (الفرنسي) يريد احتلال البلاد، وأن تركيا تعتزم إنزال جيوش لحماية التراب"[51]. ولهذا أصدر قنصل فرنسا أوامره إلى نائبه بسوسة قائلا له "اصرفوا عنايتكم بكلّ حزم ومثابرة إلى تكذيب الرائجات الغريبة التي تُنسب إلينا رغبة مزعومة في احتلال بلد أقمنا له ومازلنا نقيم له كلّ تلك الأدلّة على نزاهتنا"[52]. وأرسل قنصل فرنسا خلال نفس اليوم أوامره إلى كلّ نوابه في الإيالة التونسية قائلا: "علمت أنّ ألسنة تروّج بإلحاح كبير شائعات تنسب إلى فرنسا نيّة احتلال البلاد التونسيّة. وأرجوكم تكذيب هذه الرائجات...وأدعوكم في الآن نفسه إلى التصريح على رؤوس الملأ بأنّ ما تفترضه علينا مكانتنا في الجزائر لن يسمح لنا أبدا بالتغاضي عن أي نزعة قد يبديها أي كان لتغيير وضع أقرّته الأزمان في تونس كما أقرّه رضا الجميع وخاصة رضا الباب العالي"[53]. ونفس هذه الدعاية المعادية لفرنسا أجبرت وزارة الخارجية الفرنسية على التدخّل عبر مكتوب لها إلى قنصل فرنسا بتونس قائلة "أعلموني أن الحكومة التونسية والقنصلية العامة الإنجليزية يُشيعان أن جيوشا تركية ستفد من طرابلس...في صورة تحقّق مثل هذا المشروع يخفّ حالا جيش فرنسي إلى غزو تونس"[54].

وقد تبيّن لممثّل قنصل فرنسا بسوسة أن الإشاعات سبقت الإضرار بمصالح فرنسا الاقتصادية بالساحل. فقد مهّدت الدعاية لشيء "يُدبّر في الخفاء"، و"قد حدث الانفجار اليوم، فلقد شاهدنا الأهالي يندفعون إلى خارج المدينة متعلّلين بغزو فرنسي مزعوم"[55]. وقد ارتكزت الدعاية ضدّ فرنسا على الدّين ولكن "ظاهرها ديني وباطنها سياسي"[56]. كما توجّست فرنسا من شائعات رائجة حول إمكانيّة اعتماد الباي على الجيش الفرنسي لإخضاع الثوّار حيث "راجت شائعات (بسوسة) ...تؤكّد أن رسالة سرية صدرت عن باردو وتُليت في المسجد تُعلم الناس أن الباي لا جيوش له لإخضاع المتمرّدين، ولذلك فهو يُسائلهم هل يستطيع الإذن بإنزال القوّات الفرنسية إلى البرّ لإنجاده؟ وما كاد ينتشر هذا النبأ حتى اندفعت الجماهير رافعة أعلام الإسلام رجالا ونساء وأطفالا، ومنادية بالجهاد ضد الفرنسيين، وتسلّمت المفاتيح وباتت مسيطرة على المدينة والقصبة والحصون"، وقد غادر جميع الأوروبيين بالمدينة "باستثناء القنصل المساعد الإنجليزي الذي مكث وحده بالمدينة مع المالطيين. وفي نفس الساعة التي قامت فيها الثورة في سوسة قامت ثورة مماثلة في المنستير"[57].

وُظّفت الدعاية إذا لإخراج الفرنسيين من سوسة وترسيخ النفوذ الإنجليزي في نفس المدينة. نطرح هنا فرضيّة مهمة استنادا إلى المعلومات التي تضمّنتها هذه الوثائق. وظّف خزندار مناورات سياسية دقيقة، فقد وضع السكّان في صدام مع الفرنسيين عبر إشاعة تحالف الباي مع الدولة الفرنسية، يربح خزندار عدم تصادمه

---

[46] **نفس المصدر**، صص.130

[47] **نفس المصدر**، صص.141 (12 ماي 1864)

[48] **نفس المصدر**، صص.102- 104 (5 ماي 1864)

[49] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.316 (رسالة من الكولونيل كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 8 ماي 1864)

[50] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.162 (22 ماي 1864)

[51] **نفس المصدر**، صص.163- 164 (22 ماي 1864)

[52] **نفس المصدر**، صص.176- 177 (24 ماي 1864)

[53] **نفس المصدر**، صص.178

[54] **نفس المصدر**، صص.179- 180 (25 ماي 1864)

[55] **نفس المصدر**، صص.191- 192 (31 ماي 1864)

[56] **نفس المصدر**، صص.194 (31 ماي 1864)

[57] **نفس المصدر**، صص.197. رسالة من نائب قنصل فرنسا بحلق الوادي رسالة إلى القنصل بتاريخ 2 جوان 1864.





مـع السـكان وتجنّـب التضحيـة بجنـوده، إلى جانـب تسـلّم جـزء مـن الأهالي السيطرة على المدينة (ومنهم أعوان عريقون للدولة مثل أئمّة المساجد وشيوخ الزوايا) مع رقابة الحضور القنصلي الإنجليزي، والحـرص خاصـة عـلى حرمـان فرنسـا مـن بسـط نفوذهـا في المدينـة وحرمانها من إمكانيّة تحالفها مع جزء من الثوّار. إذ يتولّى السكان المحليون ما عجزت السلطة المركزية عن القيام به بنفس تعلّة الثوار أنفسـهم، ولكـن مـع عـزل قنصـل فرنسـا عـن ّكـل نفـوذ. وفي هـذا الإطار أخبر نائب قنصل فرنسا بالمنستير في رسالة له إلى القنصل بتاريخ 2 جوان 1864: "عندما علم الناس أمس ما جرى في سوسة تقـدّم القـاضي والمفـتي إلى سـلطات البـاي وطالبـا بمفـاتيح المدينـة والقلعة"[58]. ولهذا ليس من الصدفة أن يحرص الفرنسيون على عدم ترك أيّ مدينة وخاصة في الساحل رغم ما يهدّدهم من أخطار. فقد ورد في أحـد تقـارير نائـب قنصـل فرنسـا بصـفاقس بتـاريخ 4 جـوان 1864 أنـه "أصـبح أهـالي صـفاقس ينظـرون إلينـا شزرا، وسـألوا المالطيين عن الأوروبيين من ذوي الجنسية الفرنسية"[59]. ولهذا وردت رسـالة عـلى قنصـل فرنسـا مـن أحـد أعوانـه بتـاريخ 6 جـوان 1864: "الانجلـيز يكـون جـذوة التعصّـب ضـدّنا...يقال هنـا أن المسـلمين في المغرب والجزائر وتونس سيتّحدون علينا. ولهذا الغرض تُسلّم مقادير كبيرة من البارود الإنجليزي المالطي إلى العربان الحاقدين على فرنسا والمصرّحين بنهم يفضّلون علينا التدخّل الإنجليزي والسيادة التركية، وهذه الأقوال ترسل جهرا في المقاهي والساحات العامّة بدون أيّ احتراز...هـذه هـي الحالـة العامـة للأوروبيـين والفرنسـيين عـلى وجـه الخصـوص إزاء الأهـالي الـرافعين للـواء الثـورة والمعتمـدين عـلى الأسلحة والمسيطرين على الأبواب والحصون......ممّا لا شكّ فيه أن النفوذ الفرنسي فقد الكثير من مكانته بالمناطق الساحلية، حتّى أن الناس باتوا يميلون إلى الانجليز وإلى الخضوع إلى تركيا، ولا حديث للناس في كثير من التغالي إلا عن الثورات على الفرنسيين وأصبحنا لا نقوى على الاعتراف بجنسيّتنا بعد أن كنّا نفتخر بالانتساب إلى فرنسـا"[60]. وردّد عـدد مـن النـاس عـلى مسـامع الجميـع أنّ "أن الفرنسيين لن تبقى لهم قريبا إلا المدن الجزائرية، وأن بني عمومتهم عـربان الجزائر سوف يستحوذون على البوادي ويحبسون المؤن على المدن حتّى تعمّ الخصاصة سكّانها الفرنسيين من مدنيين وعسكريين مؤكّدين أن ساعتهم قد دنت"[61].

أبرزت لنا هذه الوثيقة المهمّة الدور المهم الذي لعبته الدعاية لتنفير السكان من الفرنسيين دون سائر الأوروبيين. وقد استفاد النفـوذ الإنجلـيزي مـن صـراع الإشـاعات هـذا ومـع نجـاح السـلطة التونسية في تصدير مشاكلها وتعليقها على شمّاعة الأجنبي. ولهذا أرسـل قنصـل فرنسـا مكتوبا إلى وزارة الخارجيـة الفرنسـية بتـاريخ 5 جـوان 1864: "يتأكّـد تـدريجيّا أن مواصـلة إشـاعة الأخبـار المتعلقـة بقـرب ورود جيـوش تركيـة غايتهـا الرغبـة في إبقـاء البلاد التونسـية نهبا لغليان سياسي وديني...حركات ظهرت في عموم المدن الساحلية وخاصـة في سوسـة وصـفاقس. سـوف يـدرك معـاليكم...كم كانـت هذه الحركات خطيرة على نفوذنا وعلى الباي، وقد كانت ناتجة عن كتابات تُليت في المساجد وذريعتها المسمومة نزول فرنسي وشيك، وشعاراتها: إنجلترا إسطنبول، ومميّزاتها التحرّش بنا، والحقد على المماليـك واحتقـار البـاي وامتهـان سـلطته...قرائن تنـبّئ باضـطرابات مصـطنعة...النيّة متّجهـة إلى إثـارة مـا يكفـي مـن الشـعب لترويـع الأوروبيين حتى ينصرفوا دون تجاوز الحدّ الذي يثير ردّ فعل"[62]. وقد استنتج قنصـل فرنسـا أنّ "وسـائل ترهيـب" هـذه الـتي طُبّقـت عـلى الفرنسيين دون غيرهم من الجاليات الأوروبيّة "كأنّما ضبطت ضبطا محكما لحملهم على الانصراف من تلك المراكز التجاريّة" الساحليّة[63]. وأكّد قنصـل فرنسـا في تقرير آخر له هذا الطرح حيث أشار إلى أن إنجلـترا نجحـت في "غلـق السـواحل في وجـه حراسـتنا وتجارتنـا ونشاطنا وجعلها من اختصاصات إنجلترا"، وبالتزامن مع ذلك سعت إنجلترا نفسها إلى "فتح الأقاليم الداخلية في وجه دعاية مناهضة لفرنسـا مـن شـأنها أن تقضي عـلى نفوذنـا بإظهارنـا في مظهـر مـن يسـتعدّ لغزو الإيالة"[64]. وقد شغلت إشاعة احتلال فرنسا للبلاد التونسية أعيان المدن، فقد أخبر موظف خطوط التلغراف في رسالة له إلى قنصل فرنسا بتاريخ 2 جويلية 1864 " جاء إلى القنصلية أحد الأعيان يشغل وظيفة عضو في المجلس وسأل هل أن فرنسا تنوي حقّـا الاسـتيلاء عـلى الإيالـة، فكـان ردّ السـيد اسـبينا أن تـرجم لـه

---

[58] **نفس المصدر**، صص.197

[59] **نفس المصدر**، صص.201

[60] **نفس المصدر**، صص.204- 206

[61] **نفس المصدر**، صص.237- 239 (23 جوان 1864)

[62] **نفس المصدر**، صص.201- 202

[63] **نفس المصدر**، صص.248- 249 (20 جوان 1864)

[64] **نفس المصدر**، صص.251- 254 (1 جويلية 1864)





منشوركم الذي دعوتم فيه الأعوان والرعايا الفرنسيين إلى تكذيب تلك الإشاعات"[65].

اشتدّت مخاوف فرنسا من إمكانيّة وصول هذه الدعاية إلى القبائل الجزائريّة حيث أنّ "الحركة التمرّدية لا يمكن أن تمتدّ إلى القبائل التونسية بدون أن يكون لها ردّ فعل لدى قبائل الجزائر"، ويتمثّل الخوف الفرنسي الأكبر من اعتماد الإشاعات على الدّين "لتنتشر تدريجيّا من قبيلة إلى أخرى لتصبح خطرا على ممتلكاتنا الافريقية وخاصّة في هذا الظرف الذي انبعثت فيه روح التعصّب والتمرّد من مرقدها في أماكن مختلفة". ولهذا أوصت وزارة الخارجية الفرنسية قنصل فرنسا بعدم الجهر بدعم الثورة، و"تعتبروا أول واجباتكم اجتناب ما قد يجعل مواقفكم أو مساعيكم تبعث على الافتراض بأن القنصلية العامة (الفرنسية) تعطف على الثورة، بل عليكم الاجتهاد لإعلام الجميع بأن حكومة جلالة الامبراطور هي التي تنصح الباي باتّخاذ تدابير كفيلة بالتحفيف مما أُقل به كاهل الأهالي، وتستنكر على رؤوس الملأ تلك القلاقل التمردية التي تُعرقل المعاملات وتهدد أمن الأوروبيين وتودّ صادقة نهايتها، ومن المهمّ أن لا يُخطئ أهالي الإيالة فهم دواعي حضور قواتنا البحرية وأن لا يروا فيها تشجيعا أو تهديدا"[66].

وقد انتبه قنصل فرنسا إلى هدف آخر للدعاية ضدّ فرنسا، فعندما يشتدّ الضغط على فرنسا خوفا على مصالحها بتونس تُجبر على إنزال جنودها بالإيالة وهذا ما يبحث عنه خزندار وانجلترا والباب العالي: إيجاد مبرّر لإدخال جنودهم لأرض الإيالة. أرسل قنصل فرنسا مكتوبا إلى وزارة الخارجية بتاريخ 8 جوان 1864 قال فيه: "الخزندار يشيع الرعب في العاصمة وفي السواحل تمهيدا لتدخّل انجليزي تركي، أو ابتغاء حملنا على إنزال قواتنا كي يظفر بحجّة علينا وعلى الثورة"[67]. وأورد أيضا في رسالة أخرى إلى وزارة الخارجية في نفس اليوم: "الإرهاب ينتشر في العاصمة بدعوى تفادي النهب والاغتيال والهجرة تكاد تكون عامّة...البلاط يُخامره الأمل بأن نعمد لإنزال قوّاتنا، ولو كان ذلك فإنّ رواج الخبر وحده يكفي لتضييق رقعة الثورة ولجعل الثوّار ينقلبون علينا. ويتردّد على الألسن أنه لو تمّ ذلك لبات سقوط الباي وأقصاء أسرته من العرش

---

[65] **نفس المصدر**، صص.261

[66] **نفس المصدر**، صص.207- 209 (7 جوان 1864)

[67] **نفس المصدر**، صص.209

والمناداة بسيادة تركيا وحماية إنجلترا الأدبية أمرا وشيكا"[68]. وقد اتّصل قنصل فرمسا مع الباي لأجل هذا الموضوع ودعاه إلى تكذيب الدعاية المُستهدفة فرنسا و"إلى إصدار بيان موجّه إلى رعاياه يكذّب فيه الإشاعات التي تنسب إلينا نيّة الاستيلاء على الإيالة" خاصّة وأنّ "الشعار المتردّد على كل لسان هو: الحرب على الفرنسيين"[69].

تشابكت الدعاية إذا مع صراع دوليّ على البلاد التونسية عبر تحقيق هدفين أساسيين: "إثارة الأهالي ضد الفرنسيين في كامل البلاد، وحمل الناس على نسيان ما يأخذونه على الخزندار"، وهذا ما يُحقّق آليا مصالح إنجلترا والباب العالي، فقد تزامنت "صبغة مناهضة الفرنسيين" مع الميل الواضح إلى "الأتراك والانجليز"[70]. كما لاحظ قنصل فرنسا أنّ الدعاية المناهضة لفرنسا أثّرت فقط على سكّان المدن "ذلك هو حال الرجال الذين أضلّتهم الدعاية الموجّهة ضدّنا، والذين يجب التمييز بينهم وبين العربان ممن يُولدون ويعيشون تحت الخيام، ولهم الكثير من الشجاعة والحزم...وهذا الجنس هو الأمة الثائرة، وهو الأمة بأكملها التي نلتقي بها غي كل يوم على حدودنا والتي هي جديرة رغم تقاليدها البدائيّة وعزوفها الديني عنّا بأن نسعى لكسب صداقتها"[71]. أجبرت إذا مجريات الثورة ورهاناتها وما تخلّلها من إشاعات قنصل فرنسا على تقسيم الثوّار إلى أعداء وأصدقاء: "البلدية" أصدقاء الانجليز والأتراك ومتأثّرين بالدعاية، و"العربان" وهم "الأمة الثائرة" الحقيقية ولا يمكن لهم الانقياد إلى الإشاعات. ولهذا استشار قنصل فرنسا وزارة الخارجيّة الفرنسية للسعي من أجل ربط خيوط التواصل مع الأعراب: "أعرض عليكم خدماتي للتقريب بينكم وبين الأعراب"[72].

كان ريتشاد وود على وعي بسعي فرنسا إلى كسب ودّ ثورة "الدّاخل" بعد أن حسمت إنجلترا السيطرة على ثورة الساحل. ولهذا أخرج وود دعاية تتمثّل في نجاح الباي في عقد صلح مع العربان دخولهم "الطاعة"[73]. لم ترق هذه الإشاعة لقنصل فرنسا التي وصفها بأنّها "وليدة الدسائس التركية والانجليزية"، وهو صلح "تكذّبه

---

[68] **نفس المصدر**، صص.209- 210 (11 جوان 1864)

[69] **نفس المصدر**، صص.228- 231 (18 جوان 1864)

[70] **نفس المصدر**، صص.214

[71] **نفس المصدر**، صص.214

[72] **نفس المصدر**، صص.228- 231 (18 جوان 1864)

[73] **نفس المصدر**، صص.348(رسالة من نائب قنصل فرنسا بالمهدية بتاريخ 8 أوت 1864)



الأحداث والرأي العام". واستنتج القنصل أن الغرض من هذه الإشاعة هو الأزمة التي تعيشها السلطة في حربها مع الثوار وسعيها إلى "كسب الوقت وإدراك موسم أمطار الشتاء وبرده"[74]، إلى جانب سعي السلطة إلى "مخادعة أوروبا" و"مخادعة أوروبا من جديد وخاصة حكومة جلالة الامبراطور، والفتّ في ساعد الثوّار وتفريق كلمتهم وتلافي سوء استعداد العاصمة التي بدأت تتململ، وبعث مظاهرة مصطنعة مقابل بذل الأموال لتأييد الخزندار وكسب الوقت إلى أن يحين موسم الأمطار"[75].

استغلّت إنجلترا السياسة الدينية والدعائيّة المتّبعة من قبل الباب العالي، وقد حرص ريتشارد وود على التذكير الدائم بالعلاقة المتينة بين إنجلترا والدولة العثمانيّة. كما نشر أعوان قنصل إنجلترا إشاعة تسبّب فرنسا في مضاعفة المجبى من 36 إلى 72 ريال و"لم ينقضي أكثر من 15 يوما حتى أصبح الفرنسيون أبغض الناس للأهالي ولم تكن إنجلترا تسعى لأكثر من ذلك، وتكفّلت بعد حين بتسليح العربان". وسعى قنصل إنجلترا بالتوازي مع ذلك إلى تذكير النّاس بارتباط الإيالة بالباب العالي، وتدعّم مجهود وود بالدعم الصحفي سواء الداخلي (الرائد التونسي) أو الخارجي حيث قام الباي وحزندار بشراء أعمدة في صحف أوروبيّة، حيث حُرّرت مقالات عديدة للتأكيد على سعي فرنسا إلى احتلال البلاد التونسيّة"، مقابل سعي السلطان العثماني إلى إرسال 50 ألف عسكري من طرابلس لحماية الإيالة من "الكفّار". ولهذا تزامن قيام الثورة مع طرد الفرنسيّين "من كلّ مكان وخاصة منهم الذين يُقيمون بصفاقس". وبالتوازي مع ذلك "البواخر الحربية الإنجليزية راسية على طول السواحل لا لحماية الرعايا الانجليز الذين كانت ترفض إيواءهم، بل لحماية المراكب التي تنزل الذخائر الحربية الواردة من مالطه والمبذولة إلى العربان الثائرين والمُوفدة إلى الجزائر". كما تمّ توظيف المال العثماني والانجليزي في نشر الدعاية و"إشاعة خبر قرب الغزو الفرنسي"[76].

تعاون قنصل إنجلترا مع تجّار بلاده ومن هم تحت حمايته من المالطيين والتجّار الإيطاليين من أجل نشر الدعاية المناهضة لفرنسا، فقد حرص هؤلاء التجّار على "النيل من سمعة فرنسا ومن مكانتها لدى العربان والبلدية". كما ربط قنصل إنجلترا علاقات التحالف مع عدد كبير من أعيان المدن وعرض عليهم حمايته[77]، و"جميع هؤلاء الأهالي الوجهاء الذين حماهم القنصل الإنجليزي من جشع قصر باردو ينتمون إلى جمعيّات دينيّة وكلّهم على اتّصال بزعماء الطرق"، وقد ساهمت هذه الفئة في نشر الدعاية الإنجليزية/العثمانية المناهضة لفرنسا. ففي "اجتماع أتباع تلك الطرق الدينية لا حديث إلا عن سطوة إنجلترا حامية الإسلام وحليفة إيطاليا ويقولون: إن الخزندار له كلمة مسموعة في فرنسا حتى أن القنصل الفرنسي يصيبه العزل إذا لم يخدم ركابه وهذا ما حدث للقنصل السابق الذي لم يكن من أصدقاءه أم القنصل الإنجليزي فقد استبقي بتونس لأنه صديق الخزندار والمسلمين...إن فرنسا أدركت عجزها في الجزائر وتتأهّب لتركها للعربان...وهذه الاجتماعات يحضرها جميع أتباع الطريقة ومنهم الحجيج والمسافرون الذين يجوبون المغرب والجزائر وتونس وطرابلس ومصر، وينادون كل ليلة بإحدى زوايا طريقتهم، والحاج الذي يبيت ليلة بصفاقس ينقل بعد ذلك إلى الجزائر ما سمعه هناك، والمسافر الذي يرتحل من الجزائر إلى المغرب يردّد ذلك في فاس ومكناس، وكلّهم ناشر للدعاية في جميع البلاد الإسلامية. وبالإضافة إلى ما يتناقله أولائك المسافرون تبعث الطريقة في كل عام أحد رجالها البارزين لدى الأتباع المنتشرين في كل مكان لجمع الزكاة وهذه طريقة أخرى لبثّ الدعاية. كما أن كل فرع يوفد في كل عام مقدّما إلى الشيخ الأكبر للطريقة ليتلقّى تعليماته، وهذا المقدّم يطوف في طريقه بجميع الزوايا الأخرى، ويحضر اجتماعات المقدّمين للطرق المختلفة، ويقع بذلك تبادل المعلومات عن كل البلدان ولا حديث لهم إلا عن السياسة. وقصر باردو نفسه يوفد في كل عام ولبّا صالحا إلى مكّة يرفع عند عودته تقريرا بما شاهد وسمع، ورحلة المقدمين تقع عادة في أيام موسم الحجّ، وقد أتمّوا في هذا العام مناسك الحجّ، وتواعدوا على اللقاء عند الشيخ السنوسي الولي الشهير المقيم بالجبل الأخضر من إقليم بنغازي في طريق مكة. ومما لا شكّ فيه أن كل مقدّم

---

[74] **نفس المصدر**، صص.359- 360 (رسالة من قنصل فرنسا إلى وزارة الخارجية بتاريخ 14 أوت 1864)

[75] **نفس المصدر**، صص.360- 363

[76] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.153- 158 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بصفاقس بتاريخ 5 فيفري 1865)

[77] لفهم أهميّة الحماية القنصلية خلال الفترة قيد الدرس ومراهنة عدد من الأعيان على الحماية من أجل حماية أرزاقهم وأموالهم وعائلاتهم أنظر: مُحَمَّد البشير رازقي، **العنف ضدّ الأوروبيين والمحميين في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1860- 1881)**. دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2021



يتحدّث هناك عما جرى في بلده وأن المقدّم الوارد من تونس سوف يروي قصّة الثورة التونسية ويشيد بنفوذ إنجلترا وسطوتها وجاه قنصلها ومن الواضح أن مكانتنا تأتي بعد مكانة إنجلترا. وهذه الدعاية لم تكلّف إنجلترا شيئا سوى التدخّل لإطلاق سراح بعض المساجين وكسب عطف الأعوان الإيطاليين بعد عزلنا عن الأهالي التونسيين"[78].

اعتمد إذا قنصل إنجلترا لإنفاذ الدعاية المناهضة لفرنسا على تحالف مع الباب العالي وخزندار والأعوان الإيطاليين، وتحالف على المستوى المحلّي مع التجّار وأعيان المدن وأبرز رجال الزوايا مع توظيف تقنية الحماية القنصلية لإقناع الأعيان بالتحالف مع إنجلترا. ولهذا أوصى نائب قنصل فرنسا بصفاقس بالاعتماد على الأعوان المسلمين لمساعدة فرنسا للنفاذ إلى المجتمعات المحلية مثل حالة ممثّل قنصل فرنسا بالجريد محمد بالرابح الذي "أمكنه في تلك الجهات المتاخمة للحدود باعتباره مسلما وفرنسيا أن يجمع المعلومات الثمينة عن المساعي الإنجليزية"، كما نصح قنصليّة فرنسا بربط "الصلة بواسطة أعوانها مع أبرز زعماء القبائل ومشايخ الطرق وبذلك يقضى على ما يقال للأهالي عن عزلتنا ويدرك قصر باردو أننا متّصلون بالعربان وبمشائخ الطرق فيميل إلى شيء من الاحتراز في خدمته للسياسة الانجلوتركية"[79]. كما أوصى الكولونيل كمبون باتّباع سياسة دقيقة "تجاه الأعراب" منعا لهم من إمكانية التحالف مع إنجلترا وخاصّة قطع الطريق عن إمكانية "عقد صلات مع ثوّار الجزائر" خاصّة بعد أن ضمن قنصل إنجلترا تقريبا تحالف العدد الأكبر من أعيان المدن معه[80].

الباب العالي، الثوّار والدعاية

سعى الباب العالي إلى تطبيق سياسته الدعائيّة الخاصة في الإيالة زمن الثورة سواء أكانت دينيّة أو إجرائيّة، ولهذا تلقّى حيدر أفندي تعليمات صارمة من السلطان تقتضي بمنع الباي من تغيير "علم تونس" المشابه لعلم الدولة العليّة وهو "أحمر يتخلّله قوس ونجمة"[81]. كما حرص حيدر أفندي على توظيف خطاب ديني واضح مذكّرا دائما بعلاقة الراعي بالرعيّة ومشبّها الثورة بالفساد. أرسل في هذا الإطار حيدر أفندي رسالة إلى أهل الساحل بتاريخ 23 سبتمبر 1864: "يا اخواني المسلمين...هذا الاختلال والفساد في هذه البلاد ليس مرضيّا لربّ العباد...يجب شرعا على كل أحد من المؤمنين الإطاعة والانقياد أولا لربّ العالمين وثانيا لرسوله الأمين وثالثا لظلّ الله في أرضه إمام المسلمين"[82]. كما حرص مبعوث السلطان العثماني حيدر أفندي على إبراز الرموز الدينية مثل "علم النبيّ ذا اللون الأخضر، الذي يرمز إلى علم السلطان (العثماني)، هذا العلم رُفع أكثر من أسبوعين "فوق كل المدن الساحلية"[83].

استغلّ الباب العالي احتلال فرنسا للجزائر لضرب مصداقيّتها في تونس. حيث تمّ الترويج إلى سعي السلطان العثماني إلى تحرير الجزائر "مهدّدا ببعث ثورة داخلية فيها وبالاستعانة بانجلترا والمغرب لطردنا منها"، وقد أشاع عدد من الناس "من ذوي النيّة السيّئة" وهم "من الحزب الموالي لتركيا" هذه الدعاية[84].

لم يغفل علي بن غذاهم نفسه على توظيف السياسة الدينية عبر شرعنة الثورة بالرغبة في الصلاح عبر تقدير الله لذلك وبمباركة الأولياء الصالحين. أورد علي بن غذاهم في أحد رسائله إلى صولة بن سعيد وإخوانه: "تكون مع بعضكم بعض على كلمة واحدة وقول واحد في صلاح نجعكم وصلاح جملة أعراشك افريقية المحميّة بالله...نشتهي لكم الخير وزيادة القدر بين أعراش افريقية ونحن وإياكم ان شاء الله في طريق الصلاح، ونطلب من الله أن يحظر لنا بركة الآباء والأجداد...ولا تضتوا من جهة إخوانكم ماجر إلا الخير والهناء"[85].

---

[78] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.259- 264 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بصفاقس بتاريخ أفريل 1866)

[79] **نفس المصدر**، ص.259- 264 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بصفاقس بتاريخ أفريل 1866)

[80] **نفس المصدر**، ص.319- 322 (رسالة من الكولونيل كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 24 ماي 1864)

[81] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي**، مرجع مذكور، ص.78.

[82] نفس المرجع، ص.91- 92

[83] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.248- 249 (20 جوان 1864)

[84] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.131- 133 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بحلق الوادي بتاريخ 19 ديسمبر 1864)

[85] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 185، ملف: 149، و.20 (جوان 1864)

كما نشط بن غذاهم ضمن الطريقة التيجانيّة وادّعى أنّه "وليّ صالح للطريقة التيجانيّة إلى جانب إتقانه للطبّ، و"كان ذلك سببا في ازدحام الأعراب عليه من كل جهة حتى أصبح بيته سوقا من كثرة الزوّار من أقاصي الجنوب تبرّكا به كوليّ صالح وبطبّه إذ أظهر معرفة جيّدة بهذا الفنّ وكسب ثقة الأعراب جميعا"[86]. ولهذا تمتّع بن غذاهم بعلاقة متميّزة مع إمام الطريقة التيجانية محمد العيد ممّا ساعده على كسب ودّ قبيلة ماجر، وهذا ما أسّس لقرار اتّخاذ هذه القبيلة لعي بن غذاهم وسيطا لها لدى الباي بعد قرار مضاعفة المجبى[87]. وتكشف عدد من الوثائق استثمار علي بن غذاهم لموقعه في الطريقة التيجانيّة لربط علاقته مع ممثّلي الطريقة التيجانية بالجزائر مع مدّ نفوذه إلى عدد من الزوايا مثل الزاوية العيساوية. وكان عند إقامته بالجزائر "يوفد مبعوثين له إلى تونس لتلقّي المعلومات بواسطة إخوان الطريقة المبثوثين في جنوب قسنطينة والمخلصين له باعتباره أحد أعضاءها البارزين"[88]. ومن ناحية أخرى حرص بن غذاهم على إبراز تعفّفه من المناصب السياسيّة ترسيخا لمبدأ الفضيلة التي وظّفه لشرعنة قيادته للثورة. لم يثبت على علي بن غذاهم مطالب سياسية أو مطالبته بعزل وزراء وإيقاف دستور/عهد الأمان أو حثّ الثائرين على العنف، وتمثّل الطلب الأساسي في إلغاء الضريبة الجديدة و"المدافعة على النفس لا الهجوم وعدم التعرّض لأموال الناس وأعراضهم وأنفسهم...فإذا تعرّضنا لأخذ أموال الناس صرنا حربا لله وللسلطان"[89].

كان الثوّار على وعي بأهميّة نشر الأخبار والمعلومات وتأثير ذلك على مجريات الأزمة، وقد أوردت وثائق كثيرة أخبار عن قطع خطوط التلغراف. دوّن شارل جاكومي Charles Jacomy المفتش المساعد مدير البعثة التلغرافية بتونس إلى القنصل الفرنسي بتاريخ 7 أفريل 1864: "بلغني من صفاقس أن حارس الخطّ التلغرافي هناك يتعرّض إلى عدّة تهديدات أثناء كلّ جولة يقوم بها كما أنه أخبر بإمكانية قطع الخطّ من جديد ومازالت السلط ترفض تعزيز موظّفينا بحرّاس لحمايتهم"، وأرسل رسالة أخرى له من الغد: "الاتّصال بين تونس ومحطّة الكاف قدّ تعطّل من جديد...إنّ حراسة الخطوط التلغرافية أصبحت عملا عسيرا مضنيا على موظّفينا نتيجة لتكرّر الاعتداءات"[90].

اعتمد الثوّار أنفسهم سياسة دعائيّة ذات مرتكزات واضحة: العرق، المظلوميّة، والتصنيفات التحقيريّة. ورد في رسالة من نائب قنصل فرنسا بحلق الوادي إلى القنصل بتاريخ 2 جويلية 1864 أنه سمع أحد الأهالي التونسيين يقول "الأموال التي يدفعها أولئك المساكين لا يأخذها الباي ولا تنفق لخير البلاد، وإن اللذين يتمتّعون بها هم المماليك الكلاب، هذا ما لا يمكن أن يدوم، إننا نريد أن يتّخذ الباي حاشيته من العرب مثلا، ولو فعل ذلك لما افتقر إلى شيء بل إننا نسدّد كل ديونه"[91]. نلاحظ أن الأهالي نعتوا المماليك (أبرزهم خزندار) بالكلاب وهو تصنيف تحقيريّ، كما اعتمدوا على ثنائيّة عرب/مماليك وهو تصنيف عرقي، إلى جانب التذكير بالمظلومية التي يعانيها السكان تجاه الحكّام وخاصة الظلم الجبائي. كما اعتمد الثوّار على الترهيب والتخويف حيث "رفعت القبائل الكبيرة وسكان مساكن والقلعة الكبرى إلى مدن الساحل أنهم يعاقبون كل مدينة تعمد إلى إيفاد أبناءها إلى سوسة أو تونس للخدمة العسكرية وأنّ لهم 6000 فارس و4000 من المشاة وأنهم يحرقون المحاصيل الزراعية ويخرّبون المدن والقرى، وأجمعت هذه المدن على إمساك أبناءها وأعلمت بذلك القبائل"[92]. كما أنتج الثوّار تصنيفات تحقيريّة مثل خزندار الذي وُصف بأنّه "ذلك اليوناني الكافر"، وهو من "العبيد" و"المرتزقة"، مع التذكير الدائم بالهاجس العرقي حيث حرص الثوّار على تعيين أعوان الدولة "أهليّين منّا"، وإذا قام خلاف بيننا وبينهم فإن الباي يفصل بيننا"[93]. وورد عن الثوّار قولهم أنّهم لم يبق لهم "منذ زمان سبيل لإبلاغ مسامع الباي شكاويها ومطالبها وأنين أراملها وأيتامها فقد قرّر الأعراب أن يغمسوا أيدهم في دماء المماليك...إحساس البغضاء الذي يحلمه العربي ضدّ التركي"[94].

---

[86] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي**، مرجع مذكور، ص.21.

[87] نفس المرجع، ص.21.

[88] نفس المرجع، ص.22- 23

[89] نفس المرجع، ص.22.

[90] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الأوّل، صص.29.

[91] **نفس المصدر**، صص.260.

[92] **نفس المصدر**، صص.286 (رسالة من نائب قنصل فرنسا بالمنستير إلى القنصل بتاريخ 18 جويلية 1864)

[93] **نفس المصدر**، صص.360- 363

[94] **وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864**، مصدر مذكور، الجزء الثاني، ص.324- 327 (رسالة من كمبون إلى وزير الحرب الفرنسي بتاريخ 5 جوان 1864)



الخاتمة:

تعدّد أصحاب المصالح والساعون إلى النفوذ في الإيالة التونسية خلال ثورة علي بن غذاهم. تناصل الدول الأوروبيّة، وخاصة الفرنسي والانجليزي، الباب العالي والقصر. وظّف كلّ فاعل سياسي الدعاية المرتكزة على الإشاعة لتحقيق مصالحه وترسيخ نفوذه. نستنتج أنه لا يمكن لنا فهم ثورة 1864 بدون موضعتها في إطارها العالمي. كان لكلّ فاعل فائدة منتظرة الثورة، وخوف من خسارة ممكنة التحقّق من جهة أخرى. فرنسا لا تريد أن تخسر نفوذها في البلاد التونسية لصالح إنجلترا، وبدرجة أقلّ إيطاليا، سواء دفاعا عن مصالحها بالإيالة أو خوفا من تهديد وجودها بالجزائر. ولهذا لم تكن معارضة بتاتا للثورة خاصة وأن اندلاعها وقع بعد إمضاء اتفاقية سرية بين إنجلترا والإيالة لشرعنة تملّك الانجليز للأراضي التونسية. وقد دعّمت فرنسا الثورة وخاصة مطالب الثوار بإيقاف الدستور والمجالس قطعا للطريق أمام إنجلترا ومنعا لها من تملّك الأراضي بالإيالة[95].

رغبت من جهة أخرى إنجلترا من الاستفادة من الثورة عبر طرد فرنسا من تونس وبالتالي تهديد وجودها في الجزائر، ويمكن لإنجلترا أن تتّخذ من هذه المناورة ورقة ضغط مهمّة خاصة وأن فرنسا لم تخفي دعمها للثوّار الإيرلنديين ضد الوجود البريطاني، ولهذا لم تدّخر إنجلترا جهدا في دعم الثوار الجزائريين عبر الأراضي التونسية. كما سعت إنجلترا من ناحية أخرى أن تعوّض خسائرها من القطن الأمريكي الذي تسبّب الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) في إيقاف تصديره إلى بقية العالم (سبعة أثمان القكن المصدر للعام حينها أمريكي) ورغبت في البحث عن منابت قطن سواء في الهند أو مصر، ومثّلت تونس أرضا واعدة لإنبات القطن لتوفّرها على الماء. وهذا ما أرادت إنجلترا تحقيقه عبر السعي إلى شرعنة تملّكها الأراضي في تونس، ونفس هذا السبب في الذي مثّل هاجسا وخوفا لفرنسا. طبيعي هنا أن تدعّم إنجلترا خزندار وعهد الأمان (وبالتالي الدستور)، وأن تعادي فرنسا خزندار الدستور والمجالس[96]. حاول الباب العالي التموقع ضمن خطاطة النفوذ هذه، فكان خياره التحالف مع الانجليز سعيا لتقليص نفوذ فرنسا بتونس مع حضور هاجس عثماني أساسي هو التفكير الدائم في إمكانية طرد فرنسا من الجزائر. كما سعى القصر عبر رجله القوي (خزندار) إلى الدفاع عن مصالحه في ثورة 1864 عبر المراهنة على الحلف العثماني/الإنجليزي والسعي إلى صناعة "عدوّ" وآخر مختلف راغب في "احتلال" البلاد وهو فرنسا. ولم يبقى الثوّار سلبيين في وسط هذا الصراع، ركّز بن غذاهم على عنصر الفضيلة والأخلاق والعدل والاسترجاع الدائم لعنصر المظلوميّة، مع محاولة اللعب على عنصر التوازنات الدوليّة فقد تبادل رسائل عديدة مع تناصل الدول الأوروبية، بدون أن يغلق الباب نهائيّا مع القصر.

مثّلت الدعاية المرتكزة على الإشاعة عنصرا مهمّا لتحقيق المصالح في خضمّ هذا الصراع. حيث سعى كل طرف إلى صناعة "آخر" بالاعتماد على تصنيفات تحقيريّة وإنتاج أحكام معياريّة وتشكيل صور نمطيّة ووصم اجتماعيّ هدفه الأساسي إنفاذ المصالح وتشكيل شبكات النفوذ لا مصلحة البلاد التونسية.

المصادر والمراجع

أحمد ابن أبي الضّياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الجزء الخامس، تحقيق: أحمد الطويلي، تونس، الدّار التونسيّة للنشر، 1989، الجزء 5، ص.182 (15 جوان 1864). أنظر أيضا: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 184، ملف: 1031، و41- 42 (15 جوان 10/1864 محرم 1281)

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 185، ملف: 149

جون غانياج، **ثورة علي بن غذاهم: 1864**، ترجمة: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافيّة، تونس، 1965.

عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 -1871)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص.21.

[95] محمّد البشير رازقي، **إيالة وإمبراطوريتان: البلاد التونسية والصّراع على عهد الأمان (1855– 1870)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2021

[96] محمّد البشير رازقي، **التنافس الدولي وثورة علي بن غذاهم: الصراع الفرنسي/الإنجليزي، الدستور والقطن (1855– 1865)**، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2022





علي اللطيّف، انتفاضة الساحل التونسي سنة 1864: محلّة زرّوق ومعركة القلعة الصغيرة، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، 2017.

كمال جرفال (تنسيق)، انتفاضة الساحل: 1864. رؤى متقاطعة. أشغال اليوم الدراسي حول انتفاضة 1864 في ذكراها المائة والخمسين: انتفاضة 1864: رؤى متقاطعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة/ مجمع الأطرش للكتاب المختصّ، 2014.

محمد البشير رازقي، التنافس الدولي وثورة علي بن غذاهم: الصراع الفرنسي_/الإنجليزي، الدستور والقطن (1855- 1865)، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2022

محمد البشير رازقي، العنف ضدّ الأوروبيين والمحميين في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1860-1881). دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2021

محمد البشير رازقي، إيالة وإمبراطوريتان: البلاد التونسية والصّراع على عهد الأمان (1855- 1870)، دار كلمات للنشر والتوزيع، مصر، 2021

وثائق تونسيّة: ثورة ابن غذاهم 1864، الدار التونسية للنشر، 1969-1976، 2 أجزاء

Christiane de Craecker-Dussart, « La rumeur : une source d'informations que l'historien ne peut négliger. À propos d'un recueil récent », *Le Moyen* Age 2012/1, Tome CXVIII, pp.169- 176

François Ploux, « Bruits alarmants et fausses nouvelles dans la France du 19e siècle (1814-1870) », *Hypothèses*, 2001/1, N.4, pp.303- 314

Khalifa Chater, *Insurrection et répression dans la Tunisie du XIXe siècle : La Mehalla de Zarrouk au Sahel (1864)*, P.U.T, 1978.

Mots. Les langages du politique, 2010/1, n° 92, numéro spécial: Rumeurs en politique.







العلاقات السعودية – الايطالية في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز 2005 - 2015

أ.د فهد عباس سليمان السبعاوي

جامعة كركوك — كلية التربية للبنات

العراق

ملخص

تأتي دراسة العلاقات السعودية – الايطالية أثناء حكم الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في إطار دراسة العلاقات العربية – الأوربية المعاصرة، وفي ظل التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدها العالم، وتجسد ذلك من خلال إتباع المملكة دبلوماسية رفيعة المستوى بقصد تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية بين المملكة العربية السعودية ودول العالم، لا سيما مع ايطاليا موضوع البحث، التي شهدت المزيد من التطور على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، وترسخ جذورها في تعاون سليم، تمثل في كون ايطاليا واحدة من أبرز الشركاء التجاريين الاوربيين للمملكة العربية السعودية.

يناقش البحث العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين المملكة العربية السعودية وجمهورية ايطاليا أثناء تلك المدة، التي عكسته الاتفاقيات ومذكرات التعاون والتفاهم في المجالات التجارية والتقنية وتنشيط حركة وحماية الاستثمارات في كلا البلدين، فضلاً عن التعاون الثنائي في المجال الثقافي والعلمي بينهما.

الكلمات المفتاحية: المملكة العربية السعودية- الجمهورية الايطالية- العلاقات السياسية- الاتفاقيات الاقتصادية- التعاون الثقافي.

Abstract

The study of Saudi-Italian relations during the rule of King Abdullah bin Abdulaziz Al Saud comes within the framework of the study of contemporary Arab-European relations, and in light of the political and economic developments that the world has witnessed. And the countries of the world, especially with Italy, the subject of the discussion, which has witnessed further development at the political, economic and cultural levels, and has taken root in sound cooperation, represented in the fact that Italy is one of the most prominent trading partners of the Kingdom of Saudi Arabia.

The research discusses the political relations and the economic and cultural development that the Kingdom of Saudi Arabia and the Republic of Italy experienced during that period, which was reflected in the agreements and memoranda of cooperation and understanding in the commercial and technical fields, activating the movement and protection of investments in both countries, as well as bilateral cooperation in the cultural and scientific field between them.

العلاقات السعودية – الايطالية منذ نشأتها حتى عام 2005:

ترجع العلاقات السعودية – الايطالية بجذورها الى عام 1932، إذ توّجت جهود البلدين في التوقيع على اتفاقية للصداقة والتعاون التجاري بتاريخ 10 شباط 1932[1]، والتي نصت على اعتراف الحكومة الايطالية بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها وتوثيق عرى الصداقة بين الجانبين[2]،

---

(1) India Office Records(I.O.R)/ L/PS/12/2062, Telegram from British Embassy in Rome, 10 Feb 1932.

(2) I.O.R/ L/PS/12/2062, Telegram from British Embassy in Rome, 8 March 1932;
أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، دار الكاتب العربي، بيروت، 1965، ج2، ص ص 210-211.



فضلاً عن إنشاء علاقات سياسية وتعزيز التمثيل الدبلوماسي بين الطرفين[3].

وفي إطار تعزيز العلاقات السياسية، توجه وزير الخارجية الأمير فيصل الى ايطاليا في 18 نيسان 1932، لتبادل إبرام اتفاقية الصداقة والتجارة التي وقعت في شباط الماضي[4]، وعقد اجتماعاً مع نظيره الايطالي دينو كراندي (D. Grandi) وناقش معه تعزيز العلاقات السياسية بين الجانبين، ونتج عن تلك الزيارة أن وقّع الجانبان على اتفاقية تجارية أخرى في 22 نيسان حملت نفس بنود الاتفاقية السابقة[5]. وفي 12 كانون الأول 1935 زار ولي العهد السعودي الأمير سعود بن عبدالعزيز روما وعقد اجتماعاً مع الزعيم موسوليني تناولا العلاقات الثنائية فضلاً عن القلق السعودي حيال الوجود الايطالي في الحبشة وتأثيره على أمن المملكة، وجدد موسوليني تأكيده حول عدم وجود أي تهديد للمملكة واستقرارها وهي تسعى نحو تعزيز الروابط معها[6]، وبحث الأمير سعود مع المسؤولين الايطاليين إمكانية تزويد المملكة بالأسلحة الضرورية والمساعدة التقنية، واتفق الطرفان على قيام الحكومة الايطاليين إرسال مدربين لغرض تدريب القوات الجوية السعودية في أقرب وقت[7].

ورغم التطور الذي وصلت إليه العلاقات السعودية - الايطالية، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية في 3 أيلول 1939 بين المعسكرين المتحاربين قد حال دون استمراريتها، فقد أعلنت الحكومة السعودية الحياد حيال الحرب الدائرة رغم محاولات طرفي الحرب اجتذاب المملكة لهذا الطرف أو ذاك[8]، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنفت المملكة العربية السعودية وايطاليا العلاقات الدبلوماسية بينهما بتاريخ 4 تشرين الثاني 1947 بعد انقطاع دام خمس سنوات، وجرت الاتصالات الأولية من خلال المفوضتين الإيطالية والسعودية في تركيا، وكان أول وزير إيطالي مفوض هو فيليبو زابي(F. Zappi)، الذي وصل إلى جدة في 10 تشرين الأول 1947 وقدم أوراق اعتماده أمام ولي العهد الأمير سعود[9]. وبادرت الحكومة السعودية من جهتها بتعيين وزير مفوض لها في روما واختير موفق الالوسي لهذا المنصب، الذي قدم أوراق اعتماده بصفته وزيراً مفوضاً لبلاده للرئيس الايطالي لويجي إينودي (L. Einaudi) في 25 كانون الأول 1950[10].

توجه وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل الى روما في زيارة رسمية بتاريخ 15 نيسان 1952، وعقد اجتماعاً مع رئيس الوزراء الايطالي السيدي دي جاسبري (A. Gasperi) وناقش معه تطور العلاقات الثنائية بين البلدين فضلاً عن ملفات أخرى تتعلق بالمنطقة العربية والدور الايطالي الدبلوماسي الذي يمكن أن تعول عليه المملكة العربية السعودية في سبيل دفع عملية السلام والاستقرار في المنطقة العربية[11].

وفي عهد الملك سعود بن عبدالعزيز(1953-1964) لم تصل العلاقات السعودية – الايطالية الى مستوى متقدم، إلا إن الحدث الابرز تمثل في رفع مستولى التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، فقد اتفق الطرفان على رفع مستوى التمثيل من وزير مفوض الى سفير وافتتحت أول سفارة بين البلدين عام 1954، في وقت كانت الحكومة الايطالية تعمل على تعزيز دور شركاتها وتأكيد حضورها الفاعل في المملكة، رغم المنافسة الشديدة مع الشركات الأمريكية والبريطانية، فضلاً عن تأثيرات قضايا الصراع العربي الإسرائيلي لا

---

(3) جريدة أم القرى، ع(374)، 14 شباط 1932.

(4) فهد عبدالله السماري وآخرون، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، الرياض، 1999، ص125.

(5) Matteo Pizzigall, "History of an 80–Year–Long friendship: Italy – Saudi Arabia relations", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013, p.18.

(6) I.O.R/ L/PS/12/2062, Telegram from (Calvert) in Jeddah to F.O, 15 Dec., 1935.

(7) Faysal Bin Abdul Rahman Bin Muammar," Saudi–Italian Relations", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013, p.120.

(8) خليل حمود عثمان علي، سياسة بريطانيا تجاه المملكة العربية السعودية 1939-1945، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2011، ص47.

(9) جريدة أم القرى، ع(1183)، 7 تشرين الثاني 1947.

(10) جريدة أم القرى، ع(1344)، 5 كانون الثاني 1951.

(11) Pizzigall, op., cit., p.22.



سيما حرب حزيران 1967، التي جعلت من ايطاليا تخفف من حضورها في المنطقة في ظل تلك الظروف[12].

شهد عقد السبعينات تحسناً ملحوظاً في علاقات البلدين، ففي 7 شباط 1973 توجه وزير الخارجية الايطالي جوزيي ميديشي(G. Medici) في زيارة سمية الى الرياض، وعقد اجتماعاً مع الملك فيصل بن عبدالعزيز (1964-1975)، تناولا العلاقات الثنائية وتم الاتفاق على التوقيع على أول اتفاقية ثقافية وفنية والتعاون العلمي والتكنولوجي بين الجانبين[13]. وفي 8 حزيران 1973 توجه الملك فيصل وبرفقته وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، الى روما في زيارة رسمية لأول ملك سعودي الى ايطاليا، التقى خلالها برئيس الجمهورية الايطالي جيوفاني ليون (G. Leone)، وناقشا العلاقات السياسية والاقتصادية بين الطرفين[14].

وبعد اندلاع حرب تشرين الأول 1973 أوضح وزير الخارجية الايطالي ألدو مورو (A. Moro) أن بلاده تؤيد السلام والاستقرار في الشرق الأوسط وتدعو الى وقف القتال، وفي 10 كانون الثاني 1974 توجه وزير النفط السعودي احمد زكي يماني الى روما والتقى بوزير الخارجية الايطالي مورو، وناقش معه الوضع في المنطقة في ظل الأزمة النفطية التي بدأت تعصف بالعالم، وناقش الجانبان الحاجة الى ضمان الأمن وإمدادات الطاقة في إيطاليا، التي تأثرت بتلك الأزمة [15]. وفي 3 آذار 1975 استقبلت المملكة العربية السعودية الرئيس الايطالي جيوفاني ليون، وهو أول رئيس ايطالي يزور المملكة، والتقى بالملك فيصل وناقش معه تطورات الوضع في المنطقة، وأكد الجانبان على صلات الصداقة والمودة بين الجانبين، وأوضح ليون موقف بلاده الداعم للقضية الفلسطينية، وفي نهاية الزيارة وقّع الجانبان على اتفاقية التعاون الفني والاقتصادي، التي أكدت على حضور الشركات الايطالية في دعم التجربة التنموية في المملكة فضلاً عن تعزيز النشاط التجاري بين الجانبين[16].

وفي عهد الملك خالد بن عبدالعزيز (1975-1982) استمر التقارب السعودي – الايطالي في المجالات كافة، ففي 5 آب 1977 توجه رئيس الوزراء الايطالي جيوليو أندريوتي (G. Andreotti) ووزير خارجيته أرنالدو فورلاني (G. Forlani) الى الرياض في زيارة رسمية، والتقيا بالملك خالد وعبر الجانبان عن رغبتهما في تطوير التعاون في المجال الاقتصادي والاستفادة من الخبرات الايطالية في مجال الأعمار وتحديث البنية التحتية للمملكة فضلاً عن تطوير القطاع النفطي[17]، وفي عام 1979 جرى التوقيع على اتفاق بين شركة ارامكو السعودية(Aramco) وشركة إيني الايطالية (Eni Italian company) التي نصت على توريد النفط السعودي الى ايطاليا بأسعار تفضيلية تقديراً لعلاقات الصداقة ولمواقف ايطاليا الايجابية من تطورات الصراع العربي - الإسرائيلي بشكل مباشر[18].

وفي إطار تعزيز العلاقات السياسية بين الطرفين، توجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الى روما بتاريخ 20 كانون الأول 1980، وناقش مع نظيره إميليو كولومبو(E. Colombo) محادثات طويلة ومثمرة عززت العلاقات الثنائية، ووصف الفيصل تلك العلاقات بأنها تمر في جو من الود والاحترام المتبادل، وقد انعكس ذلك التطور الايجابي للعلاقات الى تنشيط حركة التبادل التجاري بين البلدين[19].

وبعد اندلاع حرب الخليج الثانية في كانون الثاني 1991، وقفت ايطاليا الى جانب المملكة العربية السعودية في مواجهة العراق، وجاء ذلك الدعم أثناء الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الايطالي جوليو أندريوتي (J. Anderiuti) الى السعودية، ولقائه بالملك فهد بن عبدالعزيز(1982-2005)، إذ عبر الجانبان عن وقوفهما موقفاً موحداً ازاء التهديد العراقي والعمل على تعزيز التقارب السياسي

---

(12) Michel G. Nehme," Saudi Arabia 1950-80: Between Nationalism and Religion", Middle Eastern Studies, Vol.(30), No.(4) (Oct., 1994) ,p.935.

(13) جريدة أم القرى، ع(2458)، 9 شباط 1973.

(14) Vincenzo Strika, " Saudi-Italian Relations Since the Second World War",
مقال متاح على موقع دارة الملك عبدالعزيز: www.darah.org.sa

(15) Pizzigall, op., cit.,p.25.

(16) جريدة أم القرى، ع(2566)، 7 آذار 1975.

(17) Abdullah Al-Mobty, " Towards Strengthening Saudi-Italian Economic Cooperation", ", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013, p.79.

(18) Paul Ginsborg, A history of contemporary Italy 1943-1988,first published, London, 1990 ,p.402.

(19) جريدة أم القرى، ع(2849)، 26 كانون الأول 1980.



والاقتصادي والعسكري بينهما[20]. ولتدعيم التعاون الاقتصادي بين الجانبين، توجه وزير الخارجية الايطالي لامبرتو ديني (L. Dini) الى الرياض في زيارة رسمية في 10 أيلول 1996، والتقى بنظيره السعودي الأمير سعود الفيصل، ووقّع الجانبان اتفاقية ثنائية لتشجيع وحماية الاستثمارات، وعدّها وزير الخارجية ديني بأنها ذات تأثير ايجابي على تطور العلاقات الاقتصادية بينهما[21]، وفي نفس الإطار توجه الرئيس الايطالي اوسكار لويجي سكالفارو(O.L. Scalfaro) الى السعودية في 19 تموز 1997، وبرفقته وزير الخارجية ديني، والتقى سكالفارو بالملك فهد وولي العهد الأمير عبدالله بن العزيز في مدينة جدة، وبحث الجانبان التطور السياسي والاقتصادي للعلاقات الثنائية، والعمل على تشجيع حركة الاستثمارات بين البلدين وتعزيز مصالحهما الاقتصادية[22].

تواصلت الزيارات الدبلوماسية بين الرياض وروما بشكل أكبر اثناء تلك المدة، ففي 24 أيار 1999 توجه ولي العهد الامير عبدالله في زيارة رسمية الى روما، وأجرى لقاءات متعددة مع الرئيس الايطالي كارلو أزيجليو شيامي (C.A. Ciampi) ورئيس الوزراء ماسيمو داليما (M.D'Alema)، ورحب الرئيس شيامي بالامير عبدالله وعبر عن سعادته عن التطور الذي وصلت اليه العلاقات الثنائية بينهما، فيما عدّ الامير عبدالله أن هذه الزيارة بأنها تعد استكمالاً لجهود البلدين في تطوير التعاون الاقتصادي بين الجانبين، وتم التأكيد خلال هذه الزيارة على تعزيز عملية السلام في الشرق الأوسط وفق مبادئ القانون الدولي[23]. وفي 7 شباط 2000 وقّع الجانبان على مذكرة للتفاهم والصداقة في مدينة الرياض، أكدت على تعزيز أواصر الصداقة وزيادة التنسيق السياسي بين البلدين وتشكيل لجان لمتابعة الأنشطة والفعاليات الاقتصادية المتنوعة، ونصت المذكرة على توحيد المواقف والرؤى حيال الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، [24]. وفي 12 آذار 2002 زار رئيس الوزراء سيلفيو برلسكوني (S. Berlusconi) الرياض وعقد محادثات مع الملك فهد وولي عهده الأمير عبدالله، تناولت العلاقات الثنائية ورغبة ايطاليا في توسيع التعاون مع المملكة في المجالات كافة[25].

وفي إطار التعاون الاقتصادي، توجه وزير الخارجية الايطالي فرانكو فراتيني (F. Frattini) الى السعودية في 25 أيار 2004، وكان في استقباله ولي العهد الأمير عبدالله في مدينة جدة، وجدد الوزير فراتيني سعي بلاده في تعزيز التعاون السياسي والاقتصادي مع المملكة، وتم الاتفاق على التنسيق المشترك بين شركة إيني الايطالية وبين شركة أرامكو السعودية والشركة الإسبانية ريبسو (Repso)، لإدارة عدد من الأنشطة في مجال استكشاف النفط والغاز في منطقة الربع الخالي[26]. وعلى مستوى آخر، قام وفدٌ من مجلس الشورى السعودي برئاسة رشيد بن راجح الشريف بزيارة الى روما في 3 آذار 2005، وعقد الأخير اجتماعاً مع نائب وزير الخارجية الايطالي ألفريدو ماتينكا (A. Matinka) وناقشا العلاقات الثنائية، وبعدها التقى الشريف أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الايطالي وتركز اللقاء حول تعميق الحوار السياسي السعودي - الايطالي ودور ايطاليا في تطوير العلاقات بين الاتحاد الأوربي ومجلس التعاون الخليجي[27].

لقد عكست الزيارات الدبلوماسية المتبادلة السابقة قوة العلاقات السياسية والاقتصادية بين المملكة العربية والسعودية وجمهورية ايطاليا، بدليل كثرة الاتفاقيات المبرمة بينهما والتي ساهمت في تعزيز التعاون والتنسيق المشترك في الكثير من المواقف ازاء التطورات الإقليمية والعالمية.

---

(20) جريدة أم القرى، ع(3360)، 7 حزيران 1991؛ دارة الملك عبدالعزيز، موسوعة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، الخطب والكلمات في مجلس الوزراء 1982-2005، الرياض، 2015، مجلد(4)، ص243.

(21) المملكة العربية السعودية، المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الديوان الملكي، المرسوم الملكي بالموافقة على اتفاقية بين المملكة العربية السعودية وبين جمهورية ايطاليا حول التشجيع والحماية المتبادلة للاستثمارات والبروتوكول المرفق بها، المرقم 149 بتاريخ 1417/10/17هـ الموافق 1996/9/10م.

(22) Faherty, Douglas, Italian foreign policy: trends for the twenty-first century, thesis submitted to Naval Postgraduate School, University of Circle, California(U.S.A), 2003,pp.29-30.

(23) جريدة أم القرى، ع(3747)، 28 أيار 1999.

(24) Pizzigall, op., cit.,p.29.

(25) جريدة أم القرى، ع(3882)، 15 آذار 2002.

(26) جريدة الشرق الأوسط(السعودية)، ع(9312)، 27 أيار 2004.

(27) Rashed Al-Kathiri," Parliamentary Relations between the Kingdom of Saudi Arabia and the Republic of Italy", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013 ,p.115.



العلاقات السعودية – الايطالية في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز 2005-2015:

بعد وفاة الملك فهد بن عبدالعزيز في الأول من آب 2005 وتولي أخيه الملك عبدالله بن عبدالعزيز عرش المملكة العربية السعودية[28]، شهدت العلاقات السياسية والاقتصادية السعودية – الايطالية تطوراً مستمراً بفعل سياسة الانفتاح السياسي والاقتصادي التي انتهجها الملك عبدالله[29]. وشهدت تلك المدة تطوراً مهماً على مستوى التعاون الثنائي بين البلدين، إذ كان لدى الملك عبدالله رؤية إستراتيجية شاملة تتعلق بتطوير التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي بين المملكة العربية السعودية وايطاليا[30].

تطور العلاقات السياسية بين المملكة وايطاليا:

شهدت العلاقات السياسية بين البلدين تطوراً مهماً بعد تولي الملك عبدالله مقاليد الحكم، عكستها الزيارات الدبلوماسية بين الجانبين، ففي 26 تموز 2006 توجه وزير الخارجية سعود الفيصل الى روما، وعقد اجتماعاً مع وزير الخارجية ماسيمو داليما، تناولا تطور العلاقات الثنائية بين روما والرياض، وأوضح الوزير داليما سعيه نحو إحياء دبلوماسية الصداقة مع الدول العربية في شرق البحر الأبيض المتوسط، التي عدّها واحدة من أبرز السمات المميزة للسياسة الخارجية لايطاليا[31]، فيما جدد الفيصل رغبة بلاده في مواصلة التعاون الثنائي مع ايطاليا، كما ناقش الجانبان أوضاع المنطقة، أهمها الحرب الإسرائيلية ضد حزب الله في جنوب لبنان التي بدأت في 12 تموز 2006، وترحيب ايطاليا بمبادرة الملك عبدالله بإنهاء الحرب، وقد شارك الفيصل في مؤتمر روما الذي حضره وزراء خارجية 15 دولة، فضلاً عن الأمين العام الأمم المتحدة كوفي عنان(K. Anan)، الذي وضع الأسس لتحقيق الاستقرار في جنوب لبنان وإنهاء الحرب[32].

وحول تعزيز التعاون الثنائي، قام وزير الخارجية الايطالي داليما في جولة خليجية بتاريخ 7 كانون الثاني 2007، وكانت محطته الأولى في الرياض، إذ استقبله وزير الخارجية الفيصل وعبر الجانبان عن ترحيبهما بالتطور الايجابي الذي وصلت إليه العلاقات السياسية، كما ناقشا جهود البلدين في إطار تعزيز عملية السلام في المنطقة، وأوضح الفيصل أن المملكة تعول كثيراً على موقف الحكومة الايطالية الايجابي تجاه عملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية، وهي ترحب بأي جهد يرمي الى تحقيق الاستقرار في المنطقة[33]. ولدى زيارة رئيس الوزراء الايطالي رومانو برودي (R. Prodi) للرياض في 22 نيسان 2007، التقى بالملك عبدالله وناقش معه العلاقات الثنائية بين البلدين، وعبر عن رغبة بلاده في تحقيق عملية السلام الشامل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبعدها التقى بولي العهد الأمير سلمان ووزير الخارجية الفيصل وناقشا علاقات الصداقة بين البلدين وبذل الجهود في سبيل تعزيز التعاون السياسي وتنسيق المواقف حيال القضايا العالمية [34].

إن الحدث الأبرز تمثل في الزيارة التي قام بها الملك عبدالله إلى روما في 5 تشرين الثاني 2007 وهي أول زيارة له إلى ايطاليا منذ توليه عرش المملكة، وكان في استقباله الرئيس الايطالي جورجيو نابوليتانو (G. Napolitano)، ثم عقد لقاءاً مع رئيس الوزراء الايطالي رومانو برودي وناقشا عدداً من الملفات ذات الاهتمام المشترك، وتحدث الملك عبدالله : " إن العلاقات بين بلدينا قد اتسمت بالتقارب والتعاون، وأملنا من هذه الزيارة أن تعطي دفعة كبيرة للعلاقات بين البلدين في مختلف المجالات"[35]. وفي البيان المشترك مع رئيس الوزراء برودي، عبّر الملك عبدالله عن تقديره الكبير للسياسة الخارجية الإيطالية التي تهدف دائما للحفاظ على السلام العالمي، وأضاف قائلاً: "لا يسعنا إلا أن نثني على السياسة البناءة التي اعتمدتها إيطاليا بشأن أزمة الشرق الأوسط الأكثر حساسية، ألا وهي الصراع العربي - الإسرائيلي"[36]. وقد قلّد الملك

[28] نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية (SPA)، في 2 آب 2005. www.spa.gov.sa.

[29] جريدة الرياض السعودية، ع(13660)، 23 تشرين الثاني 2005.

[30] جريدة الشرق الأوسط ، ع(10320)، 1 أيلول 2005.

[31] جريدة أم القرى، ع(4107)، 28 تموز 2006.

[32] Pizzigall, op., cit.,p.30.

[33] جريدة أم القرى، ع(4131)، 12 كانون الثاني 2007.

[34] جريدة الرياض، ع(14197)، 8 أيار 2007.

[35] جريدة الجزيرة (السعودية)، ع(12821)، 5 تشرين الثاني 2007.

[36] Roberto Aliboni," Saudi Arabia and Italy in the Mediterranean: An Emerging Dimension in Bilateral Relations", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013 ,p.44.



عبدالله رئيس وزراء إيطاليا وشاح الملك عبدالعزيز من الطبقة الأولى تقديراً لعلاقات الصداقة التاريخية بين البلدين[37].

تواصلت الزيارات الدبلوماسية بين البلدين عكستها الرغبة في تطوير التعاون السياسي بينهما، وفي 21 تشرين الثاني 2009 توجه رئيس الوزراء الايطالي برسلكوني الى السعودية، وعقد اجتماعاً مع الملك عبدالله وناقشا تطور العلاقات السياسية، وشدد برسلكوني على ضرورة تنسيق المواقف بين البلدين حيال القضايا العالمية، كما التقى برسلكوني بولي العهد الأمير سلمان ووزير الخارجية الفيصل، إذ أوضح ولي العهد السعودي أن المملكة تفتخر بالتطور الذي وصلت إليه العلاقات السعودية – الايطالية ، ويعود ذلك الى دور القادة الايطاليين في تدعيم تلك العلاقات [38].

بموازاة ذلك عقدت لجنة الصداقة البرلمانية السعودية - الايطالية برئاسة رشيد بن راجح الشريف اجتماعاً لها في الرياض في 22 أيار 2010، تناولت ملفات عدة أهمها التنسيق المشترك بين مجلس الشورى والبرلمان الايطالي ودورهما في تعزيز الصداقة والتعاون السياسي بين البلدين، ويهدف عمل هذه اللجنة في تعزيز التعاون بين الشعبين السعودي والايطالي وتدعيم جهود حكومتي البلدين من أجل الرقي بالعلاقات الثنائية إلى آفاق أوسع للنهوض بالتعاون السياسي بين البلدين وتعزيز الدور الايطالي المؤيد لعملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية [39].

وأثناء اللقاء الذي جمع السفير السعودي في روما صالح الغامدي مع وزير الخارجية الايطالي فرانكو فراتيني في 24 أيار 2012، أشاد الغامدي بالعلاقات الإستراتيجية بين المملكة وايطاليا وعبر عن رغبة بلاده في مواصلة التعاون والتقارب مع ايطاليا، كونها واحدة من بين الدول الأوربية التي تحظى بعلاقات سياسية قوية مع بلاده على مدار (80) عاماً [40]. وفي المقابل وصف السفير الايطالي لدى المملكة ماريو بوفو العلاقات بين إيطاليا والمملكة بأنها تحمل طابعاً خاصاً بوجود سمات مشتركة بين البلدين الصديقين، مؤكداً أن الملك عبدالله قاد المنطقة إلى بر الأمان وجهوده على المستوى المحلي والعالمي مميزة، حسب وصفه، وأضاف أن المملكة تحتل مكانة بارزة اكتسبتها في المجتمع الدولي من خلال دورها الكبير وقرارها المؤثر على المستوى الدولي بشكل عام والإقليمي على وجه الخصوص، وأن منطقة الشرق الأوسط بطبيعة الحال مزعزعة وغير مستقرة، وعلى خلاف ذلك لطالما كانت المملكة بلداً آمناً ومستقراً، وهي في عمل مستمر لإيجاد حلول لمشاكل المنطقة، فالجميع يعرف الدور الأساسي الذي لعبته المملكة لحل الأزمات التي تمر بها المنطقة كما هو الحال في سوريا واليمن وتونس وليبيا[41].

ولتدعيم أواصر العلاقات السياسية مع ايطاليا، بعث الملك عبدالله برقية الى رئيس الوزراء الايطالي الجديد ماتيو رينزي(M. Rrinzy) في 19 آذار 2014 عبر فيها عن تهنئة المملكة لحكومته بمناسبة نيلها ثقة البرلمان الايطالي، مشيداً بتميز علاقات الصداقة والتعاون التي تربط البلدين داعياً الحكومة الجديدة الى تدعيم تلك العلاقات وتعزيزها[42].

العلاقات الاقتصادية:

إن أهم ما يميز العلاقات السعودية – الايطالية في تلك المدة هو التعاون الاقتصادي، إذ وصلت الى درجات متقدمة، وكان لمجلس الغرف السعودية دور بارزاً ومتميزاً في دعم العلاقات الاقتصادية مع العديد من دول العالم، بما في ذلك ايطاليا، عن طريق التسهيلات المقدمة من جانب مجالس الأعمال السعودية - الأجنبية المشتركة، وفي 10 تموز 2006 توجه وفد اقتصادي من رجال الأعمال السعوديين برئاسة عبدالرحمن الربيعة الى روما، وبحث مع كبار رجال الأعمال الايطاليين إمكانية توقيع مذكرة تفاهم لإنشاء مجلس أعمال مشترك، يهدف الى نقل التقنية الايطالية الحديثة الى المملكة والاستفادة من التجربة الايطالية في إقامة المشاريع الصغيرة والمتوسطة[43]، وفي 15 تموز 2006 أنشأ كلٌ من مجلس الغرف السعودية وغرف التجارة الإيطالية (Unioncamere) مجلس الأعمال السعودي - الإيطالي المشترك، بمساعدة بعض رجال الأعمال السعوديين والإيطاليين،

---

(37) جريدة الرياض، ع(14378)، 5 تشرين الثاني 2007.

(38) جريدة أم القرى، ع(4281)، 27 تشرين الثاني 2009.

(39) Al-Kathiri, op., cit.,p.115.

(40) جريدة الجزيرة، ع(14483)، 24 أيار 2012.

(41) جريدة الجزيرة ، ع(14972)، 29 أيلول 2013.

(42) جريدة أم القرى، ع(4506)، 21 آذار 2014.

(43) وكالة الأنباء السعودية، "وفد اقتصادي سعودي في روما يبحث تأسيس مجلس للأعمال السعودي – الايطالي المشترك"، متاح على الموقع: www.spa.gov.sa/report



ويهدف المجلس لتعزيز مناخ الاستثمار في كلا البلدين وتشجيع رجال الأعمال على إقامة مشاريع واستثمارات مشتركة[44].

وعلى أثر إنشاء مجلس الأعمال السعودي – الايطالي المشترك، ازداد حجم التبادل التجاري بين البلدين بنسبة كبيرة، إذ بلغ حجم الصادرات السعودية الى ايطاليا حوالي (8) مليارات ريال سعودي في عام 2005، وتحتل ايطاليا المرتبة السادسة من حيث الواردات، فقد بلغت واردات المملكة من ايطاليا حوالي (5,5) مليارات ريال، أي بنسبة (6%) عن عام 2004[45].

يعد النفط الخام أهم الصادرات السعودية لإيطاليا، إذ يشكل نسبة (28%) من إجمالي الصادرات بالإضافة إلى البتروكيماويات والألمنيوم والفولاذ، والمشروبات الروحية البيضاء الثقيلة ومسحوق ثاني أكسيد التيتانيوم والكبريت والجلود المدبوغة، بما في ذلك جلد البقر والأغنام. أما السلع الرئيسية المستوردة من إيطاليا هي الآلات والسيارات والأجهزة الكهربائية والمنزلية والأثاث والملابس فضلاً عن الرخام والأحجار الكريمة والقرميد والبلاط[46].

ولتعزيز التعاون المالي بين البلدين وقّع الجانبان في مدينة الرياض اتفاقية لمنع الازدواج الضريبي على الدخل ورأس المال ومنع التهرب الضريبي بين حكومتي البلدين في 13 كانون الثاني 2007 في مقر وزارة المالية، وقّعها عن الجانب السعودي وزير المالية ابراهيم العساف وعن الجانب الايطالي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الايطالي ماسيمو داليما، وأكد العساف أن اتفاقية تفادي الازدواج الضريبي تُعد إطاراً قانونياً مستقراً يحدد العلاقات الضريبية بين الدول ويضمن منع الازدواج الضريبي على الدخل المتحقق من النشاطات الاستثمارية، وتهدف الى تشجيع وحماية الاستثمارات مفيداً أنه بعد هذه الاتفاقية تكون الدولتان قد استكملتا توقيع الاتفاقيات الاقتصادية الأساسية بين البلدين[47]. فيما أوضح وزير الخارجية داليما أن توقيع هذه الاتفاقية سيكون لها دور ايجابي في تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين خاصة مع وجود مجلس الأعمال السعودي – الايطالي، مؤكداً أن ايطاليا تعد شريكاً استراتيجياً للمملكة خاصة في مجال الطاقة[48]، وأضاف قائلاً: "أدعو الى ضرورة الإسراع في توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين دول الاتحاد الأوروبي ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ويجب أن نعمل جميعاً على سرعة تحقيق ذلك ليس لأسباب اقتصادية فحسب بل لأسباب سياسية أيضاً لما تمثله دول مجلس التعاون من أهمية للاستقرار السياسي والأمني في المنطقة"[49]. وتجدر الإشارة الى أن هناك كان تعاوناً بين مجلس الشورى والبرلمان الإيطالي في المجالات الاقتصادية والشؤون السياسية والاجتماعية وكانت نتائج هذا التعاون المثمر أن كلا المجلسين قد صادقا على تلك الاتفاقية في 13 كانون الثاني 2007[50]. وتجدر الإشارة الى أن ايطاليا حلت في المرتبة السادسة من بين الدول الأوربية في حركة التبادل التجاري مع السعودية منذ مطلع عام 2006[51].

ولدى زيارة رئيس الوزراء الايطالي رومانو برودي للرياض في 22 نيسان 2007، التقى برجال الأعمال السعوديين في مقر مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية بالرياض، وكان في استقباله رئيس مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية عبدالرحمن بن راشد الراشد ورئيس مجلس الأعمال السعودي - الايطالي يوسف عبد الستار الميمني وأعضاء الجانب السعودي في المجلس وعدد من رجال الأعمال السعوديين وعبر رئيس المجلس يوسف الميمني عن ترحيب المملكة بالتطور الايجابي للعلاقات الاقتصادية بين البلدين، وقال أيضاً: " إننا نطمح نحو شراكة حقيقية وإستراتيجية مع إيطاليا تنسجم مع معطيات الفترة المقبلة كما أن لدينا رغبة ملحة في جلب الاستثمارات الايطالية إلى المملكة خاصة مع بدء إعلان حكومة خادم الحرمين الشريفين تدشين عدد من المشروعات

---

(44) Abdullah Al–Mobty," Towards Strengthening Saudi–Italian Economic Cooperation", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013 ,p.82.

(45) وكالة الأنباء السعودية، "وفد اقتصادي سعودي في روما يبحث تأسيس مجلس للأعمال السعودي – الايطالي المشترك"، متاح على الموقع: www.spa.gov.sa/report

(46) Al–Mobty, op., cit., ,p.85.

(47) المملكة العربية السعودية، المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الديوان الملكي، المرسوم الملكي بالموافقة على اتفاقية بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين حكومة جمهورية ايطاليا لتجنب الازدواج الضريبي في شأن الضرائب على الدخل وعلى رأس المال ولمنع التهرب الضريبي في مدينة الرياض، المرقم 7790/ب بتاريخ 1427/12/23هـ الموافق 2007/1/13م.

(48) جريدة الرياض، ع(14083)، 14 كانون الثاني 2007.

(49) جريدة الرياض، ع(14084)، 15 كانون الثاني 2007.

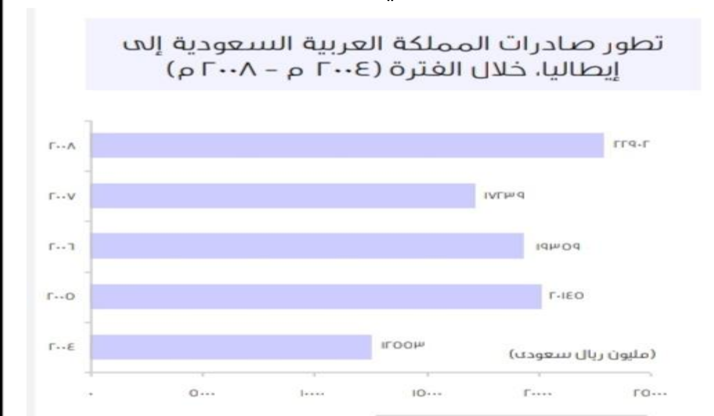
(50) Rashed Al–Kathiri," Parliamentary Relations between the Kingdom of Saudi Arabia and the Republic of Italy", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013 ,p.111.

(51) جريدة أم القرى، ع(4131)، 12 كانون الثاني 2007.

الاقتصـادية العملاقـة"[52]، ومـن جانبـه تحـدث بـرودي قـائلاً:" إن علاقـات ايطاليـا التجاريـة مـع المملكـة تنمـو باضـطراد فالتبـادل التجاري تجاوز عام 2006 ثمانية مليارات و 300 مليون دولار، وثلاثة مليارات منها صادرات وخمسة مليارات و300 مليون دولار واردات الأمـر الـذي يجعـل مـن إيطاليـا الشريـك الأوروبي الأول للمملكـة العربية السعودية". وأضاف إن إيطاليا والمملكة تجمعهما مصلحة مشتركة في وجود سوق مستقرة للطاقة تكون قادرة على تلبية احتياجـات المنتجـين والمسـتهلكين عـلى حـد سـواء، ويأمـل أن تحـذو علاقـات البلـدين في التبـادل العلمـي والثقـافي حـذو التقـدم الـذي تشهده العلاقات التجارية والصناعية[53]. وأكد السفير السعودي في روما محمد بن إبراهيم الجارالله أن حجم الاستثمارات السعودية - الايطاليـة المشـتركة المـرخص لهـا والمقامـة في المملكـة بلغـت خـلال عـامي 2006 و 2007 نحـو 33 مشروعـاً بلغـت رؤوس أموالهـا نحـو 186 مليـون دولار مثلـت حصـة الشريـك الإيطـالي فيهـا مـا نسـبته (50%)، وأضاف أن هذا التطور السريع في زيادة حجم الاستثمارات سيساهم في تعزيز الروابط الاقتصادية بين البلدين وسينعكس ايجابياً على اقتصاد الجانبين[54].

وأثناء وجود الملك عبدالله في روما يومي 5 و 6 تشرين الثاني 2007، ناقش مع رئيس الحكومة الايطالية جهود البلدين في تعزيز التعاون الاقتصادي بين بلديهما، وتم الاتفاق على تنسيق الجهود من أجـل الارتقـاء بالعلاقـات الاقتصـادية [55]. وفي ختـام الـزيارة، تـم التوقيع على عدداً من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم والتعاون بين حكومة المملكة العربية السعودية والحكومة الإيطالية في مجال الدفاع ومجال مكافحة الجريمة، والتعاون في مجال الصحة بين وزارتي الصحة في البلدين، والتفاهم في مجال التدريب المهني بين المؤسسـة العامـة للتـدريب التقـني والمهـني في المملكـة العربيـة السـعودية ووزارة العمـل والضـمان الاجتمـاعي في الجمهوريـة الإيطالية، فضلاً عن التفاهم بين وزارة التعليم العالي في المملكة العربيـة السـعودية ووزارة الجامعـات والبحـوث في الجمهوريـة الإيطالية[56]. وعلى أثر ذلك زاد التبادل التجاري بين البلدين، ونتج عنه أن حقق الميزان التجاري بين المملكة وايطاليا فائضاً مالياً لصالح المملكة قُدرت قيمته حوالي (5,614) مليون ريال سعودي في مطلع عام 2008[57].

جدول يبين قيمة الصادرات السعودية الى ايطاليا بالريال السعودي[58].



يتضح من الجدول ارتفاع كبير في حجم الصادرات السعودية إلى ايطاليا بالمقارنة بين عامي 2004 و 2008، وهو يُعد بحد ذاته مؤشراً قوياً حول ازدياد التبادل التجاري بين البلدين في نهاية عام 2008.

بموازاة ذلك توجه وزير الخارجية الايطالي فرانكو فراتيني على رأس وفد اقتصادي الى الرياض في 18 تشرين الأول 2009، ويعد فراتيني من أشد الداعمين لتطوير علاقات ايطاليا الخارجية مع دول مجلس التعـاون الخليجي، وعقـد اجتماعـات مـع نظيره السـعودي سعود الفيصل ووزير المالية السعودي ابراهيم العساف وتناولا تـدعيم العلاقـات الاقتصـادية، وحضـر الجانبـان اجتماعـاً للجنـة السـعودية – الايطاليـة المشـتركة الـتي هـدفت الى تعزيـز حركـة الاستثمارات بين البلدين[59].

---

[52] وكالة الأنباء السعودية،" رئيس وزراء ايطاليا يلتقي رجال الأعمال السعوديين"، متاح على الموقع: www.spa.gov.sa/report

[53] جريدة أم القرى، ع(4146)، 27 نيسان 2007.

[54] جريدة الرياض، ع(14197)، 8 أيار 2007.

[55] جريدة الرياض، ع(14378)، 5 تشرين الثاني 2007.

[56] المملكة العربية السعودية، المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الديوان الملكي، المرسوم الملكي بالموافقة على اتفاقية بين حكومة المملكة العربية السعودية وبين حكومة جمهورية ايطاليا حول التعاون الاقتصادي والتجاري والاستثماري والعلمي والتقني والبروتوكول المرفق بها، المرقم 24199/ب بتاريخ 10/29/ 1428هـ الموافق 2007/11/6م.

[57] Aliboni, op., cit.,p.39.

[58] المملكة العربية السعودية، غرفة الشرقية، العلاقات التجارية بين المملكة العربية السعودية وايطاليا، مركز المعلومات، الرياض، 2010، ص6.

[59] Pizzigall, op., cit.,p.33.

إن التطـور الاقتصـادي الـذي وصـلت إليـه كـل مـن المملكـة وايطاليا إنما جاء حصيلة ازدياد حجم الاستثمارات السعودية في ايطاليـا خـلال المـدة 2007-2009، إذ بلغـت قيمـة الاسـتثمارات السـعودية نحـو (11,8) مليـار يـورو (أي مـا يعـادل 44 مليـار ريال سعودي)، وهـي نسبة كبيرة جداً لصالح المملكة[60]. وحـول التبادل التجاري بين الجانبين، فقد استوردت المملكة العربية السعودية من ايطاليا ما قيمته (0,8%) من إجمالي ورادات الدول المستوردة من ايطاليا عام 2009، في حين بلغت قيمة الصادرات السعودية الى ايطاليـا مـا قيمتـه (0,7%) مـن إجمـالي قيمـة صـادرات الـدول الى ايطاليا، وتتنوع السلع السعودية المصدرة الى ايطاليا وهي: زيوت نفط خام ومنتجاتها، بولي ايثلين عالي ومنخفض الكثافة، وايثلين جلايكول وغيرها. في حين كانت واردات المملكة من ايطاليا السلع التالية: الحديد والصلب، الأدوية، قطع لغض صناعة الحنفيات، قطع غيار للسيارات[61].

واستكمالاً للتطور التاريخي للعلاقات الاقتصادية بين المملكة وايطاليا، فقد توجهت الى المملكة بعثة اقتصادية أخرى برئاسة وزير الخارجية الايطالي فراتيني في 5 تشـرين الثاني 2010، وهدفت تلك الزيارة الى تعزيز الحـوار الاسـتراتيجي بـين البلـدين فضلاً عـن تـدعيم مهمة رجال الأعمال والصناعيين الايطاليين في أن يأخذوا دورهم في خضـم ذلـك النشـاط، وقـد عـبر السـفير الايطـالي في الـرياض فـالنتينو سـيمونيتي (V. Simonetti) عـن سـعادته الى التطـور الـذي وصـلت اليـه تلـك العلاقـات، وأوضـح أن مهمـة البعثـة الاقتصادية الايطالية هي التركيز على تنويع

الاقتصاد وتحسين البنية التحتية للمملكة العربية السعودية ودعـم الاسـتثمارات[62]. وخـلال يـومي 6-8 تشـرين الثـاني 2010 استضاف مجلس الغرف السعودية اجتماعاً اقتصادياً للبلدين بُحث فيـه تعزيـز العلاقـات الاقتصـادية بـين البلـدين وسـبل تـدعيمها، إذ نظـم المجلس وبالتعاون مع الغرفة التجاريـة بالـرياض والشرقية، فعاليات الملتقى الاقتصادي السعودي - الايطالي بمشاركة وفد تجاري إيطالي رفيع المستوى برئاسة وزير الخارجية الايطالي فراتيني ووزير التنمية الاقتصادية الايطالي بولو روماني(P. Romani)[63]،

[60] Aliboni, op., cit.,p.40.

[61] المملكة العربية السعودية، غرفة الشرقية، المصدر السابق، ص3.

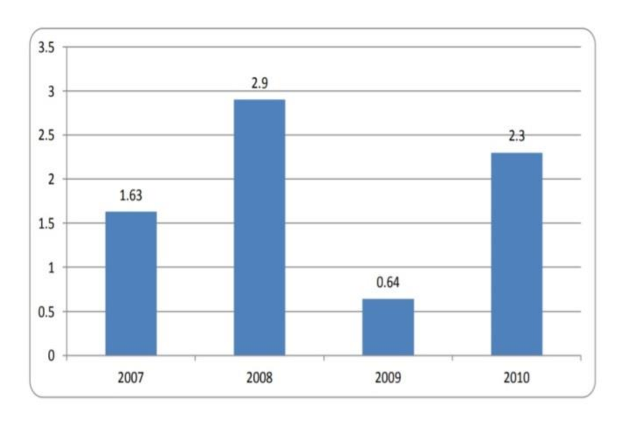
[62] جريدة الجزيرة، ع(13672)، 5 تشرين الثاني 2010.

[63] جريدة الرياض، ع(15475)، 6 تشرين الثاني 2010.

وأكد المجتمعون أن تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين سيكون له أثـر كبـير في تعزيـز العلاقـات الإسـتراتيجية بـين الاتحـاد الأوربي ومجلس التعاون الخليجي، كونهما يمثلان كتلة اقتصادية متجانسة وستسهم في تحسين الاقتصاد العالمي[64].

إن التطور الذي وصلت إليه العلاقات الاقتصادية بين المملكة وايطاليا إنما جاء انسجاماً مع توجهات الملك عبدالله الداعية الى تعزيـز الأنشـطة الاقتصـادية مـن حيـث زيادة حركـة الاسـتثمارات وتـذليل العقبـات التي تواجـه المسـتثمرين السـعوديين والايطـاليين والاسـتفادة مـن الشـركـات الايطاليـة في بنـاء المـدن الصـناعية وتسهيل عملية التبادل التجاري بين البلدين، وأهـم تلك الشركات التي لها حضور تاريخي فاعل في المملكة هي شركة إيني الايطالية الـتي كـان لهـا تـأثير واضـح في بنـاء الكثـير مـن المشـاريع الصـغيرة والمتوسطة في المملكة[65].

جدول يبين انسيابية حركة الاستثمارات الايطالية في المملكة العربية السعودية أثناء المدة (2007-2010)[66]



يتبين من الجدول أعلاه ارتفاع كبير في الاستثمارات السعودية في ايطاليا في عام 2008 قابله انخفاض بسيط في تلك الاستثمارات في عام 2010، وهو أمر يخضع للعرض والطلب على إقامة المشاريع في كلا البلدين.

[64] Aliboni, op., cit.,p.46.

[65] Mai Al-Torki," Saudi Arabia – Europe Economic Cooperation: Prospects and Potentialities", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013,p.78.

[66] المملكة العربية السعودية، مجلس الغرف السعودية، تقرير حول العلاقات الاقتصـادية السـعودية –الايطاليـة، مركـز البحـوث والمعلومـات، الـرياض، 2013، ص6.



وعلى هذا الأساس قام وزير التنمية الاقتصادية الايطالي باولو روماني بزيارة رسمية الى الرياض في21 تشرين الأول 2011، والتقى بوزير الاقتصاد والتخطيط السعودي محمد بن سليمان الجاسر، وتناول اللقاء الحديث عن تحديث البنية التحتية والاتصالات والتكنولوجيات الجديدة لإعادة إطلاق التعاون الثنائي في هذه القطاعات، وأوضح الجاسر أثناء المؤتمر الصحفي المشترك مع نظيره الايطالي في الرياض أن الاتفاق مع الايطاليين يأتي في إطار برنامج سعودي مكثف لتنويع مصادر الطاقة الكهربائية، في حين أكد روماني :"إن إيطاليا وبالنظر إلى اختصاصاتها، سوف تكون قادرة على المساهمة في تحقيق وإنتاج وتوزيع الطاقة، وسيقيم البلدان تعاوناً صناعياً في قطاع الطاقة المتجددة ومعالجة المياه وغيرها من التقنيات الحديثة[67].

عند مقارنة معدلات التجارة بين السعودية وإيطاليا خلال الفترة 2011-2005 ، يتضح أنه هناك زيادة ملحوظة في حجم الصادرات السعودية إلى إيطاليا، وتضاعفت قيمة هذه الصادرات الى أكثر من ثلاثة مرات خلال المدة 2004-2008، في حين كانت إيطاليا قادرة للحفاظ على معدل الاستحواذ (2-3%) من إجمالي الصادرات السعودية، إذ ارتفعت قيمة هذه الصادرات من (6,7) مليار ريال سعودي عام 2004 إلى (23)مليار ريال عام 2008[68]. فضلاً عن ذلك تمتعت المملكة بمعدلات عالية في النمو الاقتصادي، أي بلغت حوالي (8,5%) عام 2011، وهي بذلك تعد بيئة ممتازة لتوجه الشركات الايطالية الى السعودية وتدفق الاستثمارات فيها بما يعزز النشاط الاقتصادي بين البلدين، لكن يبدو أن الأزمة المالية التي أطاحت بالاقتصاد العالمي ومنها ايطاليا، في النصف الثاني من عام 2008 كان سلبياً أثرت على الاقتصاد الإيطالي[69]، مما أدى إلى انخفاض وارداتها من المملكة التي تراجعت إلى (9.6)مليار ريال عام 2009 م بانخفاض (58%)، على الرغم من الزيادة النسبية في الصادرات بدءاً من عام 2010 ، إذ كانت إيطاليا غير قادرة على الاستحواذ على أكثر من (1.3-2.8%) إجمالي الصادرات السعودية خلال الفترة 2009-2011، ومع ذلك تقدر قيمة الصادرات السعودية لإيطاليا بنحو (17.2)مليار ريال أثناء المدة 2002-2011[70].

---

[67] جريدة أم القرى ، ع(4383)، 11 تشرين الثاني 2011.

[68] Al-Mobty, op., cit., ,p.85.

[69] Al-Torki, op., cit.,p.70.

[70] Al-Mobty, op., cit. ,pp.85-86.

وهذا يعني أن الشركات الايطالية كانت تحرص على الاستثمار في المملكة، وكثير منها يستثمر في مجالات مهمة، إن لم يكن في أهم المجالات في الاقتصاد السعودي، وخصوصاً في الصناعة النفطية وفي صناعة البتروكيماويات، إذ تعد المملكة العربية السعودية سوقاً مهمة لتصدير السلع الصناعية من ايطاليا، في مجالات مثل الدفاع والنقل والطب والتكنولوجيا الحديثة، بينما تشكل المنتجات النفطية والمعدنية أغلب صادرات المملكة العربية السعودية لايطاليا.

جدول يبين حجم التبادل التجاري بين المملكة وايطاليا

(2015-2007)[71]

التبادل التجاري بين المملكة العربية السعودية و إيطاليا

Trade between Kingdom of Saudi Arabia and ITALY

القيمة (مليون ريال) — Value (Million SR)

السنة Year	الصادرات Export القيمة Value	الصادرات Export الترتيب Rank	الصادرات Export النسبة %	الواردات Import القيمة Value	الواردات Import الترتيب Rank	الواردات Import النسبة %	حجم التجارة Volume Of Trade القيمة Value	حجم التجارة Volume Of Trade الترتيب Rank	الميزان التجاري Balance of Trade
2007	17,239	11	2%	15,381	5	5%	32,621	10	1,858
2008	22,902	12	2%	17,288	7	4%	40,190	9	5,614
2009	9,653	17	1%	13,250	7	4%	22,903	12	-3,597
2010	15,529	13	2%	12,682	10	3%	28,211	12	2,847
2011	38,611	8	3%	17,290	8	4%	55,901	8	21,321
2012	39,326	8	3%	17,484	9	3%	56,810	9	21,841
2013	34,115	10	2%	20,374	8	3%	54,489	8	13,741
2014	25,560	12	2%	21,929	9	3%	47,489	11	3,631
2015	12,520	16	2%	19,835	9	3%	32,355	9	-7,315
2016	10,375	17	2%	17,339	9	3%	27,714	10	-6,964

من خلال النظر الى الجدول أعلاه فأنه غالباً ما يميل الميزان التجاري بين المملكة العربية السعودية وإيطاليا لصالح المملكة بمتوسط فائض سنوي قدره (6)مليارات ريال سعودي بين الأعوام 2005-2012، مثلت خلالها الصادرات السعودية (61%) من إجمالي التبادل التجاري بين البلدين، ذلك أن(28%) من هذه الصادرات كانت على شكل منتوجات نفطية، لأن الاقتصاد الإيطالي يعتمد بشكل كبير على الطاقة من المملكة العربية السعودية، فضلاً عن ذلك أن نسبة أخرى مماثلة تمثلها المنتجات البتروكيماوية الأساسية، وهي مهمة أيضاً للاقتصاد الإيطالي[72].

استمر مجلس الغرف السعودية في العمل على تنظيم زيارات متبادلة لوفود تجارية رفيعة المستوى الى مدينتي روما

---

[71] المملكة العربية السعودية، الهيئة العامة للإحصاء، التبادل التجاري بين المملكة وشركائها التجاريين الرئيسيين، الرياض، 2016، ص108.

[72] Al-Mobty, op., cit. ,p.86.





وميلانو الايطاليتين، فقد قام المجلس أثناء المدة (24-26) كانون الثاني 2012، تنظيم زيارة وفد تجاري سعودي مكون من (30) شخصاً من كبار رجال الأعمال السعوديين يمثلون مجلس الأعمال السعودي الإيطالي لمدينة ميلانو الإيطالية وذلك لبحث وتعزيز التعاون الاقتصادي والاستثماري ولتنشيط التبادلات التجارية والتعاون الاقتصادي بين رجال الأعمال السعوديين ونظرائهم الإيطاليين ودعم أواصر التعاون بينهما لخدمة العلاقات والمصالح المشتركة والتعرف على الفرص الاستثمارية المتاحة بالدولتين وأوجه التعاون والتبادل التجاري في مختلف المجالات والقطاعات تشمل النفط والغاز والهندسة والمقاولات[73]. وكشف السفير السعودي في روما صالح الغامدي في تصريح له بتاريخ 24 أيار 2012 عن أن حجم التبادل التجاري بين المملكة وإيطاليا يتجاوز (40) مليار ريال سعودي وأن سبب ذلك يعود الى نشاط مجلس الأعمال السعودي – الايطالي ودوره في تنشيط حركة التبادل التجاري بين البلدين[74].

وفي المقابل أوضح السفير الايطالي الجديد في الرياض ماريو بوفو (M. Povoi) في تصريح له بتاريخ 25 أيلول 2013 أنه من مصلحة البلدين أن تساهم شركات بلاده الكبرى في مشاريع التنمية السعودية، والعمل بشكل جماعي مع الشركات الصناعية الإيطالية جنباً إلى جنب مع الشركات السعودية الكبرى لتسهيل التواصل والتفاهم بينهما، وبالتالي تقديم الضمانات من الحكومة الإيطالية للجانب السعودي لعمل تلك المشاريع، وأضاف أن حكومته تقوم بإبلاغ الوسط الصناعي في إيطاليا بما يستجد في المملكة من عروض بشكل مستمر، والهدف الأساسي هو إثارة اهتمام الشركات الإيطالية في العمل بالمملكة، والأمر نفسه مع الجانب السعودي، داعياً الى دعم دور مجلس الأعمال السعودي – الإيطالي في أن يأخذ مكانه في تنشيط عمل تلك الشركات[75].

وفي الإطار ذاته تم التوقيع في 31 تشرين الأول 2013 على مذكرة تفاهم بين الهيئة العامة للاستثمار السعودية ومؤسسة تشجيع وتحويل الاستثمارات الإيطالية الخارجية(SEMST)، لإنشاء شركة سعودية - إيطالية قابضة يكون مقرها الرياض وبرأس مال قدره (10) ملايين دولار مقسمة بين الشركاء السعوديين والإيطاليين، وتعمل الشركة القابضة على جذب الفرص الاستثمارية الإيطالية واستثمارها مع شركاء سعوديين في المملكة وينبثق عن الشركة العديد من الشركات المشتركة بين البلدين للاستثمار في جميع مجلات الاستثمار المتاحة في المملكة [76].

وعلى أثر التطور المتنامي للعلاقات الاقتصادية السعودية الايطالية أثناء المدة (2012-2013)، ازداد حجم التبادل التجاري بين المملكة وإيطاليا، الذي بلغ حوالي (14.9) مليار دولار أمريكي (أي ما يعادل 51 مليار ريال سعودي)، والذي كانت نتائجه واضحة في زيادة النمو في الإرباح لكلا البلدين، ومع ذلك يرى البلدان أنه هناك حاجة إلى تعزيز الاستثمار الثنائي، خاصة مع الأخذ في نظر الاعتبار عدد الشركات السعودية - الإيطالية المرخصة في إقامة المشاريع التي مقرها في المملكة العربية السعودية وهي(97) فقط، برأسمال إجمالي حوالي (2.9)مليار دولار، وحصة إيطاليا منها حوالي (15%) فقط، وهو يعد أمراً مهماً لتعزيز التعاون الاقتصادي السعودي الإيطالي في المستقبل[77].

وفي مطلع شهر آذار عام 2014 شهد التبادل التجاري بين البلدين ازدياداً واضحاً، إذ استوردت السعودية من إيطاليا ما قيمته (17.5) مليار ريال أي (4.7 مليار دولار) في نهاية عام 2013، لتكون إيطاليا بذلك تاسع أكبر مصدر إلى السعودية بين دول العالم، وشكلت واردات السعودية من إيطاليا (3%) من إجمالي واردات المملكة في مطلع عام 2014، والبالغة (583.5) مليار ريال، وبلغ حجم الاستثمارات الإيطالية في السعودية نحو (11)مليار ريال أي ما يقارب (2.9) مليار دولار، وتعمل في السعودية نحو 80 شركة إيطالية في المجالات والنشاطات الاقتصادية كافة[78]. وفي 2 آذار 2014 عقد مجلس الأعمال السعودي – الايطالي اجتماعاً له بحضور رئيس لجنة الشؤون الخارجية باتحاد الصناعات الايطالية باولو زيقنا (P. Zighna)، وتم مناقشة حركة الاستثمارات في البلدين، وأكد زيقنا أن حكومته منحت تسهيلات كبيرة للمستثمرين السعوديين وأنه يجب على هؤلاء المستثمرين أن يعرفوا الفرق بين الاستثمار في ايطاليا وغيرها من الدول الأوربية وأن هناك ميزات تنافسية تقدمها الشركات الايطالية للمستثمرين السعوديين، وفي المقابل أكد رئيس مجلس الغرف السعودية عبدالله المبطي أن المملكة تقدر

---

(73) وكالة الأنباء السعودية،" المملكة وايطاليا...ثمانون عاماً من العلاقات المتميزة"، على الموقع: www.spa.gov.sa/report

(74) جريدة الجزيرة، ع(14483)، 24 أيار 2012.

(75) جريدة الجزيرة، ع(14872)، 25 أيلول 2013.

(76) جريدة الرياض، ع(15342) 31 تشرين الأول 2013.

(77) Al–Mobty, op., cit.,p.89.

(78) المملكة العربية السعودية، الهيئة العامة للإحصاء، المصدر السابق، ص110.



الدور الاقتصادي الذي تقوم به الشركات الايطالية، مشيراً الى أن ايطاليا تعد البيئة المناسبة للاستثمارات السعودية وأنها تعد الشريك التجاري الأول للمملكة على المستوى الأوربي[79].

وفي الإطار ذاته، عقد مجلس الوزراء السعودي برئاسة ولي العهد الأمير سلمان بن عبدالعزيز جلسته في 19 أيار 2014، وناقش عدداً من الملفات أهمها العلاقات الاقتصادية بين المملكة والدول الأوربية، وقد عبر المجلس عن دعم المملكة الكامل لتنشيط التبادل التجاري مع الاتحاد الأوربي بشكل عام وايطاليا على وجه الخصوص، وهو ما رحبت الحكومة الايطالية، التي أعلنت عن رغبتها في الإسراع في إبرام اتفاقية للتعاون الاقتصادي بين مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي، بما يتوافق مع تطلعات البلدين منذ سنوات عدة[80].

وأثناء اللقاء الذي جمع السفير الايطالي في الرياض ماريو بوفو برئيس غرفة الشرقية عبدالرحمن العطيشان في مدينة جدة بتاريخ 16 تشرين الثاني 2014، أكد السفير الايطالي أن البيئة الاستثمارية في المملكة محفزة، فضلاً عن توافر الاستقرار المالي والاقتصادي وتوسع الإنفاق الحكومي في قطاعات البنية التحتية مثل التعليم والنقل والمواصلات والصحة لافتاً الى ضرورة تكثيف تبادل الوفود التجارية وذلك بهدف إيجاد آليات مشتركة لتعزيز تدفقات التجارة والاستثمارات بين البلدين[81]، مبيناً أن حجم التبادل التجاري بين المملكة وإيطاليا بلغ نحو (8,4) مليار يورو (أي ما يعادل 36 مليار ريال سعودي) نهاية عام 2014، كما حقق الميزان التجاري بين البلدين فائضاً لصالح المملكة يقدر بحوالي (13.7)مليار ريال سعودي خلال عام 2014، وأضاف السفير الايطالي أن الصادرات الايطالية تجاوزت (5) مليارات يورو (أي ما يعادل 21 مليار سعودي)، وبنسبة قدرها (6,6%) مقارنة بعام 2013، في حين بلغت الصادرات السعودية الى ايطاليا والتي أغلبها من المنتوجات النفطية، حوالي (3,3) مليار يورو، (أي ما يعادل 15 مليار ريال سعودي)[82].

إن التطور المهم الذي شهدته العلاقات الاقتصادية بين البلدين مؤخراً إنما جاء حصيلة الجهود التي بذلتها الشركات السعودية والايطالية العاملة في مجال التجارة وقطاع الأعمال، فضلاً عن دور مجلس الأعمال السعودي – الايطالي ومجلس الغرف السعودية، التي ساهمت هي الأخرى في تنشيط حركة الاستثمارات وتطوير التعاون الاستراتيجي بين الجانبين.

العلاقات الثقافية:

تحتل العلاقات الثقافية بين المملكة وايطاليا أهمية كبيرة الى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية، عكستها جهود البلدين في التبادل العلمي والثقافي، إذ التحق العديد من الطلاب السعوديين بالجامعات الإيطالية يواصلون دراستهم في إيطاليا جنبا إلى جنب مع العديد من المعلمين والباحثين السعوديين الذين يحضرون المؤتمرات والندوات في إيطاليا[83]. وبموجب اتفاقية بين الحكومتين الإيطالية والسعودية أبرمت في عام 1973، يضع الجانب الإيطالي كل عام تحت تصرف المملكة العربية السعودية برنامجاً للمنح الدراسية الحكومية ويوفر محاضرين لتعليم اللغة الإيطالية في عدد من المدن السعودية بالإضافة لمخصصات مالية تستخدم في تحديث مهارات مدرّسي اللغة الإيطالية وتدريبهم وفي شراء المواد التعليمية اللازمة[84]. وأثناء زيارة وزير الخارجية سعود الفيصل لروما في 26 تموز 2006، تم عقد عدد من الاتفاقيات تركزت حول التعاون العلمي بين البلدين من خلال مشاركة باحثين من المملكة العربية السعودية في أنشطة مركز "عبد السلام" الدولي للفيزياء النظرية في مدينة تريستى الإيطالية، ومشاركة أطباء وباحثين سعوديين في برامج الأبحاث الطبية المقامة في ايطاليا، بينما يشارك خبراء سعوديون في قطاع النفط والغاز في برامج تديرها بشكل رئيسي شركة ايني الايطالية وفروعها في مجال الابتكارات التقنية المتطورة في مجال النفط والمشتقات البتروكيماوية، فضلاً عن ذلك قامت مدينه الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية(KACST)

---

(79) جريدة الرياض، ع(16689)، 4 آذار 2014.

(80) جريدة أم القرى، ع(4515)، 23 أيار 2014.

(81) جريدة الرياض، ع(16947)، 17 تشرين الثاني 2014.

(82) الغرف التجارية العربية الايطالية المشتركة، منتدى الأعمال السعودي-الايطالي، "التطور الاقتصادي للعلاقات السعودية –الايطالية 2014-2015"، متاح على الموقع: www.jiac.it/ar/2014

(83) Faysal Bin Abdul Rahman Bin Muammar," Saudi–Italian Relations. A History of Political and Cultural Cooperation", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013 ,p.122.

(84) سفارة الجمهورية الايطالية في الرياض، " التعاون الثقافي بين ايطاليا والمملكة"، متاح على الموقع: www.ambriad.esteri.it/ambasciata_riad



بإجراء اتصالات مع المركز الإيطالي لبحوث الفضاء (CIRA) ووكالة الفضاء الإيطالية(ASI) للتعاون في المجالات ذات الاهتمام المشترك في تطبيقات الأقمار الصناعية[85].

وحول هذا التطور أشاد السفير السعودي في روما محمد بن ابراهيم الجارالله بالدور الريادي لمدرسة الملك عبد العزيز السعودية في روما وقال: "تمثل مدرسة الملك عبد العزيز السعودية بروما[86] فرصة هامة للمواطنين السعوديين المقيمين في إيطاليا لتعليم أبنائهم وبناتهم وفق المناهج السعودية وباللغة العربية - إلى جانب اللغتين الإنكليزية والإيطالية طبعاً - وبدون رسوم، كما يستفيد منها أبناء الجاليات العربية والإسلامية برسوم رمزية". وأضاف أن العلاقات بين البلدين في المجال العلمي أخذت في النمو، إذ أكد أن الطلبة المبتعثين السعوديين يواصلون دراستهم في مختلف التخصصات العلمية في إيطاليا، فضلاً عن عدد من الأساتذة والباحثين السعوديين الزائرين لبعض الجامعات الايطالية، ويوجد عدد من الأساتذة الإيطاليين يعملون في الجامعات السعودية، خصوصاً في مجال تدريس اللغة الإيطالية، وأضاف ان التعاون مع روما يقتصر على مشاركة أعداد من السعوديين في الدورات التدريبية التي تعقد فيها[87]. وأكد السفير السعودي في روما أنه يوجد في ايطاليا (53) طالباً سعودياً في مختلف الاختصاصات، منهم (23) طالباً في اختصاص الطب ضمن برنامج الملك عبدالله للابتعاث الخارجي[88].

وفي 6 تشرين الثاني 2007 قام الملك عبدالله في أول زيارة تاريخية لمسؤول سعودي الى الفاتيكان، إذ التقى بالبابا بنديكتوس السادس عشر(Benedict XVI) وتم تسليط الضوء على الأهمية التي يعلقها كلاهما على: "الثقافات المتعددة" والحوار بين الأديان من أجل تعزيز السلام والعدالة والقيم الروحية والأخلاقية". ويعد الملك عبدالله من أشد المؤيدين للحوار بين الأديان بعد الاجتماع في الفاتيكان، وقد أعاد الملك عبد الله إطلاق مشروعه الذي تم رعايته منذ فترة طويلة إنشاء مركز دولي لتعزيز السلام والتفاهم المتبادل في الشؤون الثقافية والدينية [89].

وأعلنت الحكومة الايطالية أن رؤى وأفكار الملك عبدالله بعد زيارته للفاتيكان إنما أعادت الاهتمام المتزايد في التواصل بين الحضارات وفتح قنوات جديدة لها للحوار الذي من المؤمل أن يلعب دوراً بارزاً في مكافحة الصراع بين الحضارات بكل تداعياتها الإيجابية المتوقعة وتأثيرها على تحسين التعاون العربي والأوروبي على كافة المستويات[90]. وأكد السفير السعودي في روما أنه لكل من مدرسة الملك عبد العزيز السعودية والمركز الإسلامي الثقافي في روما[91] دوراً هاماً في نشر الثقافة العربية والإسلامية ومد جسور التعاون في المجال الثقافي بين الشعب الإيطالي والجاليات العربية والإسلامية[92].

ولتدعيم التعاون الثقافي بين البلدين، تم التوقيع في 25 أيار 2010 على اتفاقية بين مؤسسة تراث ممثلة بالأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار ورئيس مؤسسة تراث من جهة وجامعة باري للتقنية والتدريب المهني في إيطاليا من جهة ثانية، وتهدف هذه الاتفاقية إلى التعاون في مجالات التراث العمراني بما يشمل البحوث المتعلقة بالعمران السكني والغير السكني والهندسة الإنشائية المتوافقة مع البيئة والتعريف بالتراث وزيادة الوعي بأهميته والتعاون في مجال البحوث ذات الصلة[93].

وفي ذات الإطار طرح الملك عبدالله مبادرة حول الحوار بين الطوائف والأديان، وتوجت في إنشاء مركز عبدالله بن عبد العزيز الدولي للأديان والثقافات (KAICIID)، الذي تم التوقيع عليه في

---

(85) وكالة الأنباء السعودية، "مجالات التعاون العلمي والثقافي بين المملكة وايطاليا"، متاح على الموقع: www.spa.gov.sa/report

(86) تأسست مدرسة الملك عبدالعزيز السعودية في روما في أيلول عام 2002 في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز لتسهيل مهمة الطلاب السعوديين فضلاً عن تعزيز العلاقات الثقافية بين المملكة وايطاليا. ينظر: جريدة الرياض، 22 أيلول 2002.

(87) جريدة الرياض، ع(14197)، 8 أيار 2007.

(88) جريدة الجزيرة، ع(14483)، 24 أيار 2012.

(89) جريدة أم القرى، ع(4174)، 9 تشرين الثاني 2007.

(90) Muammar, op., cit. ,p.126.

(91) أنشأ المركز الإسلامي في روما عام 1984 ووضع حجر الأساس له الملك فهد بن عبدالعزيز وتم افتتاحه رسمياً عام 1995 من قبل الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض وبحضور الرئيس الايطالي اوسكار سكالفارو، وبُني على مساحة بلغت 30 ألف م2 تبرعت بها بلدية روما لتخدم الجالية الإسلامية التي يبلغ تعدادها نحو مليون مسلم. ينظر: وكالة الأنباء السعودية،" المملكة وايطاليا...ثمانون عاماً من العلاقات المتميزة"، على الموقع: www.spa.gov.sa/report

(92) جريدة الرياض، ع(14197)، 8 أيار 2007.

(93) جريدة أم القرى، ع(4308)، 4 حزيران 2010.



13 تشرين الأول 2011 في فيينا عاصمة دولة النمسا، وبحضور ممثل عن الفاتيكان، ويهدف هذا المركز الى استخدام لغة الحوار بدلاً من العنف لأن الحوار هو لغة الحضارات، وإنها أفضل وسيلة لحل المشاكل وتجنب الدمار الذي هو نتيجة للعنف، ويكون استخدام الحوار ليس من أجل المصالح المشتركة ولكن من أجل السلام والاستقرار العالميين أيضاً[94]. وقد عبرت الحكومة الايطالية عن ترحيبها الكامل بهذه المبادرة وعدّتها وسيلة أساسية لتدعيم التعايش بين الأديان والمجتمعات مما ينعكس بشكل ايجابي في تعزيز الروابط بين الأديان والطوائف، وترى المملكة العربية السعودية أن ايطاليا كانت دوماً ايجابية في التعاطي مع الكثير من قضايا المنطقة واهما القضية الفلسطينية، لذا فأن التعاون والتنسيق بين المملكة العربية السعودية وإيطاليا من خلال البرلمان الإيطالي والشورى السعودي سيضيف إلى الجهود الدولية الكثير لضمان الأمن والاستقرار للمجتمع الدولي[95]، وأعربت الحكومة الايطالية عن دعمها الكامل لذلك المركز[96].

وفي إطار تطور العلاقات الثقافية ولأجل تدعيمها بين المملكة وايطاليا، فقد قام الرئيس الايطالي جورجيو نابوليتانو، وبرفقته وزير الداخلية الايطالي أندريا ريكاردي (A. Riccardi) ووزير التعاون الدولي في الحكومة الايطالية ماريو مونتي (M. Monti)، بزيارة رسمية للمركز الثقافي الإسلامي في روما في 23 نيسان 2012، وقد أعرب السفير السعودي في روما صالح محمد الغامدي عن شكره العميق وامتنانه للزيارة المهمة والاعتبار والاهتمام الذي يتمتع به المسلمون في إيطاليا، مشيداً في تنامي التنسيق والتعاون بين المركز الإسلامي والمراكز الثقافية الإيطالية من أجل تعزيز ثقافة التماسك والتعايش بين المسلمين وغيرهم، فيما أكد الرئيس الايطالي أن وجود هذا المركز في ايطاليا هو نتيجة فعالة للتطور التاريخي الذي تميزت به العلاقات بين إيطاليا والمملكة العربية السعودية منذ عام 1932[97]. وفي نهاية الزيارة أكد جورجيو أن التعاون السياسي والثقافي بين المملكة العربية السعودية وإيطاليا سيكون أبلغ الاثر في أن تأخذ المملكة وايطاليا دورهما الريادي في التنسيق المشترك في حل الكثير من المشاكل التي تواجه العالم وأهمها الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي[98].

وكون ايطاليا جزءاً مهماً من الاتحاد الأوربي، وهي تدرك أن التعاون السياسي والثقافي مع المملكة العربية السعودية، التي هي جزء من مجلس التعاون الخليجي، سيكون له تأثير ايجابي في مسألة الحوار العربي الأوربي، بهدف تكوين روابط جديدة وبالتالي تعزيز التواصل الثنائي وتعزيز السياحة الثقافية كونها فرصة اقتصادية وفعالية في تعزيز التنمية البشرية وهو أمر لم تتجاهله كل من ايطاليا والمملكة[99].

ومن جانب آخر، انطلقت أعمال المنتدى السعودي - الإيطالي في روما في شباط عام 2012، وذلك بمناسبة مرور (80) عاماً على تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وايطاليا، وقد تخللها العديد من الأنشطة والفعاليات، وقد أوضح السفير الايطالي في الرياض ماريو بوفو(M. Povoi)، ان الوفد السعودي الزائر لروما ضم أربعة وزراء، يترأسهم الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، الذي أجرى مباحثات مع رئيس الجمهورية الإيطالي ومع رئيس الوزراء ومع وزير الخارجية، كما كان من بين الزائرين الأمير سلطان بن سلمان رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار، الذي التقى بوزير الثقافة الإيطالي، إذ ناقشا العديد من المواضيع المتعلقة بالآثار والمتاحف ومجال الترميم الأثري والتدريب، وقد افتتح الأمير سلطان معرض روائع الآثار في أحد أهم متاحف روما، وأوضح السفير الايطالي أنه تم الاتفاق العمل على إقامة المتاحف في كلا البلدين[100].

ولتدعيم التعاون الثقافي بين البلدين، عقد مجلس الوزراء السعودي جلسته في 8 أيلول 2014 برئاسة ولي العهد الأمير سلمان، وقد خول المجلس رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار بالتباحث مع الجانب الايطالي في إعداد مشروع مذكرة للتعاون في مجال الآثار والمتاحف والتراث العمراني بين الهيئة العامة للسياحة السعودية وبين بلدية روما لغرض تعزيز التعاون بين البلدين في مجال الحفاظ على التراث العمراني والمتاحف[101].

الخلاصة

[94] المملكة العربية السعودية، المركز الوطني للوثائق والمحفوظات، الديوان الملكي، المرسوم الملكي بالموافقة على اتفاقية تأسيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في فيينا، المرقم 29349/ بتاريخ 1433/6/16هـ الموافق 2010/10/13.

[95] Al-Kathiri, op., cit.,p.112.

[96] Muammar, op., cit., ,p.123.

[97] جريدة الرياض، ع(16011)، 25 نيسان 2012.

[98] Aliboni, op., cit.,p.47.

[99] Elena Maestri, "Opportunities for Italian-Saudi Relations in the Post-Arab Spring Environment", Institute Affairs International, NO.(XXI), 2013,p.64.

[100] جريدة الجزيرة، ع(14872)، 25 أيلول 2013.

[101] جريدة أم القرى، ع(4531)، 12 أيلول 2014.





خلُصَ البحث الى جملة معطيات وهي:

1. تعـد إيطاليـا، المملكـة العربيـة السـعودية بأنهـا دولـة فاعلـة أساسية في المحافظة علـى السلام وتحقيق الاستقرار النهائي للشرق الأوسـط، وفي المقابـل تعـد المملكـة العربيـة السـعودية إيطاليـا شريكـا موثوقـاً بـه ويمكـن الاعتمـاد عليـه للعـب دور فعال وهي بمثابة الجسر عبر البحر الأبيض المتوسـط بـين أوروبا والدول العربية.
2. لقد مثلت ايطاليا محطة أساسية في العلاقات السعودية – الأوربيــة المعاصــرة، فايطاليــا لا تحتــل الصــدارة في ترتيــب الشراكة التجاريـة السـعودية مـع أوربا فحسـب وإنمـا تُعـد في مقدمة الدول التي ترتبط بعلاقات تاريخيـة وثيقـة مـع المملكـة في ظـل تقـارب الـرؤى والمواقـف الدبلوماسـية تجـاه القضـايا العالمية المختلفة.
3. لقد أدى كلٌ من مجلس الشورى السعودي والبرلمان الإيطالي دوراً مهماً في تعزيز العلاقات الثنائية وتدعيم الصداقة
4. البرلمانية السـعودية – الإيطاليـة التي انعكسـت بشـكل ايجابي على العلاقات الإستراتيجية بين البلدين.
5. سـعى البلـدان نحـو تعزيز الشراكة الاقتصـادية مـن خلال تبـني رؤىً تهـدف إلى تطـوير وصيانة علاقـات الصـداقة بـين البلـدين القائمـة علـى التفاهم والتعـاون الثنـائي، وتنسيق المواقـف إزاء الكثير من المشاكل العالمية سواء السياسية أو الاقتصادية.

في ضوء العلاقـات التاريخيـة بـين المملكـة العربيـة السـعودية وإيطاليـا، سـعى كـلا البلـدين للحفـاظ عـلى تعزيزهـا داخـل الأطـر السياسية والاقتصادية والثقافيـة. ومـن ثـم فإنه يمكـن أن تتأهـل العلاقات بين إيطاليا والمملكة العربية السعودية كعلاقات تاريخيـة جيـدة، خاصـة وأن التعـاون لا يقتصـر فقـط عـلى الأمـور السياسـية والاقتصادية فحسب ولكـن يشمل أيضا الثقافة والحضارة والحوار، خاصة من خلال المبادرة الدولية للملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار بين الأديان والثقافات.







العقيدة - المعتقد: النّشأة والتحوّل في الحقل السّياسي الدّيني

عاطف عبد الستار

دكتور وباحث في التّراث الإسلامي من تونس

ملخص البحث:

مثّلت العقيدة الإسلاميّة عاملا أساسيّا في قيام الحضارة الإسلاميّة، وبعدا روحيّا وفكريّا مركزيّا تفاعل إيجابيّا مع جميع المُعطيات الّتي طرحتها حركة التوسّع في مشارق الأرض ومغاربها، فهي سبب وحدة الأمّة وعلّة تفرّقها، وهي بمثابة القاسم المُشترك بين جميع الأجناس والعرقيّات الّتي اعتنقت الإسلام وحافظت على بعض عاداتها وأعرافها الّتي لا تتعارض في جوهرها مع مبادئ الدّين الجديد، وبهذا المعنى كانت العقيدة الإسلاميّة القوّة الدّافعة المكوّنة للحضارة والمحرّكة لطاقاتها وهي المبدأ الأساسي والخاصيّة الحضاريّة ذات الأثر الواضح والعميق الّتي طبعت كلّ مُنجزات الحضارة الإسلاميّة بطابع خاصّ وفريد.

Summary:

The Islamic faith represented a key factor in the establishment of Islamic civilization, and a central spiritual and intellectual dimension that interacted positively with all the data put forward by the expansion movement in the east and west of the earth, as it is the reason for the unity of the nation and the reason for its division, and it serves as a common denominator between all races and ethnicities that embraced Islam and maintained some of its customs and customs that do not conflict in essence with the principles of the new religion, and in this sense the Islamic faith was the driving force that formed civilization and moved its energies, which is the basic principle and civilizational characteristic. The same clear and profound impact that marked all the achievements of Islamic civilization with a special and unique character.

المقدّمة:

يُشكّل المعتقد الدّيني بالنّسبة للإنسان محورا جوهريّا من محاور استيعاب ذهنيّته وأساليب تفكيره للتّشابك المفصلي الّذي يُقيمه أو يتصوّره عن العالم العلوي والسّفلي وتأثير المقدّس في صياغته وتدبيره، فتتحوّل حياته عبارة عن ممرّ ضيّق وقصير لحياة أبديّة سرمديّة يُذعن خلالها لتلك الشّبكة المعقّدة من الطّقوس والشّعائر اليوميّة والموسميّة المرتبطة بالعالمين العلوي والسّفلي، إذ أنّ المسافة الفاصلة بينهما تشكّل الميدان الواقعي والفعلي لتلك الممارسات الّتي تأخذ جلّ تفكير الإنسان فيُوظّف لها مجمل مجهوداته العقليّة والروحيّة، وتبدأ إسقاطات ذلك على مُختلف مناحي الحياة من أدب وفنّ ومعمار واهتمامات أخرى تُراوده وتجعل منه مُنقادا طوعيّا لها.[1]

فالبحث في المُعتقد الدّيني للإنسان عموما يُمثّل من وجهته الأخرى بحثا في الفواعل الأساسيّة الّتي أسهمت في تكوين ملامح شخصيّته عبر وسيلة استيعاب ظاهرة التديّن والمعتقد، وقد تعدّدت في هذا الإطار المناهج الّتي يتمّ فيها التّعاطي مع دراسة العقيدة والمعتقد، فمنها من أخذ منحى اجتماعيّا محاولا توظيف منجزات العلوم الاجتماعيّة في البحث والتقفّي،[2] ومنها من يتناول الموضوع على أسس عقائديّة، وهذا ما تُعنى به في الغالب الدّراسات اللّاهوتيّة..

وفي كلّ الحالات يُعدّ الإمساك بجهاز المُصطلحات كما هو معلوم، مدخلا أساسيّا لتناول الموضوع عن دراية ووعي بجميع الدّلالات والبُنى المعرفيّة الّتي تتفاعل فيها المفاهيم والتصوّرات،

1- [1] سامي سعيد الأحمد، **المُعتقدات الدّينيّة في العراق القديم**، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت 2013، ص 5.

[2] سابينو أكوافيفا– إنزو باتستي، **علم الإجتماع الدّيني الإشكالات والسّياقات**، ترجمة عزّ الدّين عناية، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث، كلمة 2011/ بول كلافال، **الدّين والإيديولوجيا آفاق جغرافيّة**، ترجمة فرج عوني، منشورات جامعة السّوربون، باريس 2010. وانظر أيضا:

William James, *The Varieties of religous* Experience, Modern Library, New York / Max Muller, *Introduction To The Science of Religion* / Emile Durkheim, *The Elementary Of Religous* Life….





والتعرّف على الإمكانيّات التداوليّة لكلّ منها قصد تحديدها بقدر كبير من الدقّة للمضيّ في البحث والتطرّق للإشكاليّات المطروحة في أمن من التخبّط غير الواعي في المُزايدات اللّفظيّة وسوء الفهم، وطالما أنّ كلّ ظاهرة معقّدة حسب رأي عزّ الدّين عناية، يُمكن اختزالها وتقليصها إلى بنية أساسيّة جوهريّة، بالغا ما بلغ أمرها، وهي بنية الحدّ الأدنى الّتي تقودنا دراستها إلى ماهية الظّاهرة ومعناها، فإنّه في مجال الدّين وهو أعقد الظّواهر المرتبطة بالإنسان طرّا، يُمكننا أن نجد بنية الحدّ الأدنى في المعتقد،[3] لذلك لا يسعنا هاهُنا إلاّ أن نتطرّق إلى تحديد ماهية العقيدة والمعتقد والاعتقاد.

1- في اصطلاح العقيدة وتعدّد مدلولاتها:

أ) ماهية العقيدة والاعتقاد:

جاءت العقيدة في اللّغة على "وزن "فعيلة" بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى: مقتولة، وفريضة بمعنى: مفروضة، وطبيعة بمعنى: مطبوعة، فهنا عقيدة بمعنى شيء معتقَد؛ أي: إنّ عقيدةً بمعنى معقودة، وأصل كلمة العقيدة مِن العَقْدِ؛ وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتوثُّقُ، والشَدُّ بقوّة، والتماسُك، والمراصّةُ، واليقين والجزم. وأصل العَقْد نقيض الحلّ، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم".[4]

وقد مرّت كلمة العقيدة بثلاث مراحل حسب ما جاء في لوامع الأنوار السنيّة، فأمّا المرحلة الأولى، فهي دور الموسوعيّة في المعنى والاختصاص، **"وهو المعنى اللّغوي، فهي في اللّغة تُطلق ويُراد بها: العزم المؤكّد، الجمع، النيّة، التّوثيق للعقود ثمّ ما يدين به الإنسان سواء كان حقّا أو باطلا"**..

وأمّا المرحلة الّتي تليها فتتمثّل في "دور الفعل القلبي، وفيه تبرز العقيدة كمعنى يقوم بقلب العبد، وهو أخصّ من المرحلة قبله، ويعبّر عنه بالمعنى المصدري وهو بهذا الإعتبار: «الإيمان الّذي لا يحتمل النّقيض»"،[5] وهو في هذه الحالة يُعتبر معنى شرعيّا، فالإيمان يعني التّصديق، وقوله «لا يحتمل النّقيض » أي أنّ القلب لا يحمل سواه ولا يجوز إمكان فرض آخر غير المُؤمن به، وهو بذلك يُخرج كلّ فرض قدر له نقيض كالشكّ والظنّ والوهم والجهل والخطأ والنّسيان.

وهذا المعنى هو الّذي كان سائدا خلال العصور الثّلاثة الأولى للبعثة تقريبا، وأمّا المرحلة الثّالثة والأخيرة، فهي **"الدّور الّذي نجحت فيه العقيدة، وأصبحت علما ولقبا على قضايا معيّنة، وهو دور الاستقرار"**،[6] ويقصد بذلك اتّفاق العلماء على تعريف موحّد للعقيدة. ويقال: عَقَده يعقِده عَقْدًا، ومنه عُقْدَة اليمين والنّكاح؛ قال تعالى :﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ**﴾ [المائدة: 89]، وكلّ ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازمًا به - سواءٌ أكان حقًّا أَم باطلاً - فهو عقيدة.[7]

والمعتقد: مصدر ميمي، بمعنى الاعتقاد؛ أي: ما يَعتقِده الإنسان. والعقيدة: **"الحكم الذي لا يُقبَل الشكّ فيه لدى معتقِده"**،[8] فهي إذا أمور وقضايا ثابتة في العقول راسخة في القلوب لا تقبَل الجدال ولا المناقشة، وقد قال ابن فارس في مُعجم مقاييس اللّغة **"عَقَدَ: العين والقاف والدّال أصل واحد يدلّ على شدّ وشدّة وتوق، وإليه تُرجعُ فروع الباب كلّها. من ذلك: عقد البناء، والجمع أعقاد وعُقود.. وعقدت الحبل أعقده عقدا، وقد انعقد، وتلك هي العُقدة.. وعاقدته، مثل عاهدته، وهو العقد والجمع عُقود اليمين، ومنه قول الله تعالى (أَوْفُوا بالعُقُود)** [المائدة: 1].[9]

وقال الفيّومي في المصباح المُنير "اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضّمير، حتّى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به. وله عقيدة حسنة: سالمة من الشكّ"،[10] كما جاء تعريف العقيدة والاعتقاد في المعجم الوسيط على النّحو التّالي "العقيدة: الحكم الّذي لا يقبل

---

[3]. سابينو أكوافيفا– إنزو باتستي، نفسه، ص111.

[4] . الزّبيدي (السيّد محمّد مرتضى)، **قاموس تاج العروس من جواهر القاموس**، الجزء 21، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت 1984، مادّة عَقَدَ.

[5]. محمّد السفاريني الحنبلي، **لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة**، المكتب الإسلامي، دار الخاني 1991.

[6]. نفسه، ج1، ص ص 147-150.

[7] . ابن منظور، **لسان العرب**، والفيروزابادي في **القاموس المحيط**، مادّة عَقَدَ.

[8] ـ الدّكتور سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي**، دار الفكر دمشق سورية 1988، ص 256، مادّة عَقَدَ.

[9]. أحمد بن فارس بن زكريّاء أبو الحسن، **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر 1979، ص 68. 87.

[10]. أحمد بن محمّد بن عليّ الفيّومي المقري، المصباح المنير، مكتبة لبنان 1987، ج2، ص 421.



الشكّ فيه لدى مُعتقده، والعقيدة في الدّين: ما يُقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرّسل، والجمع: عقائد".[11]

وجاء في نفس السّياق تعريف لوامع الأنوار السنيّة أنّ العقيدة هي "العلم بالأحكام الشّرعيّة العقديّة المُكتسب من الأدلّة اليقينيّة وردّ الشّبهات وقوادح الأدلّة الخلافيّة".. "فالمُراد بالعلم هو إدراك الشّيء على ما هو عليه. ولا يكون ذلك إلاّ بتصوّر مُفرداته والتّصديق بمركّباته (نسبة) كما هي في واقع الأمر حقيقة معلومة من الدّليل الشّرعيّ اليقيني.. وأمّا المُراد بالأحكام: ما تدلّ عليه النّصوص من قواعد عقديّة ومبادئ كليّة يقينيّة. نُسبت للشّرع لإخراج ما ليس شرعيّا.. وأُضيفت الأدلّة اليقينيّة؛ لأنّ قضايا العقيدة يقينيّة ولا يُمكن أن يتوصّل إليها إلاّ بالدّليل اليقيني، وردّ الشّبهات (جمع شبهة مُشتقّة من الشّبه) أي ردّها بما يدلّ على بُطلانها من حُسن أو عقل أو نقل أو فطرة. وأمّا القوادح: جمع قادح وهو المُفسد للدّليل سواء كان عقليّا أو نقليّا أو دلالته على المطلوب".[12]

نستنتج إذا ممّا سبق ذكره أنّ المعنى العام المُتّفق عليه في هذه التّعريفات مفاده أنّ العقيدة هي الرَّبطُ والإبرامُ والإحكامُ والتَّوثُّقُ والشَّدُّ بقوة والتّماسُك والإثباتُ.. ومنه اليقين الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ لدى معتقده، سواء أكان هذا الاعتقاد حقًّا أم باطلا، أي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَها القلب، ويقبلها العقل وتطمئنّ إليها النّفس حتّى تكون يقيناً ثابتا لا يمازجها ريب ولا يخالطها شكّ قد تُثيرهما الشّبهات أو القوادح.

وأمّا الاعتقاد من منظور علم الاجتماع هو "نوع من الإدراك المستقلّ والمتميّز عن المعرفة المبنيّة على أساس عقلاني وعلى الوضوح التّجريبي. وبهذا المعنى يُمكن القول إنّ الاعتقادات هي صياغات - صيغت عبر كلام- يُبدي نحوها الفرد أو المجموعة رضى تامّا، ذهنيّا وشعوريّا، تعدّ في كافّة الحالات صادقة وجليّة وفي منأى عن التّشكيك"،[13] فالاعتقاد بالأساس هو ولاء لمبدأ، أو لمصدر منير، يُفسّر في التوّ عديد الألغاز المحيطة بنا.[14]

وقد تتلاقى مختلف أشكال الاعتقاد، الخرافي والعقدي والأصولي والصّوفي وغيرها، مع أوجه عدّة يُعبّر عنها الأفراد في مقابل عنقود واحد من الأسئلة يرتبط حسب "سابينو أكوافيفا" بالخوف من الموت وبالحاجة إلى الخلود الحاضرة بين البشر. فأمام الرّعب من الموت اتّخذ البشر تدابير لصياغة معنى، كان الدّين ولا يزال الإجابة الثقافيّة المركّبة الّتي قدّمت للبشر في ذلك الشّأن، وعلى هذا النّحو صاغت كلّ الدّيانات العالميّة الكبرى تقريبا تصوّرات عن العالم تأسّست على مبدأ خلود الكائن البشري.

ومن هنا يُمكن القول أنّ الاعتقاد الدّيني هو أساسا علاقة اعتقاد في شيء يتضمّن خضوعا وعجزا واعترافا بمحدوديّة بين الكائن البشري وكائن أشدّ قوّة مُفعما نورا وصدقا، وعلى ضوء هذا الإقرار يصوغ الأفراد أنظمتهم المعرفيّة،[15] ويُمكن للاعتقاد الدّيني أن يُشير أيضا إلى جملة من العقائد أو الحقائق الإيمانيّة الّتي تُقبل بمثابة مكوّنات ضروريّة للانتماء إلى مبدأ علويّ سواء كان مُدركا في هيئة أو مشخّصة أو مفارقة، كقوّة جارفة أو قدرة جبّارة، وفي هذه الحالة يُصبح لمُصطلح الإعتقاد الدّيني مدلولا عينيّا يتلوّن بحسب مختلف الدّيانات التّاريخيّة.

وبهذا المعنى نصل إلى القول بأنّ العقيدة الدينيّة الّتي تتقدّم جميع العقائد وتفضلهم لحضورها القويّ عبر التّاريخ وعظم تأثيرها على الإنسان، بل إنّها ساهمت بقدر كبير في إبادة شعوب وعشائر وأفول دول وتدمير أخرى، فهي الّتي تُوظّف جميع الوسائل المُتاحة وحتّى غير المباحة منها، لتحقيق أغراضها وفرض الهيمنة العقائديّة والسياسيّة..."**فالإنسان مُتديّن بالفطرة، يتعصّب لمُعتقده، ويُدافع عنه، ويُثيره التعرّض له بسوء، حتّى إنّه ليُضحّي بنفسه في سبيله، في وقت كان ربّما هذا المُعتقد تافها في نظر الآخرين**".[16]

وهكذا ينفتح مُصطلح العقيدة على عديد المجالات والحقول المعرفيّة، ولكن مع ضرورة الإقرار بأهميّته القصوى كمركز للظّاهرة الدّينيّة، فالإحساس الدّيني لا يُمكن أن يجد تعبيره الموضوعي الموصوف إلاّ في العقيدة، كذلك الطّقوس الدّينيّة لا تقوم إلاّ على العقيدة الّتي تُعطيها معنى ودلالة، كما تُنسج الأساطير وكأنّها الرّدهة بالنّسبة للاعتقاد الدّيني، أو شكله البدئي والأصلي، لتوضيح العقيدة وترسيخها، وكذلك الشّرائع والأخلاقيّات.. ولكن السّؤال

[11] المعجم الوسيط، معجم اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية 2004، ج2، ص 614.

[12] أنظر لوامع الدّرر السنيّة، ج1، نفس المصدر، ص ص 147-150.

[13] سابينو أكوافيفا- إنزو باتستي، نفسه، ص 80.

[14] - L.Sciolla, *L'assunzione di credenze*, in « Rassegna Italiana di Sociologia », 2, 1989, pp 239-60.

[15] C.Prandi, « *Credenza* », voce in Enciclopedia Einaudi, Torino 1980.

[16] مجموعة من الباحثين، **موسوعة الأديان المُيسّرة**، دار النّفائس بيروت لُبنان، ط1 2001، ص 6.



الّذي يبقى مطروحا والّذي نتهيّأ الآن لمعالجته وهو يتّصل أساسا بالعقيدة الإسلاميّة هو: ما معنى العقيدة الإسلاميّة؟ كيف ظهرت، وفي أيّ ظروف نشأت؟ ولِمَ تعدّدت معانيها وتضاربت أصولها منذ القرن الأوّل الهجري؟ وكيف تمّ ذلك؟

2- العقيدة الإسلاميّة: حصن يحمي المسلم من أخطار الشكّ وأعاصير التّضليل والتّزييف:

جاء في الأثر أنّ العقيدة الإسلاميّة هي "الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وكلّ ما جاء به القُرآن الكريم، والسنّة الصّحيحة من أصول الدّين، وأوامره، وأخباره، وما أجمع عليه السّلف الصّالح، والتّسليم لله تعالى في الحُكم، والأمر، والقدر، والشّرع، ولرسوله ﷺ بالطّاعة والتّحكيم والإتّباع".[17]

فالعقيدة الإسلاميّة من حيث أنّها التّصديق الجازم بالقضايا الإيمانيّة الواردة في الكتاب والسنّة، والمتعلّقة أساسا بالإلهيّات والنبوّات والسّمعيّات تصديقا جازما لا يطاله شكّ أو ريب، ومن حيث أنّها الإيمان الجازم بالله عزّ وجلّ، وما يجب له في ألوهيّته وربوبيّته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وبكلّ ما جاءت به النّصوص الصّحيحة من أصول الدّين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السّلف الصّالح بالطّاعة والتّحكيم والإتّباع والتّسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشّرع، ولرسوله ﷺ، أصول تُبنى عليها الفروع، وأسس يقوم عليها البُنيان، فهي بالتّالي ليست ألغازاً مبهمة تحتار فيها العقول، وليست معرفة مجرّدة خالية من الرّوح، وإنّما هي إيمان قلبيّ يغمر القلب والوجدان جميعا بالله تعالى وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العليا، فيكون لها انعكاس مُباشرعلى الجوارح والسّلوكات.

وقد كانت الأمّة الإسلاميّة في السّنوات الأولى للبعثة تحت رعاية الوحي، وكان الرّعيل الأوّل من الصّحابة في تواصل مُباشر مع الرّسول ﷺ ، فكانت عقيدتهم تُستقى في أوّل الأمر إذا مُباشرة من المنبع، أي من الرّسول ﷺ ، يُعلّمهم، ينصحهم ويُفقّههم ويُحيط بهم أيّما إحاطة، فكانوا على ذلك العهد يُمارسون العقيدة لا فقط يتعلّمونها، ولمّا قضى النبيّ ﷺ دون أن يوصي بمن خلفه ودون أن يرد في القرآن نصّ على من يخلفه، أو قاعدة لاختيار خلفه أو خليفته الّذي سيرأس الجماعة الإسلاميّة.[18]

ومع تفرّق الصّحابة في كلّ بقاع الأرض لنشر الدّعوة، وتزامنا مع اتّساع رقعة الدّولة الإسلاميّة واحتكاك المسلمين بالشّعوب الأخرى، جدّت أمور كثيرة اقتضت وجوب تدوين مسائل العقيدة في علم مُستقلّ، وقد قسّمها الدّكتور علي سامي النشّار إلى عوامل داخليّة وأخرى خارجيّة.[19]

أ) العوامل الدّاخليّة:

سجّلت كتب التّاريخ والسّير أنّ القُرآن كان في البداية محفوظا في صدور الصّحابة ومكتوبا في الصّحف على ما كان مُتيسّرا من وسائل الكتابة حسب ما ذكر الإمام الشّاطبي في كتابه "المُوافقات في أصول الشّريعة"، ثمّ ما فتئ أبو بكر الصدّيق أن جمعه في مصحف واحد، ثمّ في نسخ كثيرة وُزّعت في الأمصار في عهد عثمان بن عفّان **"وقد توفّر لهذا الكتاب ما لم يتوفّر لكتاب آخر سماوي أو غير سماوي"**.[20] وأمّا الحديث فلم يُدوّن بصفة رسميّة تدوينا شاملا على عهد رسول الله ﷺ ، ولا على عهد الخلفاء الرّاشدين، فتناقله الصّحابة فيما بينهم لمدّة من الزّمن وتلقّاه التّابعون عنهم تلقينا ومُشافهة إلى عهد عمر بن عبد العزيز، والّذي أرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه في المدينة مُخاطبا إيّاه **"انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء.. فكتب شيئا من السنّة.."**.[21]

ثمّ شاع التّدوين في النّصف الأوّل من القرن الثّاني للهجرة فظهر الموطّأ لمالك إمام دار الهجرة، ومن بعده صحيحي البخاري ومسلم وأصحاب السّنن في جوامعهم وسننهم، ورُتّبت الأحاديث وفق أبواب (باب الإيمان، باب العلم، باب الطّهارة..) فكان هذا التّبويب بمثابة الخطوة الأولى أو بالأحرى النّواة الأولى لنشأة علم العقيدة واستقلاله عن بقيّة العلوم الأخرى المُستنبطة من القرآن والسنّة، فكان هذا العامل الأوّل لبداية تدوين علم العقيدة. وأمّا

---

[17] أنظر ابن فارس، **معاجم مقاييس اللّغة** ج4، ص ص 86- 90، مادّة عَقَدَ/ ابن منظور، **لسان العرب**، ج3،ص ص 296- 300/ **وقاموس المُحيط** ص ص 283-284.

[18] ألفرد بل، **الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي**، نفسه، ص 140.

[19] ـ علي سامي النشّار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج1، دار المعارف القاهرة، ط 6، ص 224-225.

[20] . الشّاطبي، **المُوافقات في أصول الشّريعة**، دار ابن عفّان، المملكة العربيّة السعوديّة 1998، ج2 ص 58. 61.

[21] ـ مُصطفى السّباعي، **السنّة ومكانتها في التّشريع**، دار الوراق، المكتب الإسلامي 2000، ص 103.





العامل الثّاني، فيرجع أساسا للتصدّعات والإنشقاقات الّتي شهدتها الأمّة بعد وفاة الرّسول ﷺ .

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري واصفا الإختلاف الحادّ بين المسلمين "اختلف النّاس بعد نبيّهم ﷺ في أشياء كثيرة، ضلّل بعضهم بعضا، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقا مُتباينين، وأحزابا مُتشتّتين، إلاّ أنّ الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم. وأوّل ما حدث من الإختلاف بين المُسلمين بعد نبيّهم ﷺ : اختلافهم في الإمامة...وهذا اختلاف بين النّاس إلى اليوم".[22]

ومن هنا مثّلت ثنائيّة الخلافة والإمامة كما تعرّضنا لذلك سابقا النّظام الّذي جعله الإسلام أساسا للحكم بين النّاس لضمان وحدة الأمّة وحفظ حوزة الملّة، فمسألة الإمامة والخلافة هي الأصل الّذي فرّق المسلمين، وحوّل الاختلاف السّياسي إلى خلاف ديني، وذهب المسلمون أشواطا في التّفسير وراحت كلّ فرقة تُدافع عن فكرها وتجادل عن رأيها تؤيّد ما يُوافقها وتفنّد ما يُخالفها، حتّى وُضعت في هذا الغرض كتب ومؤلّفات عديدة.

وبقيام الدّولة البويهيّة في بغداد تجذّر التشيّع وانتشر فكثرت ببغداد الفتن، وانتشر الإعتزال في العراق وخراسان وقوي أمر الفاطميين بالمغرب الإسلامي وجهروا بمذهب الإسماعيليّة وبثّوا دعاتهم في كلّ مكان **"فلم يبق مصر من الأمصار، ولا قُطر من الأقطار إلاّ وفيه طوائف كثيرة ممّن ذكرنا"،**[23] وهذا إضافة إلى تزايد انبهار المجتمع العربي ببعض عادات وتقاليد الشّعوب والحضارات المُجاورة الّتي اجتاحت البلاد الإسلاميّة إثر الفتوحات، وأقبل عليها الكثير ممّن غلب عليهم حبّ الدّنيا وحياة البذخ، ممّا أدّى إلى نشوء مفاهيم جديدة على مُستوى طبيعة التّناول للنصّ عموما، **"وهُنا ابتدأ المُسلمون يسألون أنفسهم: من هو المُسلم على الحقيقة ؟ وما هو الإيمان؟ وما هو كنه الإعتقاد الّذي ينبغي أن يُعتقد في الله ؟ وكما بدؤوا يسألون عن مسؤوليّة الإنسان...وعن إرادة الله الّتي هي فوق كلّ شيء".**[24]

وقد اعتبر الدّكتور علي سامي النشّار أنّ القرآن قد حدّد ميتافيزيقاه وفيزيقاه ومذهبه الإنساني، ولم يطلب من المسلمين آنذاك تجاوز هذا المذهب الفلسفي المتكامل، وإنّما السّعي وراء فهمه، استيعابه والعمل به وفي حضنه والتشبّث بما جاء فيه، غير أنّ الظّروف الطّارئة أدّت جميعها إلى نشأة الفكر الإسلامي وبالتّالي الخروج من إطار القرآن والسنّة واستقبال الفلسفات القديمة والتأثّر بها وإدماجها في بنية الفكر العربي الإسلامي والّتي يُرجعها الدّكتور علي سامي النشّار إلى العامل اللّغوي والسّياسي.

فأمّا اللّغوي فيتمثّل في الإختلاف الّذي حدث "في التّفسير وكان مردّه إلى اختلافات لغويّة تفسيريّة حول تصوّرات قرآنيّة وحديثيّة"،[25] وأمّا السّياسي فيُرجعه إلى الإختلاف السّياسي بين المُسلمين بعد وفاة النبيّ ﷺ "ثمّ بقى هذا الإختلاف كامنا حتّى مقتل الخليفة الثّالث وبموته - كما هو معروف - انفجرت الخلافات السياسيّة وفي أثرها تكوّنت المذاهب".[26]

ب) العوامل الخارجيّة:

يُمكن اختصار العوامل الخارجيّة لنشأة علم العقيدة كعلم مستقلّ بذاته إلى العداء الّذي لاقاه المسلمون من أقوام وأمم عديدة أساسا اليهوديّة والمسيحيّة والمذاهب الغنوصيّة الشّرقيّة، ثمّ بالفلسفة اليونانيّة من خلال التأثّر. فأمّا اليهود فقد قابلوا الإسلام في أوّل نشأته على حدود يثرب ودارت بينهما اشتباكات عقليّة عنيفة، وجادلهم القّرآن وردّ عليهم وكشف مُؤامراتهم وأحبطها، فشنّوا حربا فكريّة ونفسيّة وتنوّعت أساليبهم في الصدّ عن الدّعوة، وتواصلت المُماطلة والجدال على الرّغم من إبعادهم كليّا من المدينة، وأمّا المسيحيّة فسارت على درب اليهود حتّى بلغ الجدل ذروته.[27]

والواضح أنّ المسلمين قد أجمعوا على نبذ عقائد اليهود والنّصارى بشكل قطعيّ، ولم يتردّدوا يوما في مواجهتها بكلّ حزم منافحين عن عقيدة الإسلام السّمحة والنقيّة من كلّ شوائب الشّرك والضّلال، وقد مثّل القرآن والسنّة الدّرع الحامي لهم والحجّة

---

[22] ـ الأشعري (أبو الحسن)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلّين**، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة 1990، ص 34.

[23] ـ المقريزي، **الخطط المقريزيّة**، نفس المصدر السّابق، ج3 ص 310-312

[24] ـ محمّد البهي، **الجانب الإلهي من التّفكير الإسلامي**، ص 40-42، انظر **الخطط المقريزيّة** ج3 ص 316-317، **ومقدّمة** ابن خلدون، ج 2، ص 830-833.

[25] ـ علي سامي النشّار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، نفسه، ص 224-225.

[26]. نفسه، ص 225.

[27] ترك العُلماء المسلمين تراثا ضخما في هذا المجال يتمثّل أساسا في مؤلّفات كلّ من ابن حزم **"الفصل في الملل والأهواء والنّحل"**، والجويني في **"شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التّبديل"**، والغزالي في **"الردّ الجميل"**، والقرطبي في **"الإعلام بما في دين النّصارى من الفساد والأوهام"**، وابن تيمية في **"الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح"**...





الكافية للردّ على كلّ الأقوال والشّبهات، في حين اختلف الأمر كثيرا مع الفلسفة اليونانيّة الّتي اجتاحت الأراضي الإسلاميّة واكتسحت بعض العقول فتأثّر بها الكثيرون ووجدوا فيها ضالّتهم بعد أن وجّهت أنظارهم إلى مُعالجة مسائل وقضايا عقديّة وتشريعيّة، فراحوا بين مشارق الأرض ومغاربها يُفسّرون تعاليم الدّين الإسلامي في ضوء هذه الفلسفة ساعين إلى التّوفيق بينهما، وفسّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني على حدّ تعبير المفكّر محمّد إقبال "**ومع أنّ هذه الفلسفة وسّعت آفاق النّظر العقلي عند مُفكّري الإسلام فإنّها غشّت على أبصارهم في فهم القُرآن**".[28]

وأمّا العامل الأخير فهو المذاهب الغنوصيّة الشّرقيّة الّتي قابلها الإسلام على حدّ تعبير الدّكتور علي سامي النشّار "في جميع البلاد الّتي دخلها بلا استثناء.. فقابلها في العراق، وفي إيران، وقابلها في مصر في شكل يوناني في شكل الأفلاطونيّة المحدثة. وقد بدأ غنوص تلك المذاهب يهدم في بناء الإسلام منذ قوّض الإسلام عقائد تلك المذاهب وطقوسها القديمة، وكانت من أخطر المذاهب الهدّامة الّتي جادلت الإسلام...حاربته بالسّيف والقلم، وهاجمته بقسوة وعنف. على أنّ هذه الدّعوة مازالت آثارها حتّى الآن تتمثّل في غُلاة الشّيعة وفي الإسماعيليّة وفي البهائيّة".[29]

وبهذا المعنى إذا تكون العقيدة الإسلاميّة سبب وحدة الأمّة وعلّة تفرّقها، يقول "إيميل إيزن" (E.Esin): "العقيدة في الإسلام تقوم على مبدأ الإله الواحد فهو الله سُبحانه وتعالى الدّائم الأبديّ الخالق للعالم، العالم الّذي يُمكن تصوّره، والعالم الّذي لا يُمكن تصوّره ولقد تمّ التّعبير عن التّجريد المُطلق للألوهيّة في القُرآن"،[30] كما أنّ دينهم واحد بعقيدته وشريعته، ونبيّهم واحد، ولغتهم واحدة هي لغة القُرآن، وقبلتهم واحدة، ممّا جعل شاغلهم في البداية واحد وهواجسهم واحدة إلى أن تُوفّي الرّسول ﷺ، فكانت بداية الانشقاقات بينهم، وحتّى إلى ذلك العهد لم تكن اختلافاتهم عقائديّة أو إيمانيّة، بل "كان أوّل اختلاف وقع بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ اختلافا اجتماعيّا سياسيّا محضا، وليس اختلافا على عقائد الدّين".[31]

وعلى الرّغم من هذا الخلاف الحادّ في الآراء بين كبار الصّحابة في تحديد خليفة الرّسول ﷺ، إلاّ أنّه سرعان ما تمّ تجاوز هذه المحنة ببيعة أبي بكر الصدّيق وبقي المُسلمون مُجتمعا واحدا مُتماسكا، ولم يُؤدّ ذلك الخلاف في حينه لا لنزاع أو افتراق مُباشر، ولا لظهور فرق ومذاهب لها عقائدها أو مساجدها الخاصّة، بل بقي المُسلمون في ذلك العهد أمّة واحدة مُتوحّدة مُتماسكة، إلى حين قُتل الخليفة الثّالث عثمان بن عفّان وانتقلت الخلافة إلى بني أمويّة في الشّام، فظهرت عندها ثلاثة فرق أساسيّة، الخوارج، أهل السنّة، وانضوى تحت عنوان الشّيعة كلّ الأفراد أو الجماعات الّذين أعطوا ولاءهم فقط لقيادة أهل النبيّ ﷺ.

الخاتمة:

عاشت الأمّة الإسلاميّة بعد وفاة النبيّ ﷺ فترة حرجة خلّفتها بعض الأفكار والرّؤى الفلسفيّة الّتي تسرّبت إلى عقول فئة من العلماء منذ العصور الأولى لانتشار الإسلام، معلنة عن بداية عهد الفُرقة والتصدّعات العنيفة والتغيّرات الجذريّة في بنية المجتمع الإسلامي، فتفشّت البدع وانتشرت الضّلالات وتلاطمت الفتن على الأمّة الإسلاميّة وكثرت التّأويلات وانقسم المُسلمون إلى فرق وأحزاب ومذاهب تبعتها عقائد وشرائع مُنفصلة لا يجمع بينها إلاّ لفظ الإسلام، وظهرت الفرق منها القدريّة نسبة إلى معبد بن خالد الجهني والجهميّة نسبة إلى جهم بن صفوان، والمُعتزلة على يد واصل بن عطاء، والخوارج والشّيعة...

وأضحت كلّ مجموعة ترى في نفسها الصّلاح والفلاح والاستقامة والأحقيّة لقيادة الأمّة، حتّى انتهى الوضع في آخر المطاف إلى نشأة علم الكلام المُتأثّر بالكلام النّصراني واللّاهوت والفلسفة اليونانيّة، ممّا أجبر الفُقهاء على مُواجهة هذا الخطر الدّاهم بالتّحاور والجدال وقد نُهوا سابقا عن الجدال في الدّين، ثمّ شرعوا منذ ذلك الحين في تدوين علم العقيدة خشية ضياع الدّين.

وعلى الرّغم من المجهود الّذي بذله الصّحابة الفضلاء والتّابعون في الحفاظ على وحدة الأمّة، إلاّ أنّ الاختلاف المذهبي قد تفشّى بصفة رهيبة، وأضحى وكأنّه أمر لا بدّ منه، وبدأت الدّسائس تُحاك، وتحوّل الاختلاف السّياسي عندها إلى صراعات شاملة

---

[28] . محمّد إقبال، **تجديد الفكر الدّيني في الإسلام**، ترجمة عبّاس محمود، دار الهداية باكستان ط2، 2000، ص 8-9.

[29]. علي سامي النشّار، نفسه، ص 62.

[30] . Emel Esin, *the Quranic verses and the Hadith Has sources of inspiration in Islamic art*, P.73 proceedings of the international symposium held in Istanbul in April 1983 in Islamic Art common Principales, Formes and themes, Damascuse, Dar El Fikr 1989.

[31] . سعد رستم، ص 21.





اجتماعيّة واقتصاديّة، ثمّ إلى عرقيّة بعد أن انتقل الصّراع الخفيّ من المركز إلى الأطراف، فكانت هذه البيئة الأولى الّتي وجدت فيها الشّعوبيّة، ثمّ العصبيّة طريقهما لفتح المجال أمام حروب طائفيّة طاحنة مردّها العقيدة، وحلّ التعصّب للجنس العربي بعد ذلك مكان المساواة بين العرب والموالي من الأعاجم ممّن دخل في الإسلام، بل وتحوّل في مرحلة من التّاريخ الإسلامي إلى اختلاف عقائدي وحتّى تشريعي أثّر بشكل ملحوظ على مختلف مناحي الحياة.

حاشية السّدويكشي على كتاب الإيضاح بخزانة الشّيخ الباروني: دراسة كوديكولوجيّة في مخطوط نفيس

سلمى اللاّفي

أستاذة مساعدة متعاقدة – جامعة الزّيتونة

المقدمة:

يسعى هذا المقال إلى دراسة مخطوط "الإيضاح"، الذي يُعدّ من الكُتب الفقهيّة المحقّقة والمنشورة، وفي ظلّ غياب النّسخة الأمّ تحصّلنا على نسخة تعود إلى سنة 1190 من الهجرة. وعلى الرّغم من حداثة عهدها إلاّ أنّنا صنّفناها نفيسة لما جاءت عليه من حفظ لمقامات وأسماء الرّجال، تأليفا وتعليقا ونسخا. ذلك وأنّ هذه المخطوطة التي بين أيدينا من خزانة الشّيخ "مهنّى الباروني"[1] بجزيرة جربة من الجنوب التّونسي والتي مرّت جلّ كتبها برحلة إلى أن وصلت إلى مالكها الحالي، وهي تحمل عنوان "حاشية الفاضل العلاّمة أبي محمّد عبد الله بن سعيد السّدويكشي على كتاب الصّلاة للشّيخ عامر بن علي الشّمّاخي"[2]. ونظرا لأنّ النّاسخ، وهو سليل عائلة المؤلّف، قد قام بالنّقل بصفة مباشرة عن النّسخة الأمّ التي نعتقد أنّها كانت مُسوّدة نظرا لما خصّها به من وصف في خاتمتها. وفي ظلّ اختفاءها، بالإضافة إلى أنّ الحواشي كُتبت بخطّ السّدويكشي نفسه على السّفر الأوّل من إيضاح الشّيخ الشّمّاخي، لا شكّ إذن من أنّ هذا المخطوط الذي بين أيدينا يحظى بمقام النّفيس والنّادر وهذا ما دفعنا للاطّلاع عليه ومعاينته ودراسته في ظلّ علم المخطوط أو ما يُعرف "بالكوديكولوجيا" La codicologie.

الكوديكولوجيا هو علم يعتني بمادّة الكتاب لا بموضوعه، وهو علم مُساعد للتّاريخ، لكنّه يُعتبر أيضا علما مُستقلاّ هو السّند المهمّ لكلّ بحث تاريخي حول حضارة العصر الوسيط[3] وحتّى الحديث. ونظرا لاختلاف قيمة النُّسخ وتصنيفاتها ارتأينا التّعريج على مفهوم النّسخة الأمّ للتّأكيد على أهمّيّة المخطوط المدروس، ذلك وحُدّدت على أنّها "نُسخة المؤلّف أو هي النّسخة التي تحصل بعد إخضاع كلّ نسخ المخطوط لما يُسمّى بتاريخ النّصّ عند علماء الفيلولوجيا، يعني النّسخة التي انحدرت منها أو انطلقت منها كلّ النّسخ، وإذا تمّ الحصول على نُسخ مختلفة بعد القيام بتاريخ النّص فتُعتبر كلّها نُسخا أمّهات"[4]. والقيام بتاريخ النّصّ يرمي إلى البحث في كلّ نسخة على حدة بحثا كوديكولوجيّا، كتحديد مادّة الكتابة، وما تلا ذلك من تأريخ النّسخة وذكر ناسخها، ومكان نسخها، والإشارة إلى الحواشي والتّعليقات، وذكر التّعقيبة، والتّملّكات، والوقفيّات، إلى غير ذلك من الوصف المادّي لهذه النّسخة[5].

رغم ما نمتلكه من مخزون ضخم للمخطوط المغاربي الزّاخر بالمصادر النّادرة والفريدة في شتّى العلوم والتي نُشر كمّ كبير منها، إلاّ أنّ هذا الرّصيد الهائل لا ينفي تعرّضه لمآس اختزلها أحمد شوقي بنبين في "النّساخة، الطّباعة والتّحقيق"، ولكلّ واحد منها قسطه فيما آل إليه اليوم تراثنا المخطوط، من هفوات وخلل واضطراب وتشويه أحيانا[6]. وبالتّالي أصبح في حاجة إلى منهج علمي حديث، وعلما من ذوي الخبرة والتّجربة والمراس لاسترجاع هذه النّصوص في شكل قريب من شكلها الأصلي وضبطها بأسلوب علمي صحيح انطلاقا من الكوديكولوجيا هذا العلم الحديث الذي يقدّم خدمة جليلة وأساسيّة لمجالات علم المخطوط[7].

وعليه، تهدف هذه المقالة إلى إنجاز دراسة كوديكولوجيّة ذات صلة بالتّراث المغربي المخطوط من خلال التّعامل معه من منظور

---

[1] تُعتبر المكتبة البارونية بجزيرة جربة من أكبر المكتبات الشاملة لتراث العائلة الموسّعة، حيث توارثها الأحفاد عن الأجداد، كما تعدّ "المحجّ العلمي" لأتباع المذهب الإباضي من مختلف دول العالم، فضلا عن الباحثين في التّاريخ الإسلامي ومدارسه الفكرية. **راجع:** بن عمّار (أسماء)، **المخطوطات الإباضيّة: تصوّر نظري في الفهرسة والتّرميم**، رسالة ماجستير مهني، تحت إشراف أ. سامي الفريضي، المعهد العالي لأصول الدّين، تونس، 2022-2023، ص. 13.

[2] هو أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن سيفاو الشّمّاخي، وكلمة سيفاو كلمة بربريّة معناها المضيء أو المنير، أمّا لقب الشّمّاخي فنسبة لجبل شمّاخ. راجع: الشّمّاخي (عامر بن علي)، **كتاب الإيضاح**، تحقيق محمّد بن عمر أبو ستّة القصبي النّفّوسي، ج. I، ط. IV، 1999، ص. هـ.

[3] لومار (جاك)، **مدخل إلى علم المخطوط**، ترجمة مصطفى طوبي، مرّاكش، المغرب، 2006، ص. 36.

[4] بنبين (أحمد شوقي) وطوبي (مصطفى)، **معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)**، الخزانة الحسنيّة، الرّباط، ط. III، 2018، ص. 360.

[5] بنبين (أحمد شوقي)، **أمشاج من التّراث**، فهارس، المغرب، 2022، ص. 79.

[6] بنفس المرجع السّابق، ص. 73.

[7] نفس المرجع السّابق، صص. 87-95.



علمي جديد يُساهم في إثراءه والإعلاء من شأنه بمزيد من الصّحة والثّبات.

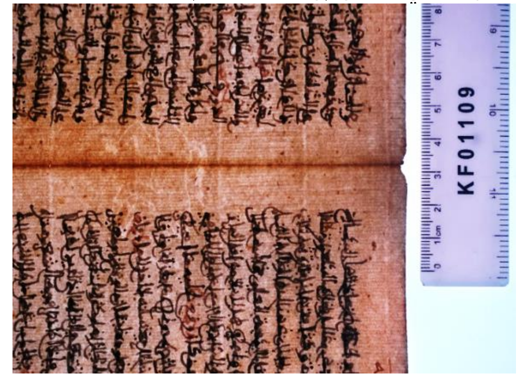
وبناء على ما تمّ طرحه، يتركّب المقال من عنصرين رئيسين هما، دراسة الأثر المادّي للمخطوط من خلال بنيته الفنّية وعمليّة إخراجه والمواد المتعلّقة بصنعه وتزيينه، ثمّ نتناول بالوصف والشّرح الوظيفة الكوديكولوجيّة للمعطيات المتحصّل عليها أثناء معاينة هذه النّسخة.

1- البنية الفنّية للمخطوط

1.1 الإخراج المادّي للمخطوط

سنتعرّض في هذا المبحث إلى نوعيّة الورق وعلاماته المائيّة، فضلا عن حجم المخطوط ومسطرته. ذلك وأنّ المجلّد مقاسه بالمّليمتر (28×154×216)، والظّاهر أنّ لسان حفظه شبه مبتور رغم ما نرى فيه من بقايا غلاف ممزّق توحي بأنّ هذا العنصر كان متوفّرا. ثمّ إنّ متوسّط عدد أسطر المخطوط في كلّ صفحة بمعدّل 25 سطرا. أمّا نوع الورق فهو أوروبّي يحتوي على علامات ورقيّة ذات أشكال ورسومات مختلفة، وتُعرف العلامة الورقيّة بالعلامة المائيّة وبمصطلح الفيليغران أيضا، وهي العلامة التي تُميّز الكاغذ الأوروبّي عن العربي، والتي توضع عليه أثناء عمليّة الصّنع. كما تميّز هذه العلامة كلّ مصنع في المنطقة الأوروبّية عن غيره، وتساعد أيضا على التّثبّت من صحّة نسبة المخطوط إلى مؤلّفه أو إلى زمان ومكان كتابته [8]. ذلك وقد اشتملت الورقات على علامات متنوّعة، قمنا بحصرها في الأمثلة التّالي:

- علامة مائيّة في شكل حصان: يقف على ثلاث حوافر مع رفع حافره الخلفي الأيمن (و. 26 – ظ. 25)[9].



- علامة مائيّة تشبه التّنّين: غير واضحة (و. 36 – ظ. 35).



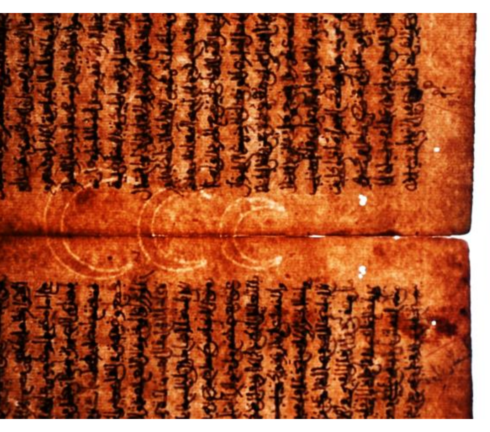
- علامة مائيّة على شكل درع وحروف لاتينيّة: "C-A-E" (و. 48 - ظ. 47) يمكن أن تكون الحروف الأولى لاسم صاحب مصنع الكاغذ الذي صُنعت فيه.



- علامة مائيّة في شكل حروف لاتينيّة: رُسمت هكذا "DP" (و. 50 – ظ. 49).



- علامة مائيّة تحتوي ورقتها على ثلاثة أهلّة: مُتراكبة ومُتفاوتة الأحجام (و. 87 – ظ. 86).




---

[8] راجع: Briquet (Charles M.), **Les filigranes : Dictionnaire historique des marques du papier**, T. 4, Genève, 1907

[9] ملاحظة: الحرف "و" والحرف "ظ": هي اختصارات لكلّ من كلمة "وجه" و "ظهر".

- علامة مائيّة لثلاث أهلّة: (و. 107 – ظ. 106).



2.1. الخطوط والأمدّة

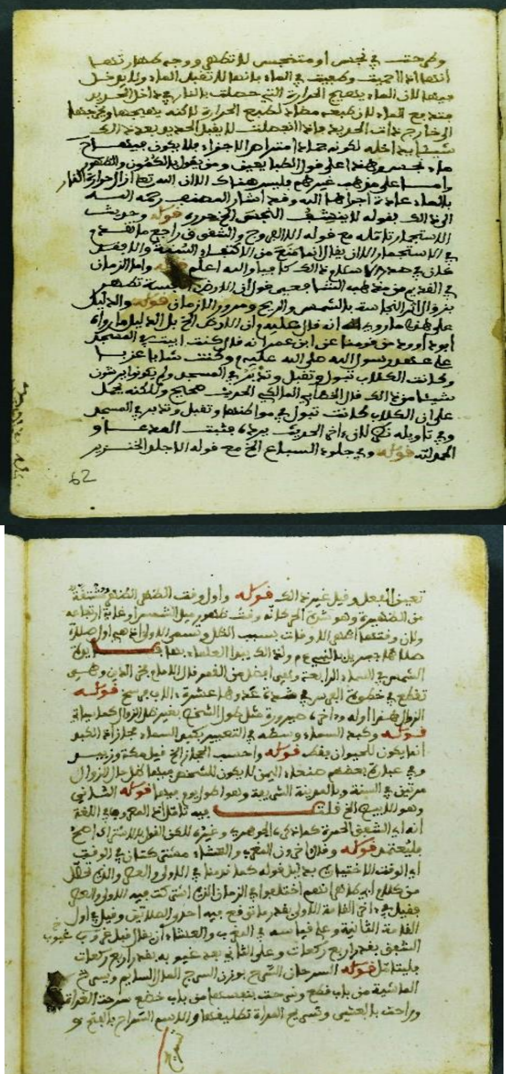
تُعين الخطوط الباحث في الوقوف على تاريخ النّسخة انطلاقا من خطّ النّاسخ ونسبه أو زمن عيشه. فالخطوط تُمثّل ركيزة مُهمّة لدى عالم المخطوط والمحقّق والمفهرس، على اعتبارها علما مساعدا للتّاريخ والمؤرّخين. وبين أيدينا نسخة مقابلة عن الأصل، تميّزت بخطّها الملفّق بين الزّمامي المغربي والبدوي، الذي يصطلح عليه بالخطّ المعتاد، كما تميّزت بتنوّع ألوان الأمدّة المستخدمة فيها.

وقد استعمل المغربي الزّمامي في العناوين والفواصل والأبواب وفواتح الكلام باللّون الأحمر، أمّا خطّ المتن فكُتب بخطّ بدوي بالمداد الأسود، كما نجد اللّون البنّي الفاتح أحيانا في المتن وأحيانا في بعض الحواشي كإضافات مصحّحة.

وفي التّواصل الذي نجده من بداية النّسخة حتّى نهايتها، من حيث أسلوب رسم الخطّ واستعمال نفس الخصائص الكوديكولوجيّة، تأكيد وإثبات على أنّ النّسخة مكتوبة بخطّ النّاسخ نفسه. وفيما يلي أمثلة تبرز الخطّ المستخدم في المتن والحواشي والألوان المستعملة:







3.1 التّسفير والزّخرفة

من أهمّ المظاهر المادّيّة الأثريّة للمخطوط والتي لابدّ من الوقوف عندها هي فنّ التّسفير، أو التّجليد كما ينطقه المشارقة، وهذه العمليّة تعدّ المرحلة الأخيرة في صُنع الكتاب من خلال جمع



كرّاساته بين دفّتين لحفظهم ووقايتهم من كلّ عوامل التّلف. ومن فوائد تواجده في المخطوط مُساعدة الباحث على تجميع معلومات مهمّة تخصّ تأريخ النّسخة ومعرفة مكان وزمان صنعها، انطلاقا من عدد ملازمه وأسلوب حبكتها والزّخارف المزيّن بها وإن وجد فيها تذهيب أو رُصّعت بالذّهب والفضّة، حيث تعدُّ كلّها دلالات وإشارات عن تاريخ صنع الكتاب.

وهذا المخطوط مُسفّر تسفيرة جلديّة مُتلاشية قد نالت منها الأرضة، إلاّ أنّه يُعدّ تسفيرا أصليّا. لون جلده بُنّيّ مُجدول، تتوسّطه ترنجة[10] مغربيّة مُذيّلة في شكل جوزة بتوريق شبه بارز وبمصباحين صغيرين. نعتقد أنّها كانت موصولة بلسان حسب ما تبقّى من مظاهره الأثريّة، ذلك وقد انفصل الكعب عن الشّيرازة، وانفكّت خيوط الحبكة، ممّا ترتّب عليه شبه انفكاك للملزمات. وخلال معاينتنا للمخطوط وجدناه بسيطا لا يحتوي على زخارف غير تلك التي أشرنا إليها في التّجليد أو بعض الأشكال البسيطة المتكوّنة من الخطوط والنّقاط أعلى صفحة الاستطراد بهدف زخرفة مقدّمته، وهي رسوم مستوحاة من بيئة المخطوط، كما توضّحه الصّور المرفقة لكلّ من دفّتي الغلاف وصفحة الاستطراد.



[10] التُّرُنْجَةُ: زُخرفة بالأرابسك تتمّ في وسط الغلاف. راجع: بنبين (أحمد شوقي) وطوبي (مصطفى)، **نفس المرجع السّابق**، ص. 83.



2- الوظيفة الكوديكولوجيّة في المخطوط

1.2. استهلالات المخطوط وخواتمه

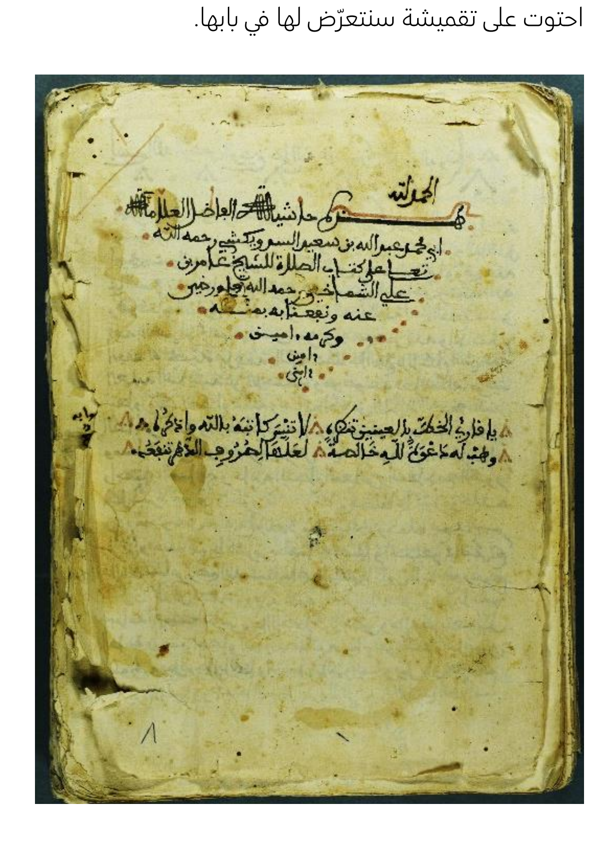
1.1.2. الظّهريّة والاستطراد

عادة ما يظهر على وجه الورقة الأولى للمخطوط اسم المؤلّف وعنوان مُؤَلَّفِهِ[11] وهي تُعرف في تراثنا العربي المخطوط "بالظّهريّة" أي صفحة العنوان، والتي نجد بها أحيانا تعليقات أو تقميشات مُختلفة يُمكن أن تُفيد في إرشاد الباحث إلى إعادة بناء تاريخ النُّسخة، كما تُحيلنا أحيانا على رحلة المخطوط من خلال التّملّكات الموثّقة فيها أو الأختام وغيرها من مظاهر البيع والشّراء والتّحبيس.

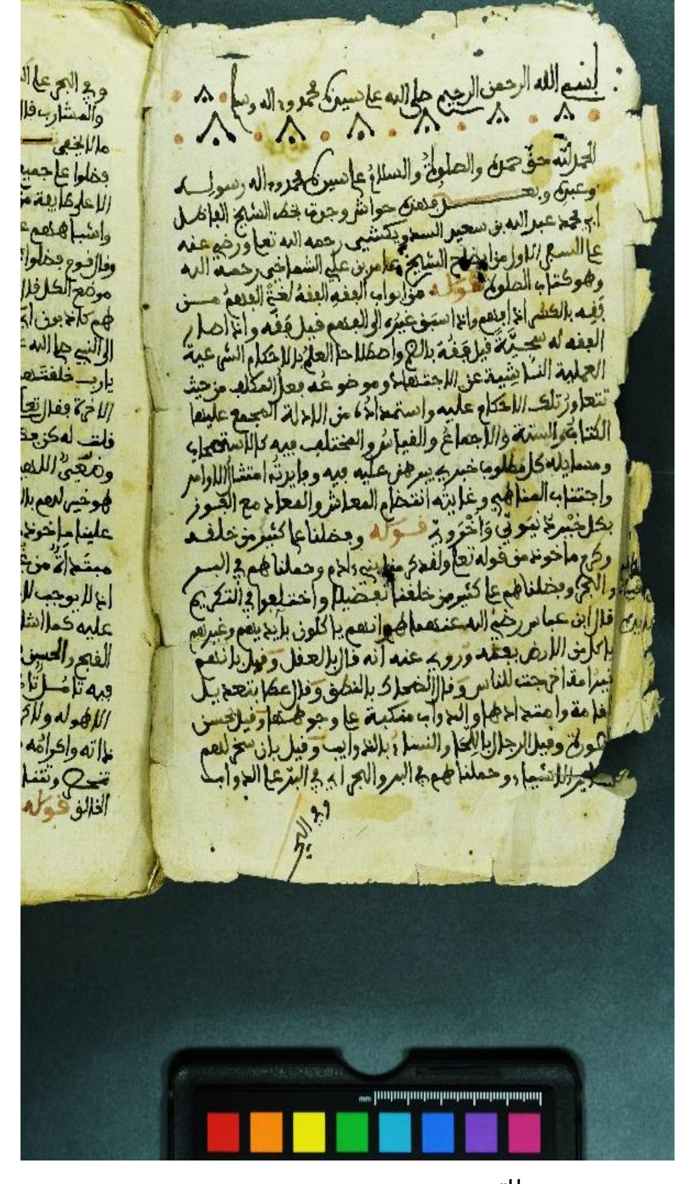
[11] ديروش (فرونسوا)، **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**، ترجمة أيمن فؤاد السّيّد، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي، لندن، 2005، ص. 460.



إذن، تُعتبر هذه الورقة مهمّة جدّا ولا بدّ من الحفاظ عليها، إن وُجدت، نظرا لموضعها في بداية المخطوط والذي يُعرّضها غالبا للتّلف أو الانـدثار، لـذلك يجـب أن نوليهـا عنايـة خاصّـة وأن نتـذكّر أنّ المعلومات التي تحتوي عليها يُمكن أن تكون مغلوطة أو مُزوّرة، ذلك وقد طابقت المعلومات التي وجدناها في ظهريّة مخطوطنا ما ذُكر في مُقدّمة النّصّ وما جاء في متنه، وقد رُسمت على شكل هرمي منكوس إلى الأسفل، وجاء فيها ما نصّه: "الحمد لله هذه حاشية الفاضل العلاّمة أبي محمّد عبد الله بن سعيد السّدويكشي رحمه الله تعالى على كتاب الصّلاة للشيخ عامر بن علي الشّمّاخي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به بمنّه وكرمه آمين آمين آمين" كما احتوت على تقميشة سنتعرّض لها في بابها.



ثمّ مقدّمة المخطوط أو ما يُعرف "بالاستطراد" وهي فاتحة الكتاب، ابتدأت بالبسملة والتّصلية والحمدلة ثمّ الموضوع المتناول، والذي أتى مؤكّدا لما كُتب في صفحة الظّهريّة، ومفادها: "بسم الله الرّحمن الرّحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم الحمد لله حقّ حمده والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله ورسوله وعبده، وبعد فهذه حواشٍ وُجدت بخطّ الشّيخ الفاضل أبي محمّد عبد الله بن سعيد السّدويكشي على السّفر الأوّل من إيضاح الشّيخ عامر بن علي الشّمّاخي وهو كتاب الصّلاة".



2.1.2. حرد المتن

غالبا ما يكون الفراغ من النّصّ أو "حرد المتن"، وهو من خوارج النّصّ، في أحجام صغيرة لا تضبطها قواعد، وهو يتضمّن بيانات المخطوط من اسم النّاسخ، تاريخ ومكان النّسخ، وغيرها من المعلومات ذات الأهمّيّة في عمليّة تأريخ المخطوط، ولذلك هي الأخرى معرّضة للتّزوير بإرادة أو عن غير قصد[12] وتحتاج للتّثبّت والتّدقيق من خلال نمط الخطّ و نوعيّة المداد وغير ذلك من المعطيات الكوديكولوجيّة.

وجاء حرد متن هذا المخطوط المؤلّف من قبل أحد شيوخ وأعلام الإباضيّة مُطابقا للمتن شكلا وأسلوبا، ونجد صيغة الفراغ من النّص واضحة بقوله "تمّ" متّصلة بآخر المتن، ثمّ يواصل الحرد في ظهر الصّفحة داخل إطارين بخطّين أحمرين يُجدولان الكتابة،

[12] ديروش (فرونسوا)، **نفس المرجع السّابق**، صص. 337-338.



كالتّالي: "تمّ ما وُجد بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده أحمد بن إسماعيل الشّمّاخي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات نسختها من أمّ كثيرة الفساد حين قراءتنا لها والأصل بمسجد بني لاكين عمّره الله بقراءة العلم أمين وذلك بعد الظّهر من يوم الإثنين لأربعة أيّام من أنور الرّبيعين من مولده صلّى الله عليه وسلّم عام تسعين ومائة وألف 1190"، وشدّنا هنا قوله أنّه نسخها من "أمّ كثيرة الفساد" وهنا تبرز قيمة النّسخة، ففي هذا القول إخبار صريح بأنّ النّاسخ نقل بالمعاينة عن الأصل وهي مسوّدة وهذا الوصف دليل على صحّتها. وهنا ثمّ في إطارين آخرين أسفل التّاريخ "فمن وجد فيها فسادا فليصلحه وأجره على الله اللّهم وفقّنا لطاعتك واستعملنا في مرضاتك يا أرحم الرّاحمين".


من أمّ كثيرة الفساد حين قراءتنا لها والأصل بمسجد بني لاكين عمّره الله بقراءة العلم أمين وذلك بعد الظهر من يوم الاثنين لأربعة أيام من أنور الربيعين من مولده صلى الله عليه وسلم عام 1190 تسعين ومائة وألف

فمن وجد فيها فسادا فليصلحه وأجره على الله اللهم وفقنا لطاعتك واستعملنا في مرضاتك يا أرحم الراحمين

2.2. خوارج النّصّ

1.2.2. نظام التّعقيبة والتّرقيم

لم يكن ترقيم الكرّاسات والأوراق وطريقة تنظيمها في البداية ترقيما موجّها إلى القارئ، ولكنّه وسيلة لجأ إليها النّاسخ لتفادي أي خطأ في التّرتيب يُمكن أن يحدث في المراحل المختلفة لصناعة الكتاب. وهذا النّظام موجود في هوامش الكرّاسات والأوراق عن طريق كلمات، حروف وأرقام[13]. ونجد أنّ التّرقيم في هذا المخطوط وُظّف حسب الفصول والأبواب، وقد كُتب في يسار صفحة العنوان من الأعلى باللّون الأحمر رقم 1 ثمّ كلّ عشرة لوحات أي كلّ عشرين صفحة كتب الرّقم الذي يليه، حتّ تحصّلنا على عدد 11 باب آخرها "في سجود التّلاوة".

أمّا التّعقيبة وهي لفظ مشرقي، تُقابله كلمة "الرّقّاص" باللّفظ المغربي، فتوفّرت هنا بكلمة وكلمتان وحتّى ثلاثة كلمات، وقد تموضعت على يسار أسفل ظهر كلّ صفحة، وتُعرف التّعقيبة بأنّها **"الكلمات التي تثبّت في آخر كل صفحة لتدلّ على أوّل كلمة من الصّفحة القادمة، وهي تدلّ على تتابع النّص. وإذا كان من الصّعب معرفة نشأتها، ذلك أنّه لا نملك سنداً تاريخياً ومادياً نحدّد بموجبه الزّمن الذي شهد بزوغ ظاهرة التعقيبات بدقة، إلاّ أنّ الواقع العملي في صناعة الكتاب نظام يتمّ بموجبه الحفاظ على تسلسل أوراقه خلال مراحل التّصنيع"[14]**. غير أنّ الذي وصل إلينا هو أنّ نظامي التّرقيم والتّعقيبة بدء يظهران في مخطوطات مؤرّخة في القرن السّادس الهجري. إلاّ أنّ" **الخزانة الظّاهريّة بدمشق تحتفظ بنسخة من "ديوان الفرزدق"، توافرت فيها التّعقيبات في أوراقها، نُسخت قبل عام 331 هجري. وتضمّ الخزانة الوطنيّة بباريس نسخة من كتاب "المدخل الكبير في علم أحكام النجوم" لأبي معشر البلخي، عليها علامة التعقيبة نُسخت سنة 325 هجري"[15]**. وهذا يدلّ على أنّها كانت مستخدمة في القرون الهجريّة الأولى، أمّا ترقيم المخطوطات فالظّاهر أنّه بدأ في نهاية القرن 5 هجري. وفيما يلي صور لأمثلة توظيف التّعقيبة والتّرقيم في المخطوط:

---

[13] السّيد (أيمن فؤاد)، **تقاليد المخطوطات العربيّة**، ج. II، معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، 2003، ص. 173.

[14] الطّبّاع (إيّاد خالد)، **المخطوط العربي: دراسة في أبعاد الزّمان والمكان**، دمشق، 2011، ص. 153.

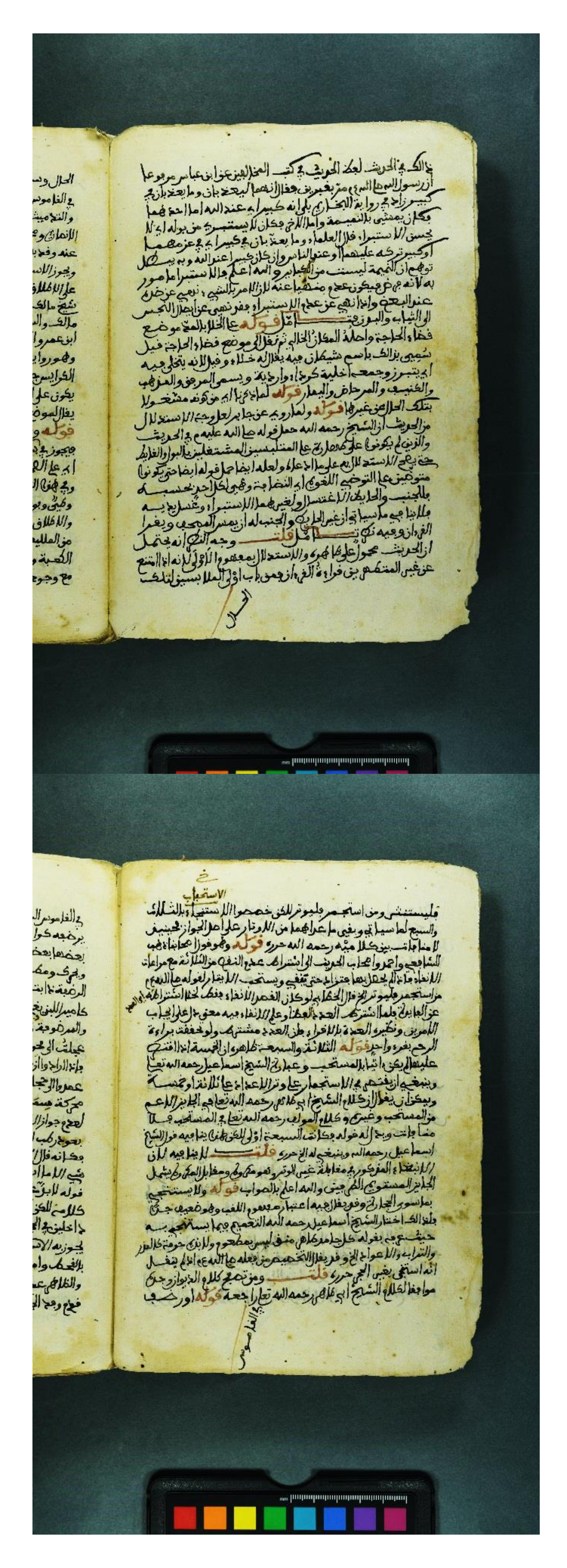
[15] نفس المرجع السّابق، صص. 152-153.



















2.2.2. الحواشي والتّقميشات

غالبا ما يتمّ اهمال أو تحاشي ما تزخر به طرر المخطوط من معلومات مهمّة، والتي تحتوي على أفكار وتأويلات وانتقادات وقراءات مؤيّدة أو مخالفة للنّص، كما نجد بها أحيانا إشارات لعناوين لمصادر مخطوطة نادرة ومفقودة. وفي هذه النّسخة نجد الحواشي مسخّمة بالإخراجات والإضافات والتّصحيحات والتّنبيهات والإشارات التي كُتبت في كلّ اتجاهات الصّفحة وبخطّ تارة رفيع وتارة سميك. يظهر أنّ الحواشي والهوامش أتت متأخّرة في تاريخ النّساخة العربيّة، وفي ذلك يقول روزنتال: "في عصر المخطوطات، عندما كانوا ينشرون مخطوطة ما، لم يتركوا مجالا لا للحواشي ولا للهوامش. ولكنّ النّاس شعروا بالحاجة إلى هذا الفراغ لإثبات الهوامش والحواشي، ولذلك اصطلحوا على أسلوب يغني عنهما ظهر في بدء القرن الثّالث عشر الميلادي/السّابع الهجري ، عندما أخذ المؤلّفون يدرجون في المتن ذاته بقولهم: (تنبيه)، أو (فائدة)، أو (تعليق)، أو (بيان)، أو (حاشية)، وفي أحيان قليلة كانوا يستعملون تعابير أخرى مثل (مهمّ يتعيّن ههنا ذكره)، أو (إشارة لطيفة)، أو (مبحث شريف)"[16]. وإن دلّ هذا على شيء فقد دلّ على نفور الفنّان المسلم من الفراغ، وميله لملء الحواشي الأربعة وفسحات الأسطر أيضا بالتّعليق والتّعليل.

ومثالنا المخطوط مُلئت حواشيه بالطُّرَرِ في كلّ الاتجاهات الأفقيّة والعموديّة وحتّى المائلة وبطريقة مقروءة ومقلوبة، جاء فيها إشارة للأبواب والعناوين، وعبارات للتّنبيه مثل "قف" وتصحيحات تدلّ على مقابلة النّسخة عن الأصل مثل "صح صح" وبعض الجُمل المخرجة بخطّ مائل تدلّ على "السّقط" أحيانا "واللّحق" أحيانا أخرى. كلّها طرر مهمّة وضافية ونفيسة أيضا، تحتاج للتّمعن والدّرس.

[16] الطّبّاع (إيّاد خالد)، **نفس المرجع السّابق**، ص. 65.





كما لا يخلو المخطوط من الفوائد التي يُصطلح عليها بالتّقميشات، منها ما وُظّف داخل النّص ومنها ما وجدناه في خوارج النّص ببداياته وخواتيمه، ومن ذلك نذكر:

- التّقميشات الشّعريّة كالتي كُتب في صفحة العنوان البيتان التّاليان:

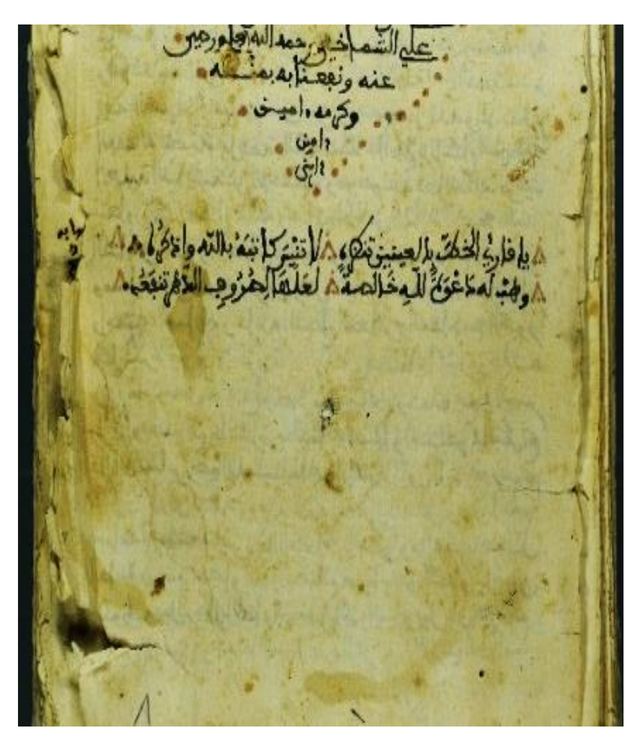
يا قارئ الخطّ بالعينين تنظره ``` لا تنس كاتبه باللّه واذكره

وهب لـه دعوة لله خـالصة ``` لعلّها لصروف الدّهر تنفعه



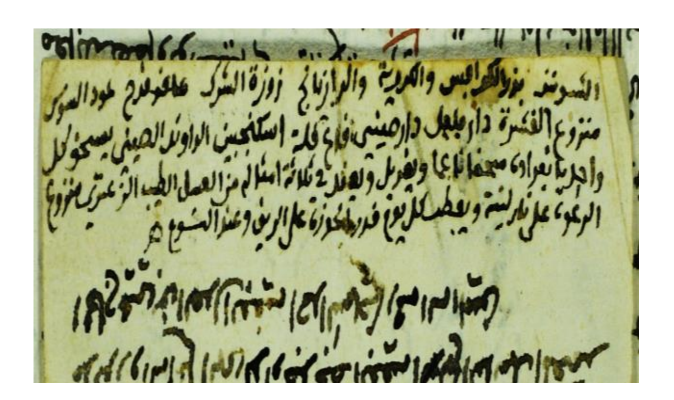




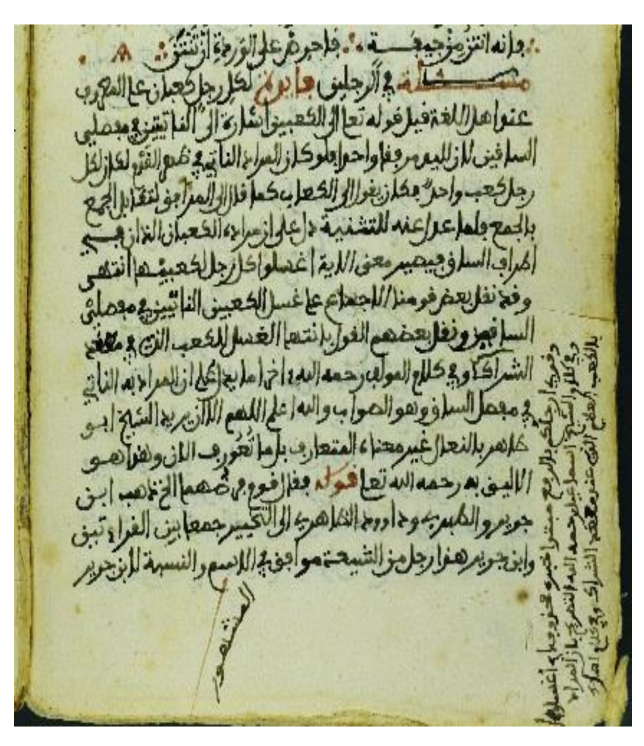


- تقميشات في الطّبّ الشّعبي: كالتّي وجدناها في طيّارة داخل المخطوط أهمّ ما جاء فيها:

"بذر الكرافس والكرويّة عود السّواك منزوع القشرة فلفل اسكنجبيل يسحق كلّه مسحوقا ناعما ويُغربل ويُعقد في ثلاثة أمثاله من العسل الطّيّب الزّعتري منزوع الرّغوة على نار ليّنة ويُقطّر كلّ يوم قدر الجوزة على الرّيق وعند النّوم".



- تقميشة فقهيّة في باب الوضوء: نجدها وسط المتن في الصّفحة 20 وجه، كانت صيغة العبارة واضحة "فائدة":



3.2. الطّيّارات وحالة المخطوط

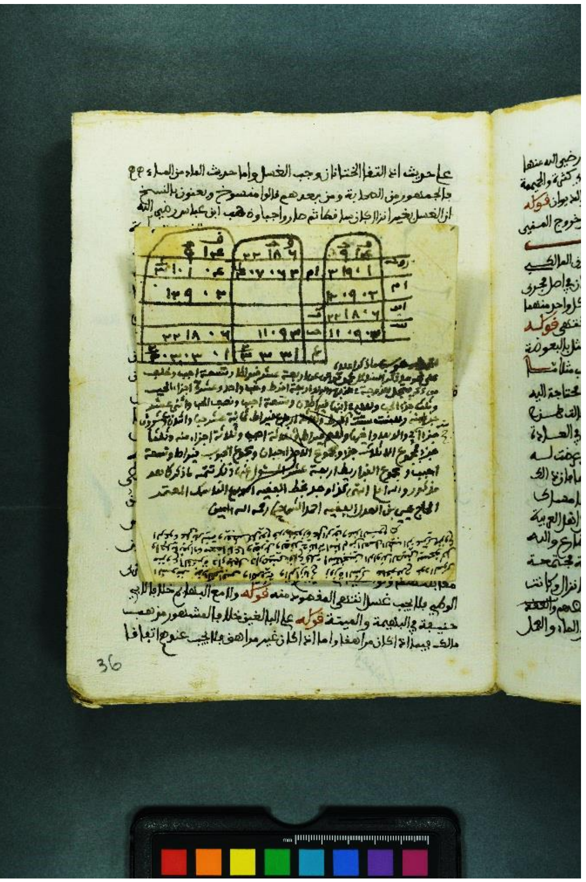
الطّيارة هي الورقة الطّائشة ويُقال عنها العصفور أيضا، أي الأوراق الملحقة[17]، وتشتمل هذه المخطوطة على طيّارة قياساتها حوالي 10 × 12 سم، سُجّل في الجزء العلوي من وجهها نصيب بعض الأشخاص من مجموع الحبوب والأجبان بالقراط وفي آخرها كُتب: "انتهى...بخطّ الفقيه الشّيخ النّاسك المعتمر الحاج يحيى بن العدل الفقيه أحمد الشّمّاخي رحمه الله آمين"، ولا شكّ أنّ نسب هذا الشّيخ وصنف هذا المخطوط ومكان انتمائه يجعلنا نرجّحه أن يكون سليل عائلة "الشّمّاخي" أحد علماء ومؤرّخي الإباضيّة في المغرب. أمّا الجزء السّفلي فقد كُتب مقلوبا وفيه فائدة طبيّة من الأعشاب كنّا قد أشرنا لها في عنصر التّقميشات. وقد خُطّ كلى الجزأين بخطّ مدمج بين المبسوط والمُجوهر. ثمّ ظهر الورقة كُتب فيه بخطّ النّسخ كلمة "مسألة" باللّون الأحمر، وبالمداد الأسود أسفلها كتبت ثلاث فرق، يتفرّع من كلّ فريق خطّين مائلين نحو "ابن" و"بنت" (عليا وسطى وسفلى) على شكل شجرة نسب.

مجملا، تعتبر المخطوطة حالتها حرجة بعض الشّيء، وفي حاجة لتدخّل وسائل الصّيانة والتّرميم اليدوي في بعض أجزاءها والآلي في البعض الآخر، فالغلاف مهترئ وبه عدّة ثقوب، بعض المناطق في الكتابة شبه مطموسة، وأطراف الأوراق متآكلة. ذلك

---

[17] أبو زيد (بكر بن عبد الله)، **معرفة النُّسخ والصُّحف الحديثة**، دار الرّاية، الرّياض، 1992، ص. 30.

وأنّ المخطوطة على الرّغم من حالتها المادّيّة المتضرّرة إلاّ أنّها مكتملة وغير منقوصة.





الخاتمة

انصبّ تركيزنا في هذا البحث على دراسة المعطيات الكوديكولوجيّة التي حاولنا استنطاقها انطلاقا من المعاينة المباشرة لهذا المخطوط الفقهي "كتاب الإيضاح". وقد توصّلنا من خلالها إلى نتائج خاصّة أهمّها، إثبات أهمّية الكوديكولوجيا في دراسة المخطوطات سواء بالتّحقيق أو الفهرسة أو غيرها من العلوم، من خلال إسهام هذا العلم في حلّ الكثير من الإشكالات المتعلّقة بالمجالات المذكورة. وعليه لا نكتفي بمقابلة النّسخ وتحقيقها، أو فهرستها كما هي عليه دون التّحقّق من صحّة انتسابها لمؤلّفيها ونسّاخها وصحّة عناوينها. وبالتّالي السّعي إلى إخراج تراثنا المخطوط ونشره في أبهى حلّة لتحصل الاستفادة بأعلى نسبة ممكنة من الصّحة وتجنّب الخطأ.

أمّا عن الاستنتاجات العامّة فتتمثّل في محاولة تجذير هذا النّوع من الدّراسات الحديثة المساعدة لبقيّة العلوم، وعدم الوقوف عند تحقيق وفهرسة المصادر المخطوطة. فضلا عن الهدف من هذا المؤتمر وهو إخراج نسخة نفيسة من تراثنا المغاربي وحاولنا قراءتها من منظور جديد باستعمال علم المخطوط. ولأنّ جزءا كبيرا من تراثنا المخطوط مازال حبيس المكتبات العامّة والخزائن الخاصّة والزّوايا، فوظيفة الكوديكولوجيا هي محاولة الكشف عنه وإبرازه، ووضعه رهن إشارة الباحثين خدمة للبحث العلمي.